

دكتور
رافع عيني الشبخ

تطور التقاليم في ليبيا
في العصور الحديثة

دكتور
رافع غنيمي الشيخ

تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة

الطبعة الأولى
١٩٧٢م

دار التنمية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

خلت المكتبة العربية من مرجع عن التعليم في ليبيا عبر عصورها التاريخية ، كما خلّت الدراسات والبحوث الجامعية العلمية من أى اهتمام بهذا القطر العربي الناهض ، وبصفة خاصة في ميدان التعليم الذى يتميز بالخطر والأهمية في تشكيل الفرد والمجتمع ، بما يضع هذا المجتمع في دوره من التقدم أو التخلف تبعاً لما أصابه من التعليم .

ولا شك أن هذا الإهمال جاء نتيجة تأثيرات القوى الأجنبية التى حكمت ليبيا - خاصة في عصورها الحديثة - وحاولت عزلها عن شقيقاتها الدول العربية ، بل وعزلها عن التطورات الحديثة في مجال التقدم العلمى في ميدان العلوم الطبيعية وفي ميدان العلوم الانسانية ، في عصور يتم فيها التحول من أفكار وقيم تقليدية رغبة في التغيير الى عصر يتميز بأنه عصر الشعوب الذى نعيشه الآن .

والذى يعيش في ليبيا في الوقت الحاضر يشعر بما أقدمت عليه القوى الأجنبية - في عصور تحكمها في مقدرات الأمور في تلك البلاد - من اجراءات وسياسات عاقت ليبيا عن الأخذ بأسباب التقدم في مختلف نواحيه ويشعر بالمشكلات التربوية والتعليمية التى تحتاج الى حلول شاملة . ان ظهور أو وجود مشكلات في ميدان التربية والتعليم في ليبيا في الوقت الحاضر انما يرجع الى جهود خلّت عانى فيها هذا الميدان الإهمال الكبير من قبل المتسلطين على مقدرات الأمور في البلاد ، وأهم هذه المشكلات هي :

- مشكلة تفشى الأمية بين ابناء الشعب العربى فى ليبيا .
- مشكلة تخلف البنت فى التعليم .
- مشكلة تمويل التعليم .
- مشكلة التعليم الفنى والمهنى .
- مشكلة عدم الترابط بين التعليم والتنمية فى البلاد .

كل هذه المشكلات الأساسية وغيرها من المشكلات الملحة في ميدان التربية والتعليم في ليبيا ، والتي تبذل الجهود من أجل معالجتها ، استوقفتني للتأمل - كما استوقفت البعض - وتساءلت عن السر في وجود مثل هذه المشكلات ، وكان ذلك عام ١٩٦٧ م عندما جئت الى طرابلس معارا للتدريس بسعاهد المعلمين والمعلمات .. ولماذا وجدت ومازالت موجودة مثل هذه المشكلات في ميدان التربية والتعليم ؟ •

وطوال أربع سنوات عملت فيها بطرابلس ، أسهمت أثناءها في اعداد البحوث التربوية والتاريخية وتقدمت بدراسات وبحوث للمؤتمرات التربوية، واطلعت على تقارير وزارة التربية والتعليم بطرابلس وتقارير هيئة الأمم المتحدة عن ليبيا .. بدأت البحث الذي تقدمت به الى كلية الآداب جامعة القاهرة للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب ، وتم تسجيل الموضوع تحت عنوان : تاريخ التعليم في ليبيا في العصور الحديثة ، واستكملت البحث وتمت مناقشته في ١١ سبتمبر عام ١٩٧١ م وحصلت به على درجة الدكتوراه في الآداب بمرتبة الشرف •

وقد استغرق مني هذا البحث جهدا مضنيا ، وذلك لعدم توفر المصادر العلمية في الموضوع بدرجة كافية ، وعند اختياري للموضوع تم لقاء في مكتب الأستاذ الدكتور عمر التومى الشيباني - مدير الجامعة الليبية الآن - بوزارة التربية والتعليم بطرابلس ، والأستاذ الدكتور محمد الهادي عفيفي - رئيس قسم أصول التربية بكلية التربية جامعة عين شمس بالقاهرة - الذي كان يعمل خيرا للتخطيط التربوي بوزارة التربية والتعليم بطرابلس ، وناقشت الموضوع مع الأستاذين الفاضلين في هذا اللقاء ، وقد أبدى الأستاذان الفاضلان - وكان ذلك في نوفمبر عام ١٩٦٧ م - اشفاقهما على لاختياري هذا الموضوع لعدم وجود مصادر كافية ، للبحث العلمي •

ولكنني بدأت البحث العلمي والميداني في نفس الوقت فقرأت كل وثيقة - التي بلغت بالمئات - خاصة بالبحث موجودة بدار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس ، واجتمعت مع عدة شخصيات معمرة واستمعت

الى رواياتها المبنية على مشاهدة ومعاناة ومعيشة للأحداث التاريخية التي مرت بليبيا ، وتعلمت اللغة الايطالية بالمركز الثقافى الايطالى بطرابلس لأستعين بها فى البحث .

وكانت دراستى العلمية مرتبطة بالعمل الميدانى حيث عايشت المشكلات التعليمية القائمة حاليا فى البلاد ، وأدركت عناصر كل مشكلة ، وساهمت بقدر جهدى فى ابراز ما أراه من حلول لهذه المشكلات ، فظهرت لى أبحاث تربوية علمية ، ومحاضرات ميدانية ومؤلفات تتناول هذه الموضوعات ذات الأهمية .

ومن ثم جاء بحتى ليكشف عن جذور المشكلات التربوية والتعليمية التى تعانها ليبيا الآن ، والتي تحتاج الى اصلاح شامل ، فى عالمنا المعاصر الذى يتطلب أن يرتبط الاصلاح فى مجال التربية والتعليم ارتباطا وثيقا بالاصلاحات الأخرى التى تخطط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والصحية وغير ذلك من نواحي الاصلاح .. وهذه النظرة الشاملة فى الاصلاح والتقدم هى سمة من سمات العصر الحاضر الذى يتطلب تكتيل الجهود فى جوانب حياة المجتمع الأخرى كالانتاج والوعى والارتقاء بمرفق التعليم وغير ذلك من جوانب حياة المجتمع .

وهذا الكتاب الذى أقدمه للمكتبة العربية هو البحث الذى حصلت بمقتضاه على درجة الدكتوراه ، وأقدمه بعد أن أخذت بملاحظات الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة وهم : الأستاذ الدكتور محمد أحمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة ، والأستاذ الدكتور محمد الهادى عفيفى رئيس قسم أصول التربية بكلية التربية بجامعة عين شمس ، والأستاذ الدكتور رجب حراز أستاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة القاهرة الذين أدين لهم بالشكر والتقدير على ما أولونى من عناية وتوجيه .

ويسعدنى أن أتقدم بالشكر أيضا للحاج محمد الأسطى الذى وضع أمامى كل وثيقة خاصة بالبحث فى دار المحفوظات التاريخية ، وكذلك الحاج عبدالسلام أدهم زميله بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس ، والى الأستاذين محمد بهجت القره مانلى ومحمود أبو حامد أتقدم بالشكر أيضا على التسهيلات والمساعدات التى لقيتها بدار المحفوظات بطرابلس ومكتبة مراقبة

آثار طرابلس • كما أشكر الأستاذ الفنان التيمى زين الدين على تصميم غلاف الكتاب •

ومن المعلوم أن نظام التعليم في أية دولة يتأثر بل ويرتبط بما يسود الدولة من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية ، فان نظام التعليم في ليبيا ارتبط طوال تاريخها - وبصفة خاصة في عصورها الحديثة التي خضعت فيها ليبيا لحكم أجنبي تسلطى - بالنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي سادت البلاد ابان هذه العصور التاريخية •

لذلك فانتى تناولت هذه النظم بشيء من الایجاز في كل عصر تاريخى قبل الدخول الى مجال التعليم ، أى أنتى أوضحت ما يسود ليبيا من نظم سياسية واجتماعية واقتصادية كتمهيد للعصر التاريخى ثم انطلق منه لایضاح تنظيمات التعليم في ذلك العصر ومدى تأثرها بالنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع •

فمشلا عند الحديث على العصر العثمانى في حكم ليبيا أوضحت التنظيمات السياسية باعتبار ليبيا ولاية عثمانية تحكم بوالى معين من قبل السلطان العثمانى ويساعده رجال الحامية والديوان ، ولم يشترك أهل البلاد في حكم أنفسهم ، كما أوضحت التنظيمات الاقتصادية حيث سارت أمور البلاد الاقتصادية - زراعة وتجارة دون صناعة تذكر - دون توجيه أو رعاية ، كما أوضحت أيضا التنظيمات الاجتماعية حيث كانت الطبقة الأولى من المجتمع هى الطبقة التركية وأهل البلاد أقل منزلة •

وكان لا بد أن يتأثر التعليم بهذه التنظيمات العثمانية فيجد التعليم كل اهمال من قبل الولاة العثمانيين ، ويتحمل الأهالى تمويل التعليم بايقاف الأوقاف على المؤسسات التعليمية التى ينشئونها ، ولا يجد تعليم البنات العناية التامة ، وكذلك التعليم الفنى ، بل لم يدخل التعليم الحديث ليبيا الا في أواخر القرن التاسع عشر ، رغم أنه لم يكن حديثا متطورا كما ينبغى •

فاذا جاء العصر الايطالى وجدنا التنظيم السياسى الذى أقامته سلطات الاحتلال الايطالى في ليبيا يقوم على اعتبار ليبيا مستعمرة وشعبها يجب ابادته ليحل محله ايطاليون يقيمون في مزارع انبتزعت من يد أصحابها

اليبيين ، وابعاد أهل البلاد عن الحكم ، كما وجدنا التنظيم الاقتصادي يقوم على استغلال خيرات البلاد لفائدة الايطاليين وايطاليا فقط ، وحرمان أصحاب البلاد من خيرات أرضهم • كما وجدنا التنظيم الاجتماعي باعتبار الطليان سادة وأهل البلاد عبيدا يخدمون هؤلاء السادة لأن الليبيين في نظر الاستعمار الايطالي « شعب مستعمرة » ومن ثم حوربت لغة أهل البلاد - وهي اللغة العربية - كما حورب الدين الاسلامي ، دينهم ••

وقد تأثر التعليم بهذه التنظيمات ، اذ ألغت سلطات الاحتلال الايطالي المدارس التي أقامها أو ساهم في اقامتها الحكم العثماني في أواخر سنواته بليبيا ، وفرض نظام تعليمي - ابتدائي فقط - يستهدف « طلينة » حياة المواطنين العرب الليبيين بفرض اللغة الايطالية ونظام التعليم الايطالي على أبناء المواطنين بل وعلى المواطنين أنفسهم في معاملتهم مع سلطات الحكم لقضاء مصالحهم •

وبالمثل كان تأثير النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الادارتين البريطانية والفرنسية على التعليم واضحا أظهرته المخططات التي استهدفت تجزئة الوطن الواحد الى ثلاثة أقاليم منفصلة ، بل وابعاد ليبيا عن الاتصال بشقيقاتها الدول العربية خاصة مصر مخافة التأثير بالروح القومية فيطالب الليبيون بالاستقلال وبالوحدة الوطنية ثم بالوحدة العربية •

ولكن الشعب العربي في ليبيا لم يستسلم لهذه المخططات بل قاومها واستمر في مقاومته لها حتى بعد انتهاء حكم الادارتين الأجنبية - الانجليزية والفرنسية - حتى انتصر في الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩ م عندما أعلن الشعب العربي في ليبيا ثورته التي أعادت الى البلاد وجهها العربي ، والتي تعمل على تصحيح مسار الحياة بمختلف نواحيها بما يدفع البلاد في سبيل التقدم العلمي ملتزما في نفس الوقت الايمان وتعليمات وشرائع ديننا الحنيف والاتجاه العربي الوحدوي •

والله أسأل أن يوفقنا في خدمة وطننا العربي الكبير •

دكتور أفتة الشيخ

طرابلس في ٢٤ فبراير ١٩٧٢ م

مجالات البحث

تناولت في بحثي السياسة التعليمية التي اتبعت في ليبيا في عصور حكمت ليبيا فيها قوى أجنبية أهمها القوة العثمانية ، والقوة الايطالية • وكل قوة كان لها أهداف معينة تسعى الى تحقيقها ومن ثم ترسم السياسة التي تحقق هذه الأهداف وتعمل على تنفيذها •

ورغم ما قد يبدو لأول وهلة من خلاف بين القوتين في الأسلوب والمظهر لكون القوة الأولى جاءت الى البلاد بطلب من بعض الوطنيين لمساعدتهم على التخلص من تسلط صليبي ورغم أن هذه القوة الأولى – وهي تركيا – دولة اسلامية دينها الرسمي هو الاسلام الذي هو دين الشعب العربي في ليبيا •

ورغم أن القوة الثانية وهي ايطاليا جاءت البلاد قسرا وبالقوة المسلحة الحديثة دون أن تجد – كما وجدت تركيا – ترحيبا من الشعب العربي في ليبيا بل على العكس واجهت مقاومة عنيفة ، ورغم أن هذه القوة الثانية مهدت لمجيئها الى ليبيا بأساليب اقتصادية ودعائية وثقافية •

رغم هذا وذاك فإن القوتين اللتين احتلتا ليبيا – تركيا مكثت بالبلاد ثلثمائة وستين سنة ، وايطاليا بقيت في ليبيا اثنتين وثلثين سنة – هاتان القوتان توحدت أهدافهما وان اختلف أسلوبهما في تنفيذ هذه الأهداف •

فقد ادعى كل من الأتراك والايطاليين أنهم انما جاءوا لتمدين الشعب العربي في ليبيا ، وأن ليبيا بلاد فقيرة متخلفة ، ومن ثم اتبعت السلطات العثمانية سياسة (التتريك) بدعوى الأخذ بيد الشعب العربي في ليبيا ،

بينما اتبعت القوة الايطالية العاشمة سياسة (الطليئة) بحجة أن من العار على ايطاليا أن تظل ليبيا متخلفة وجارتها ايطاليا تستخدم أساليب الحياة الحديثة في مختلف نواحي الحياة •

وكان التعليم مجالا هاما تنفذ منه السياسة المرسومة لكلا القوتين •• ولكن هل كانت ليبيا خالية من أى نشاط تعليمى كما ادعت القوتان الاستعماريتان ؟ •• ألم تكن هناك خلفية تعليمية على مر التاريخ في ليبيا كما ادعت القوات المحتلة ؟ • وهل وجدت السياسة التعليمية التى نفذتها تركيا وايطاليا في ليبيا المجال بكرا خاليا من برامج تعليمية ؟ •

لقد وجد في ليبيا عبر عصورها التاريخية منذ الفتح العربى الاسلامى نشاط تعليمى كان أصيلا وان كان تقليديا لأنه ارتبط بالعلوم التقليدية خصوصا علوم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم والسنة الشريفة وهى مقومات الثقافة العربية الاسلامية التى كانت النبع الذى ينهل منه كل مسلم ، وكان هذا النشاط التعليمى قائما بجهود شخصية •

ويعنى هذا أن الحكم التركى واجه في ليبيا تعليما عربيا اسلاميا يتركز فى المساجد والزوايا والكتاتيب والرباطات ، وقام على هذا التعليم علماء أجلاء فى فروع الثقافة العربية الاسلامية وبلغ من قوة هذا التعليم أن الأتراك لم يستطيعوا القضاء عليه حتى بما أقاموه فى أواخر أيامهم فى البلاد من نظام تعليمى (حديث) •

وعندما جاء الايطاليون كان التعليم الدينى الاسلامى العربى فى ليبيا صامدا أمام جحافل الغزو الاستعمارى المسلح والفكرى ، بينما انهار النظام التعليمى الذى أقامه الأتراك فى البلاد تحت أول ضربة للقوات الايطالية ، مما يؤكد قوة هذا التعليم العربى الاسلامى الذى تمتد جذوره فى البلاد الى مئات السنين والمرتبط بما يدين به الناس ويعتقدونه •

ورغم محاولات القوة الاستعمارية الايطالية لطمس معالم الثقافة العربية الاسلامية فقد جاهد المواطنون فى الابقاء على تراثهم الثقافى حتى ولو اضطرهم الأمر الى الخروج من البلاد والحصول على التعليم العربى الاسلامى بالجامع الأزهر بمصر أو بجامع الزيتونة بتونس أو بانتشار الكتاتيب والمدارس الخاصة بعيدا عن أعين المستعمرين •

اذن صمد التعليم العربى الاسلامى لغزوات (التتريك) و (الطليئة) ،
واتتهى الأمر كما نعرف ببقاء هذا التعليم وطرده محاولات (التتريك)
ومحاولات (الطليئة) ، لأن هذه المحاولات وتلك لاتنسجم مع طبيعة هذا
الشعب العربى المسلم ولا تتفق مع مآدرج عليه خلال سنوات طويلة
من تاريخه •

وتتركز مشكلة البحث فى عدة نقاط هى :

(أولا) التعليم العربى الاسلامى فى ليبيا :

- ما مقومات هذا التعليم وما هى ميادينه ووسائله ؟ •
- ما مدى قوة هذا التعليم وصموده أمام محاولات طمسه ؟ •
- هل أدى هذا التعليم دوره فى تماسك الشعب العربى فى ليبيا
وصموده أمام قوات الغزو ؟ •
- ما تأثير هذا التعليم على كل تشريع تعليمى جاء حتى بعد انتهاء
الاستعمار من الحكم المباشر لليبيا ؟ •

(ثانيا) التعليم فى العصر التركى :

- هل أقام الأتراك فى ليبيا نظاما تعليميا حديثا طوال سنوات
حكمهم ؟ •
- نعم أقام الأتراك فعلا بعض المدارس على النظام الحديث فى أواخر
حكمهم لليبيا •• ولكن هل فتحت هذه المدارس أمام جميع أبناء
الشعب ؟ •
- هل كانت هناك خطة مرسومة لفتح المدارس وتنظيم التعليم
من قبل الأتراك ؟ •

- ما دور الشعب العربى فى ليبيا نحو المشروعات التعليمية ؟ •
- ما موقف الشعب العربى فى ليبيا من محاولات (التتريك) ؟ •

(ثالثا) التعليم فى العصر الايطالى :

- ادعى الايطاليون أنهم انما جاءوا لتمدين الشعب العربى فى ليبيا •
- * فهل التمدين يعنى حرمان المواطنين العرب من فرص التعليم
الحديثة ؟ •

* وهل التمددين يأتي عن طريق محاربة اللغة العربية والدين الاسلامي ؟ *

* وهل التمددين فرض الجنسية الايطالية واللغة الايطالية على كل الشعب ؟ *

* وهل التمددين حرمان لأبناء الشعب العربي من الاتصال بأشقاؤهم العرب في مصر وغيرها ؟ *

* وهل التمددين هو معاملة الشعب صاحب البلاد باعتباره عبدا للايطاليين واعتبار ليبيا مستعمرة ايطالية ؟ *

(رابعا) مستقبل التعليم بعد رحيل الايطاليين عن البلاد :

— لماذا اندفع المواطنون العرب نحو تعليم أبنائهم والمطالبة بفتح المدارس لهم ؟ *

— ما موقف سلطات الادارتين البريطانية والفرنسية من مطالب المواطنين ؟ *

— ما هو المخطط الاستعماري لتقسيم البلاد الليبية الى ثلاثة أقاليم منفصلة عن بعضها ؟ *

— كيف واجه الشعب العربي في ليبيا هذا المخطط وكيف قضى عليه ؟ *

— كيف ارتبط التعليم في ليبيا بنظام التعليم في مصر ؟ *

لماذا اخترت هذا الموضوع للبحث ؟ ..

بعد أن استعرضت مشكلة البحث التي تتركز حول سياسة القوى الاستعمارية التعليمية وتأثيرها على المواطنين العرب في ليبيا .. لابد من الاجابة على هذا السؤال .. لماذا اخترت هذا الموضوع ؟ *

جاء اختياري لهذا الموضوع للأسباب التالية :

أولا : لم تهتم الدراسات الأدبية كثيرا بنشاط الشعب العربي في ليبيا وتاريخه التعليمي لدرجة أنه لا يوجد مؤلف يتحدث عن التعليم في ليبيا خلال العصور التاريخية ولعل ملاقته ليبيا من اهمال أثناء الحكم التركي بدرجة لا تقارن بغيرها من الولايات العثمانية

بحجة فقر ليبيا وقلة أهميتها للسلطنة هو التفسير لانصراف
الكثيرين من المؤلفين والباحثين عن الدراسة الجادة المنصفة لهذا
الشعب العربي .

ومن ثم جاء بحتى ليضع الأمور في نصابها بصورة لم يسبقنى
أحد إليها . . وهذا في حد ذاته شيء جديد كل الجدة الى جانب
اظهار الحقائق التى تتحدث عن النشاط الثقافى والتعليمى
الاسلامى العربى فى ليبيا فى اطار جديد أيضا . .

ثانيا : وحتى فى أثناء الحكم التركى تحدثت المؤلفات العربية أو الأجنبية
التي تناولت تاريخ ليبيا عن اهتمام السلطات العثمانية بالتعليم
الحديث ، وهذه المؤلفات متأثرة بالدعاوة التركية . . ولكنى
أثبت بالوثائق أن التعليم فى العصر التركى حتى ما عرف بالتعليم
الحديث الذى وجد فى السنوات الأخيرة من الحكم العثمانى
لليبيا قام أساسا على يد أبناء الشعب ، بمعنى أن المواطنين كانوا
يتبرعون بالأموال لبناء المبنى واحضار الأدوات ودفع مرتب
المعلم - وقد كان المواطنون يستعطفون الحكام الأتراك لتعيين
معلم كفاء ليعلم أبناءهم .

ثالثا : أشاع الأتراك أن وجودهم فى ليبيا - وفى غيرها من الأقطار
الاسلامية ليس احتلالا استعماريا ولكنه حكم الأخ الأكبر
للأخوة الصغار واشرافه عليهم ، وأنه حتى الثورات الاستقلالية
التي كانت تقوم هنا وهناك كانت ضد ظلم الولاية وسوء الادارة
وليست ضد الوجود التركى نفسه . . ولقد أثبت بالوثائق
أيضا خطأ هذه الدعوى وأوضح تبرم الأهالى بكل ما هو
تركى حتى اللغة التركية نفسها . .

رابعا : لم تشر المؤلفات الى وجه ليبيا العربى الوجودى عبر تاريخها
الطويل ولقد أثبت عن طريق روايات المعمرين الليبيين ومن
التقارير والذكريات حقائق جديدة تؤكد تمسك الليبيين
بعروبتهم وبرغبتهم فى الوحدة العربية ، فما ثورات غومة

المحمودى فى الجبل الغربى وغيره ضد الحكم التركى الا دعوة للقومية العربية واعتبار تركيا دولة استعمارية كما أن مطالبة حزب الاتحاد المصرى الطرابلسى بالوحدة بين ليبيا ومصر فى (الأربعينات) ماهى الا تأكيد لوجه ليبيا العربى الوجودى .

خامسا : ادعى (الطليان) أنهم أدخلوا تعليما حديثا للقضاء على تخلف الشعب العربى فى ليبيا ، ولقد أثبت بالوثائق والتقارير والاحصاءات كذب هذا الادعاء وأوضحت الفرص التعليمية التى أتاحت للمواطنين العرب أثناء الحكم الايطالى وقارتها بالفرص التعليمية المتاحة لأبناء الايطاليين المقيمين فى البلاد بل والفرص المتاحة لأبناء اليهود . . وقد أوضحت بالأرقام الفرص التعليمية كما وكيف لأصحح وقائع غير حقيقية روج لها الايطاليون .

سادسا : حاول الانجليز والفرنسيون فى الأربعينات تقسيم البلاد تقسيما حادا ليخضع كل قسم لنفوذ دولة استعمارية ، وأسهموا فى التفرقة بين أبناء الوطن الواحد ولقد أثبت هذه الحقائق التى تدمغ الحكم البريطانى الاستعمارى بصفة خاصة . كما أثبت مجهودات المخلصين من المواطنين لتأكيد الوحدة الوطنية . .

سابعا : أرجو أن يكون هذا البحث قد سد فراغا فى المكتبة العربية عن الموضوع ، وهذا البحث الذى استغرق منى دراسة وتنقيا واتصالات مع المواطنين العرب الليبيين الذين عاشتهم طوال هذه السنوات الأربع يعتبر فى حد ذاته جديدا . . كما أننى اطلعت على وثائق ودرستها لم يقم أحد بدراستها أو نشرها .

ثامنا : لقد استندت فى بحثى أولا على الوثائق العربية والتركية والايطالية الموجودة بدار المحفوظات التاريخية بمدينة طرابلس ، وهذه الوثائق عبارة عن مجموعات من الرسائل والأوامر التى تتضمن معلومات عن التعليم فى العصرين التركى والايطالى .

وقد وضعت في ملفات كتب على كل ملف كلمة (المعارف) أى الوثائق الخاصة بالتعليم وهى غير مرقمة وليست مصنفة ولذلك جاءت اشارتى لها في البحث على النحو الذى توجد به في دار المحفوظات التاريخية ولقد قضيت أوقاتا كثيرة في التنقيب عن هذه الوثائق وقد ساعدنى في ذلك أستاذ فاضل له المام تام باللغات التركية والايطالية وهو (الحاج محمد الأسطى) الذى يعمل بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

كما قمت بالاطلاع على قوانين التعليم وهى مطبوعة مع مجموعة القوانين الصادرة في العهد الايطالى وهى موجودة بدار المحفوظات التاريخية أيضا •• واطلعت على بعض المراجع الايطالية في المركز الثقافى الايطالى بطرابلس •• وقد وجدت المساعدة أيضا في الترجمة من هذه المراجع •

ووجدت في مكتبة الأوقاف والمكتبة الحكومية بطرابلس بعض المراجع العربية التى استفدت منها في تحقيق الأحداث التاريخية كما استفدت من المراجع الموجودة بالمركز الثقافى العربى بمدينة طرابلس • ولقد قرأت جميع التقارير التى كتبها بريطانيون وايطاليون وفرنسيون أعضاء في الادارة الأجنبية لادارة شئون ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية وتقارير مندوبى الأمم المتحدة في ليبيا الى جانب تقارير وزارة التربية والتعليم بطرابلس •

الباب الأول
العصر العثماني
م ١٨٣٥ / ١٩١١ م

الفصل الأول

نظرة عامة عن الحكم العثماني لليبي
من ١٧١١/١٥٥١ م ١٩١١ م

- مقدمة .
- العصر العثماني الأول
من ١٧١١/١٥٥١ م
- العصر العثماني الثاني (القره مانلى)
من ١٨٣٥/١٧١١ م
- العصر العثماني الثالث
م ١٩١١/١٨٣٥ م

مقدمة

ترجع أهمية ليبيا - التي جعلتها مطمح القوى المتصارعة في البحر الأبيض المتوسط - الى أنها رأس جسر بين مصر في الشرق وبقية بلاد الشمال الافريقي في الغرب ، فهي بمساحتها الواسعة المترامية الأطراف تعتبر معبرا لحجاج الشمال الافريقي المسلمين الى مكة المكرمة ، ثم انها معبر للتجارة بين أفريقيا وأوروبا حيث كانت « مركزا لثلاث طرق قوافل : الأولى تتجه جنوبا عبر واحة فزان الى بحيرة تشاد ، والثانية تنعطف جنوبا غربا عبر غدامس وغات الى تمبكتو الأسطورية والثالثة تسير جنوبا شرقا عبر واحة الكفرة الى واداي ودارفور الغنى بخصبه وثرواته » . (1)

وكانت طرابلس وهي أكبر مدن ليبيا هي مركز الحركة التجارية وهي مطمح لكل المغامرين والمستعمرين ، وذلك لوقوعها على البحر المتوسط في مواجهة دول أوروبا حيث كانت تتصل بهذه الدول عن طريق البحر الى جانب تزويدها للسفن بالمؤن والحماية ولذلك صار لها تاريخ بحري هام الى جانب أهميتها التجارية كسوق لبضائع الدول الأوروبية الصناعية .

وتنقسم مساحة ليبيا الى قسمين رئيسيين : الشريط الساحلى الخصب الذى يضم المدن الرئيسية ، والذى تقوم به معظم النشاطات الزراعية معتمدة على الأمطار ، والقسم الثانى يقع الى الجنوب من الشريط الساحلى الضيق نوعا وهو يشمل الصحراء التى تمتد الى حدودها مع الجزائر والنيجر وتشاد والسودان ومصر ، وهي صحراء قاحلة تكاد تخلو من أى حياة الا فى بعض الواحات المتناثرة التى تقوم حولها بعض المدن الصغيرة ، وتكاد المنطقة الصحراوية تخلو من المرتفعات الكبيرة فيما عدا جبل غريان معقل البربر .

(1) ريتشارد تولى ، عشر سنوات فى بلاط طرابلس - ص ٨ .

كان سكان ليبيا الأصليون من البربر ، ثم لما دخلها الفتح العربى دخل معه عدد من العرب استوطنوا ليبيا ، الا أن عددهم حتى أوائل القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى - لم يكن كافيا لصبغها كلها بالصبغة العربية نهائيا ، فظل الغالب على سكانها - خاصة فى الداخل - العنصر البربرى • لكن الذى أتم لليبيا عروبتهما هو مجيء قبائل بنى سليم وبنى هلال فى أواسط القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى - وقد استقر بنو هلال فى طرابلس وتونس ، أما بنو سليم فقد استوطنوا برقة وحافظوا على ما عندهم من عادات وتقاليد عربية ، وامتزج ما تبقى من البربر بهم حتى صارت برقة عربية تماما والى بنى هلال يرجع الفضل فى تعريب طرابلس وتونس والجزائر •

ولم يكن لسكان ليبيا قبل الفتح العربى وهم البربر لغة مكتوبة يستطيعون التخاطب بها واستعمالها ، ولذلك جاءتهم اللغة العربية مع الفتح العربى الاسلامى فقبلوها وقبلوا معها كتابها الكريم - القرآن - فدخلوا الاسلام دون قسر أو الزام لأنهم رأوا فيه خلاصا من حالة اجتماعية لا دينية وانتقالا من الضلالة الى الهدى •

وقد توالى على ليبيا الحوادث والخطوب التى أثرت فيها تأثيرا كبيرا قبل مجيء العثمانيين فقد تعرضت طرابلس لغزوات من النورمان من صقلية فى القرن الثانى عشر سببت الخراب لكثير من أحياء المدينة واضطر أهلها لدفع جزية كبيرة لمدة طويلة ، كما خضعت ليبيا فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين للحفصيين الذين لم يكن يعينهم من أمر ليبيا سوى الحصول على أموالها ، لذلك كثيرا ما أصاب المدن الليبية الخراب بسبب تخاصم أصحاب النفوذ وتعرضها لهجمات البدو وبخاصة أيام القحط والجذب •

وفى سنة ١٥١٠ م هاجم الأسبان طرابلس واستولوا عليها ، وكان ذلك نتيجة لذلك الصراع الهائل الذى قام بين العثمانيين والأسبان خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين من أجل السيادة البحرية على البحر الأبيض المتوسط ذلك الصراع الذى جعل ملك أسبانيا يهدى طرابلس

ويتنازل عن احتلالها لفرسان القديس يوحنا بمالطة عام ١٥٣٥ م الذين اتخذوا من جزيرة مالطة مقرا لهم بعد أن طردهم العثمانيون من جزيرة رودس ، وذلك الصراع الذي جعل فرسان مالطة يناوئون البحرية العثمانية في البحر المتوسط ، وذلك الصراع الذي انتهى باحتلال العثمانيين لليبييا وطرده فرسان القديس يوحنا من طرابلس عام ١٥٥١ م .

كان المورد الرئيسي للثروة في ليبييا الحبوب والحيوانات والتجارة ، ولم تكن الزراعة مزدهرة لأنها تتوقف على الأمطار ، وقبيل نهاية القرن التاسع عشر بدأت الطرق التجارية تتحول تدريجيا عن ليبييا ، اذ قامت في غرب القارة الافريقية موانئ أصبحت البضائع ترسل اليها . وصدق على ليبييا في نهاية القرن التاسع عشر وصف أحد الرحالة حيث قال : « ان المياه فيها معدومة والشجر فيها مفقود ، الا النخيل والزيتون في الساحل وتكاد التجارة فيها تكون لا أثر لها ، بل ويمكن القول حتى بأنها لا موانئ لها » . (١)

واذا كانت هذه حالة ليبييا فلم يكن غريبا أن يكون عدد السكان فيها قليلا جدا ، لا يتناسب مع مساحتها المتسعة ، وكان معظم هؤلاء السكان يتركزون في المدن الساحلية وفي الواحات المتناثرة في صحرائها الشاسعة ، وقد قدر عدد هؤلاء السكان في أواخر القرن التاسع عشر بحوالى ثلاثة أرباع المليون نسمة فقط ، وهو عدد قليل جدا يعيشون في مساحة تقدر بحوالى مليون وثلاثة أرباع المليون (١٧٥٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع) من الكيلومترات المربعة .

وما دمتنا نتصدى للحديث عن تطور التعليم في ليبييا فاننا يجب أن نتعرض للظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية الى جانب الظروف السياسية ، انطلاقا من الحقيقة القائلة بأن التعليم في أية دولة من دول العالم يتأثر بل ويرتبط بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية السائدة في تلك الدولة .

وفي الصفحات التالية نستعرض الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ثم نستعرض النظم السياسية والأحداث التاريخية في العصور العثمانية

(١) نقولا زيادة ، ليبييا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال - ص ٦٠ .

الثلاثة : العصر العثماني الأول ، والعصر العثماني الثاني (القرهمانلى) ،
والعصر العثماني الثالث •

أولا - الظروف الاجتماعية :

ان الظروف الاجتماعية ذات تأثير كبير على التعليم ، ومن هنا جاء اهتمامى بها فى هذا المقام باعتبار المجتمع هو الوعاء الذى تتفاعل فيه الأفكار والنظم ، « ونقطة البداية فى أى مجتمع مجموعة عديدة من الأفراد - وهم المادة الخام التى ينمو منها - تستمر فى وجودها وقتنا كافيا ، يشبع خلالها الأفراد حاجتهم البيولوجية من تزاوج وتناسل ، ويصطبغون بالصبغة الاجتماعية نتيجة عوامل متداخلة متشابكة متكاملة من انتقال للأفكار ، وتكوين للأنظمة ، وتحويل بيئتهم الطبيعية الى بيئة ثقافية تنتقل فيها الأشياء الى أدوات وموضوعات وأنظمة ذات معان بالنسبة اليهم والى حياتهم الجماعية » • (١)

وبالنسبة للمجتمع العربى فى ليبيا فان العلاقات بين أفراد المجتمع تقوم على أساس الارتباط القبلى ، وهذا الارتباط يساعد على تماسك المجتمع بعض الشيء ، وان كانت الظروف والأحداث التاريخية قد حالت بين هذا الشعب العربى وبين التماسك والوحدة الوطنية ، وساعدت التوى التى سيطرت على مقدرات الأمور فى البلاد - فى العصر العثماني والعصر الايطالى وعصر الادارتين الانجليزية والفرنسية - على وجود انقسامات بين القبائل وتناحر فيما بينها •

الا أن هناك مقومات أساسية جمعت بين أفراد الشعب الليبى منها أنهم « يكونون وحدة دينية ، الا من أقلية يهودية ، فعالية الأهالى يدينون بالاسلام ، ويتبع جل هؤلاء المذهب المالكى بينما اتبع بعض أهالى الجبل العربى وبلدة زوارة الساحلية المذهب الأباضى وعرفوا بالخوامس » • (٢)

هذا الى جانب أن اللغة العربية هى لغة كل أفراد الشعب العربى الليبى ،

(١) د. الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى - ص ٣٢ •
(٢) د. الدجاني : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى - ص ٢١٧ •

مع وجود عدد قليل منهم يتكلمون الى جانب اللغة العربية - اللهجة البربرية
ولغة الطوارق - كما أن جميع الليبيين ، وحتى البربر ، من أصل عربي
أو تعربوا بالاختلاط .

وقد تأكدت عروبة الشعب العربي الليبي بمقاومته لمحاولات محاربة
تراثه الثقافي العربي الاسلامي ، وتمسك كل فرد فيه بعروبتة وبدينه بل
وبأرضه وتاريخه « فالفرد لا ينتمى الى المجتمع يشعر فيه بالزمانة ، ويحقق
بين أفرادها حاجاته ومطالبه عن طريق علاقات تقوم على لغة مشتركة ،
وعادات وتقاليد مشتركة ، وتراث ثقافي مشترك ، ولعل هذا يفسر فشل
المجتمعات الاستعمارية مثلا في جذب أفراد المجتمعات التي خضعت لها
ومحاولاتها لتذويب شخصياتهم في ثقافة غير ثقافتهم » . (١)

وكان من الأسباب التي ساعدت المجتمع العربي في ليبيا ، في عصور
خضوعه للعثمانيين والطيالان وغيرهم ، للمحافظة على عروبتة أن معظم
السكان كانوا يكونون مجتمعا بدويا ، وقد ظل هذا المجتمع البدوي بعيدا
عن سلطات القوى المسيطرة على الأمور والتي تتخذ من المدن مراكز لفرض
سيطرتها ، وقد تأثر هذا المجتمع البدوي بالبيئة الصحراوية فامتاز أفرادها
بالقوة والخشونة والمحافظة على العادات والتقاليد العربية والدين الاسلامي
أى المحافظة على التراث الثقافي العربي الاسلامي .

وكان الى جانب هذا المجتمع البدوي مجتمع المدن الذي كان يزاول
أفراده حياة أكثر تحضرا بسبب اختلاطهم - في التعامل - مع أفراد الجاليات
الأجنبية . وكان معظم العرب في المدن يعملون بالتجارة ، ولم يهتموا
بالصناعة التي استحوذ عليها أفراد الجاليات الأجنبية واليهود .

وتوجد في البلاد أعداد من الزوج قدموا الى البلاد بسبب تجارة
الرقيق أو موجودون في الأصل منذ الهجرات الزنجية الأولى من وسط
افريقيا الى الشمال ، وقد اختلط هؤلاء أيضا بأهل البلاد الأصليين ، شأنهم
في ذلك شأن الأتراك الذين كونوا طبقة اجتماعية عرفت باسم القولوغلية -

(١) د. الهادي : التربية والتغير الثقافي - ص ٣٤ .

التي هي نتاج تزواج وتنازل بين الضباط والعسكريين والموظفين الأتراك بالنساء الوطنيات الليبيات •

كما كان يعيش في ليبيا أقلية يهودية كبيرة العدد ، وكانت هذه الأقلية موزعة في اقامتها على أهم المدن الليبية ، وكانت هذه الأقلية نشطة في حياة المجتمع الليبي اذ سيطرت على النواحي الاقتصادية في البلاد ، وكانوا يجدون المعاملة الحسنة « فقد لاحظ ناحوم شلوس حين زار طرابلس سنة ١٩٠٦ م أن السلطات العثمانية كانت تعامل اليهود بالحسنى ، وأشاد بالوالي المشير رجب باشا الذي كان يعاملهم دوما بالحسنى والود ، وكان مستعدا أن يقدم الامداد والعون للليانس الاسرائيلي (١) - كما ذكر شلوس أن فئة التجار من اليهود كانت تعيش في أوضاع حسنة ، وأغنياء اليهود هم الذين كانوا يشاركون في تجارة القوافل » (٢) •

وكانت الحياة الاجتماعية في ليبيا تسير على النمط العربي المعهود من حيث العادات والتقاليد المتوارثة في الملابس والمآكل والزواج والوفاة ، والأعياد والمناسبات الدينية ، وكان التدين صفة غالبية على الناس ، وقد كان هذا مجالا لظهور الطرق الصوفية وانتشارها • وكانت دخول غالبية أفراد المجتمع ترجع الى الزراعة البدائية والتجارة العادية الخاضعة لمنافسة اليهود ، وهذا أدى الى انخفاض مستوى معيشتهم ، وعانى الكثيرون منهم من الفقر •

هذه أحوال الشعب العربي الليبي في العصور السابقة للحكم العثماني وأثنائه ، والتي جاء الحكم العثماني ليواجهها دون محاولة للتغيير ، وبقيت حياة الناس الاجتماعية متجمدة ، وقد ساعد هذا على بقاء التراث الثقافي العربي الاسلامي في ليبيا رغم محاولات طمسه أو تجميده ، وهذه الأحوال أثرت بالطبع في التعليم الذي هو هدف بحثنا •

(١) الليانس الاسرائيلي يقصد به مؤسسات الاتحاد الاسرائيلي العالمي

القائمة في ليبيا كالمدارس والمعابد والملاجئ •

(٢) د. الدجاني : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي - ص ٢٢٧ •

ثانيا - الظروف الاقتصادية :

من المعروف أن مقومات الحياة الاقتصادية في أية دولة من دول العالم هي الزراعة والصناعة والتجارة ، وإذا نظرنا الى أحوال ليبيا في العهد العثماني وما قبله نجد الظروف الاقتصادية بعناصرها الزراعية والصناعية والتجارية تسير على النحو التالي :

(١) الزراعة :

كانت الزراعة قبل وأثناء وبعد العصر العثماني في ليبيا الى الستينات من القرن العشرين ، هي أهم قطاع في الاقتصاد الليبي ، الى جانب تربية الماشية « الذي كان يعمل فيه - في الزراعة وتربية الماشية - أكثر من ٨٠ في المائة من سكان البلاد ، كما كانت المنتجات الزراعية تمثل أكبر جانب في الصادرات الليبية » . (١) الا أن الزراعة كانت تخضع لمدى توفر مياه الأمطار كل سنة حيث تخضع الأرض الليبية لمناخ حار جدا ومتطرف ومتقلب بين البحر المتوسط والصحراء الكبرى .

وتتركز الزراعة في ليبيا - آنذاك - في السهول التي تنحدر اليها المرتفعات والجبال حيث تتوفر مياه الأمطار أو المياه الجوفية التي تجود بمياهها طالما زادت الأمطار أيضا ، وعلى هذا فقد تركزت الزراعة في السهل الساحلي وفي الجبل الغربي بطرابلس والجبل الأخضر في برقة ، أما فزان فتعتبر أفقر المناطق الزراعية في ليبيا ، اذ توجد الزراعة فقط حيث تتوفر عيون المياه في واحات متناثرة عبر الصحراء الشاسعة الشديدة الحرارة ، ومعنى هذا أن الانتاج الزراعي في فزان قليل ولا يساعد على تركيز كثير من السكان ، ولهذا يهاجر الكثيرون منهم الى طرابلس أو برقة .

والزراعة تدعو الناس الى الاستقرار ، ولكن الظروف القاسية التي أحاطت بالزراعة في ليبيا كانت تدفع بالكثيرين من السكان الى الهجرة الى مصر أو تونس حيث الزراعة ومقوماتها أكثر وفرة وثباتا على مدار السنة . ومع ذلك فقد كانت الزراعة في ليبيا تدور حول بعض الجيوب

(١) الفنيش : المجتمع الليبي ومشكلاته - ص ١٨٠ .

مثل القمح والشعير والبرسيم وغيرها الى جانب أشجار الزيتون والنخيل واللوز وغيرها من فواكه حوض البحر الأبيض المتوسط ، بالإضافة الى بعض الخضروات •

والى جانب الزراعة كان فريق من الناس يعملون بالرعى فى المراعى التى تنتشر على سفوح الجبال والمرتفعات وفى السهول حيث تنمو أعشاب الرعى عقب الأمطار ، وكانت تربية الماشية من أهم مصادر ثروة الناس آنذاك ، وقد عمل بعض الولاة والحكام فى العهد العثمانى على زراعة الغابات فى المناطق المحيطة بالمدن لوقايتها من العواصف ، وقد انتشرت الغابات فى طرابلس وبرقة « وأهم الأشجار التى تعيش فى ليبيا هى الكينا (السرول) بنوعها ذات الخشب الأحمر والأبيض ، وتغرس فى الأراضى الفقيرة وفى المناطق التى توجد بها الكثبان الرملية ، ثم السنط الحقيقى الذى يعرف محليا (بالكاتشا) ، ولهذا النوع من الشجر قدرة كبيرة على ربط حبيبات الرمال وتثبيت الكثبان » • (١)

وتتحكم القبائل فى الأرض الليبية سواء كانت أرضا مزروعة أو صالحة للرعى ، ولم يكن هناك تخطيط زراعى يحكم تنظيم الأرض الزراعية وتحديد أراضى الرعى • ولم يكن للزراعة مثلها مثل غيرها من نواحي الحياة فى ليبيا ، نصيب واضح من الاهتمام ، وان كان هذا لا ينفى أن بعض ولاة الحكم التركى حاول بجهده الشخصى أن يساعد فى تنظيم النشاط الزراعى ، الا أن الثورات الشعبية التى انتشرت ضد الظلم فى أنحاء البلاد كانت تعطل النشاط الزراعى من أن يسير نحو الانتاج الحقيقى والكافى • ومن ثم كان دخول الناس من الزراعة ليس ثابتا ولا متطورا الى الزيادة ، ولكن هذا الدخل كان متذبذبا وغير ثابت تماما •

(ب) الصناعة :

ولا يمكن القول بأنه وجدت صناعات فى ليبيا فى العهد العثمانى • وحيث من المعروف أن مقومات الصناعة ثلاث : الأيدى العاملة المدربة ،

(١) الفينش : المجتمع الليبى ومشكلاته - ص ١٩٩ •

ورأس المال الكافي ، والمواد الخام اللازمة ، فإذا نظرنا الى ليبيا لوجدنا فقرها في هذه المقومات ، فلم تكن هناك أيد عاملة مدربة ، ولم تعمل سلطات الحكم العثماني على وجودها ، كما أن رءوس الأموال كانت مختلفة فلم يكن الحكم العثماني يسمح بوجود رأسمال وطني بل كانت سلطات الحكم العثماني تصادره بالقوة العاشمة لمصلحتها ولمصلحة الدولة العثمانية ذاتها .

هذا بالإضافة الى أنه لم تكن تتوفر مواد خام يمكن تصنيعها ، ولم يعمل الحكم العثماني على اكتشاف أية مادة خام في أنحاء البلاد .

ورغم ما قيل من أن بعض الولاة العثمانيين - خصوصا في أواخر سنوات الحكم العثماني بليبيا - حاولوا احياء الصناعة عن طريق انشاء مدارس (مكاتب) صناعية مثل مدرسة الفنون والصناعات الاسلامية بمدينة طرابلس - ومن أمثال هؤلاء الولاة : أحمد عزت باشا ، وعلى رضا باشا ، ونامق باشا - الا أن هذه المدرسة كانت تقوم بتدريب التلاميذ على صناعات بدائية تقليدية ، شأن معظم الولايات العثمانية ، في وقت كانت دول أوروبا قد دخلت فيه عصر الانتاج الصناعي الضخم .

وأصبح واضحا في أذهان الأهالي أن « لا قيمة ولا نتيجة من درس الصنائع أو بالأحرى تبادر أن هاته الولاية لا يمكن تعليم المصنوعات بها على أسلوب يكفل باتيان وضع وصنع مايمكن به الصنع في مملكة أو ولاية ثانية لأن القوم لا يزالون في غفلة ، بل لا يزال الكثير منهم يجزم بأن ما تأتينا به الممالك الأجنبية من المخترعات غير مصنوعة بيد بشر مثلنا ، ولهم المذرة في ذلك حيث لم يجدوا من يوصلهم الى الدرجة التي يدركون بها ما أدرك غيرهم » . (١)

وكانت الصناعات المتوفرة في البلاد هي صناعة الملابس الوطنية باستخدام الأنوال اليدوية ، الى جانب صناعة السجاد والحصر وصياغة

(١) على مصطفى المصراي: أبو قشة وجريدته في طرابلس الغرب ص ١٢٢

الذهب والفضة وصناعة الدخان ، بالإضافة الى صيد الأسماك والاسفنج واستخراج الملح من البحر • ومعظم هذه الصناعات كان يقوم بها المواطنون العرب الليبيون واليهود المقيمون في البلاد • وكثيرا ما كان يتم استيراد المواد الخام الناقصة فقد « استورد الصناع الخيوط الصوفية الانجليزية من جزيرة جربة أولا ثم من بريطانيا رأسا ، واستيراد خيوط الحرير الصينى من مرسيليا والحرير الايطالى من ايطاليا وتصنع محليا » • (١)

من هذا نجد أن الصناعة لم تكن مزدهرة ، ولم يكن إنتاجها يمثل جانبا هاما في الاقتصاد الليبى آنذاك ، هذا اذا أخذنا في الاعتبار احتكار الأقلية اليهودية في ليبيا لمعظم الصناعات ، وسيطرتهم على أكثر الانتاج الصناعى في البلاد • وكان المواطنون يستهلكون معظم المنتجات الصناعية • وكانت بعض المنتجات تصدر الى الخارج كالسجاد الذى كانت مصر وتركيا أسواقا له ، والاسفنج الذى أقبلت عليه الأسواق الأوروبية •

(ج) التجارة :

تعتمد التجارة على توفر المنتجات الصالحة للتجارة ، وعلى الأسواق ، وعلى وسائل نقل المنتجات ، والطرق التى تربط أجزاء البلاد بعضها ببعض • وبالنسبة للمنتجات فقد تمثلت في المنتجات الزراعية والماشية والمنتجات الصناعية البسيطة • وكان لنبات الحلفا آنذاك مكان هام في التجارة الليبية وكانت الدول الأوروبية تستورد هذا النبات لاستخدامه لصنع الورق والسلال والحصر والجمال ، ولذلك قامت شركات احتكارية استغلت الناس في تقطيع الحلفا وجمعه وتخزينه وفرزه وكبسه ثم شحنه • وقد بدأت « تجارة الحلفا في مدينة طرابلس عام ١٨٦٨ ثم في الخمس عام ١٨٧٣ م وتركزت في هاتين المدينتين مع وجودها في بعض البلدان الأخرى كزليطن والطابية عند ساحل آل حامد x (٢) وكان ميناء الشحن هو ميناء طرابلس • وكانت تجارة القوافل مزدهرة في ليبيا عبر الصحراء بحكم موقع ليبيا

(١) د. الدجاني : ليبيا قبيل الإحتلال الايطالى ص ٢٤٢ •

(٢) نفس المصدر ص ٢٤٧ •

الجغرافي حيث هي حلقة الوصل بين غيرها من يحددها شمالا وجنوبا ، فان اتصال ليبيا بالسودان ووسط أفريقيا الغنى بالمواد الخام والثروة الوفيرة ، وحاجة أوروبا لهذه المواد وتلك الثروة جعل مركز ليبيا ممتازا وأدى الى ازدهار تجارة القوافل بين وسط افريقيا وشمالها وبصفة خاصة ساحل ليبيا على البحر المتوسط ، ومن ثم وجدت طرق للقوافل تعبر ليبيا من الجنوب الى الشمال ، ومن الشرق الى الغرب •

ومن دلائل ازدهار تجارة القوافل ازدهار عدة مدن ليبية سواء في الجنوب أو على طول الساحل ، فقد كانت مرزق في الجنوب - وكانت عاصمة لاقليم فزان - من أهم محطات القوافل ومراكز تجارتها لأنها كانت ملتقى عدة طرق ، كما كانت غات - القريبة من حدود ليبيا مع الجزائر في الجنوب - مركزا هاما آخر في تجارة القوافل • « أما المركز الرئيسي لتجارة القوافل فكان مدينة طرابلس التي التقت فيها أهم طرق القوافل وانطلقت منها أو حطت الرحال فيها أهم القوافل المتجهة الى أفريقيا أو القادمة منها » • (١)

كما ازدهرت عدة مدن على الساحل في طريق التجارة من المشرق الى المغرب ، ومن أمثلة هذه المدن التي كانت مراكز للتجارة ومحطات للحجيج الليبي والمغربي ، مدن مصراته والخمس وبنغازي ودرنة ، وكلها مدن ساحلية تقع على الشريط الساحلي وتمتد القوافل بما تحتاج اليه من مؤن وأماكن للراحة والمتاجرة ، ولذلك كانت الحياة فيها متجددة والنشاط التجاري كبيرا •

وبحكم موقع مدينة طرابلس وازدهار الحياة فيها باعتبارها المركز الرئيسي للتجارة فقد كانت معظم البضائع ترد اليها ثم تشحن من مينائها الى أوروبا ، وأهم هذه البضائع ريش النعام الذي كان يرد من أفريقيا وكذلك العاج والجلود الى جانب المنتجات المحلية مثل الحبوب والماشية والتمر والزيت • ويلي ميناء طرابلس من حيث الأهمية والحركة التجارية

(١) د. الدجاني : نفس المصدر ص ٢٦٤ •

ميناء بنغازى بالإضافة الى عدة مدن أخرى موانئها أقل أهمية وأقل نشاطا
مثل : الخمس وزليتن ومصراة وزوارة وسرت وسوسة ودرنة •

وكان النشاط التجارى يتركز فى يد عدة وكالات تجارية احتكارية
وبعض كبار التجار ، وكان للأقلية اليهودية دور كبير فى السيطرة على التجارة
ولذلك كثيرا ما كانت سيطرتهم هذه تدفع بعض التجار العرب الى الافلاس
حيث يعمل التجار اليهود على ذبذبة السوق • كما أن عدم استقرار الأمور
فى ربوع البلاد قلل من نشاط تجارة القوافل فتحولت هذه التجارة الى مدن
غرب افريقيا وموانئها مما أثر فى حياة السكان ومراكز التجارة اللبينة
فى الجنوب وفى الساحل • وجاء اضمحلال التجارة فى الثمانينات من القرن
التاسع عشر الميلادى •

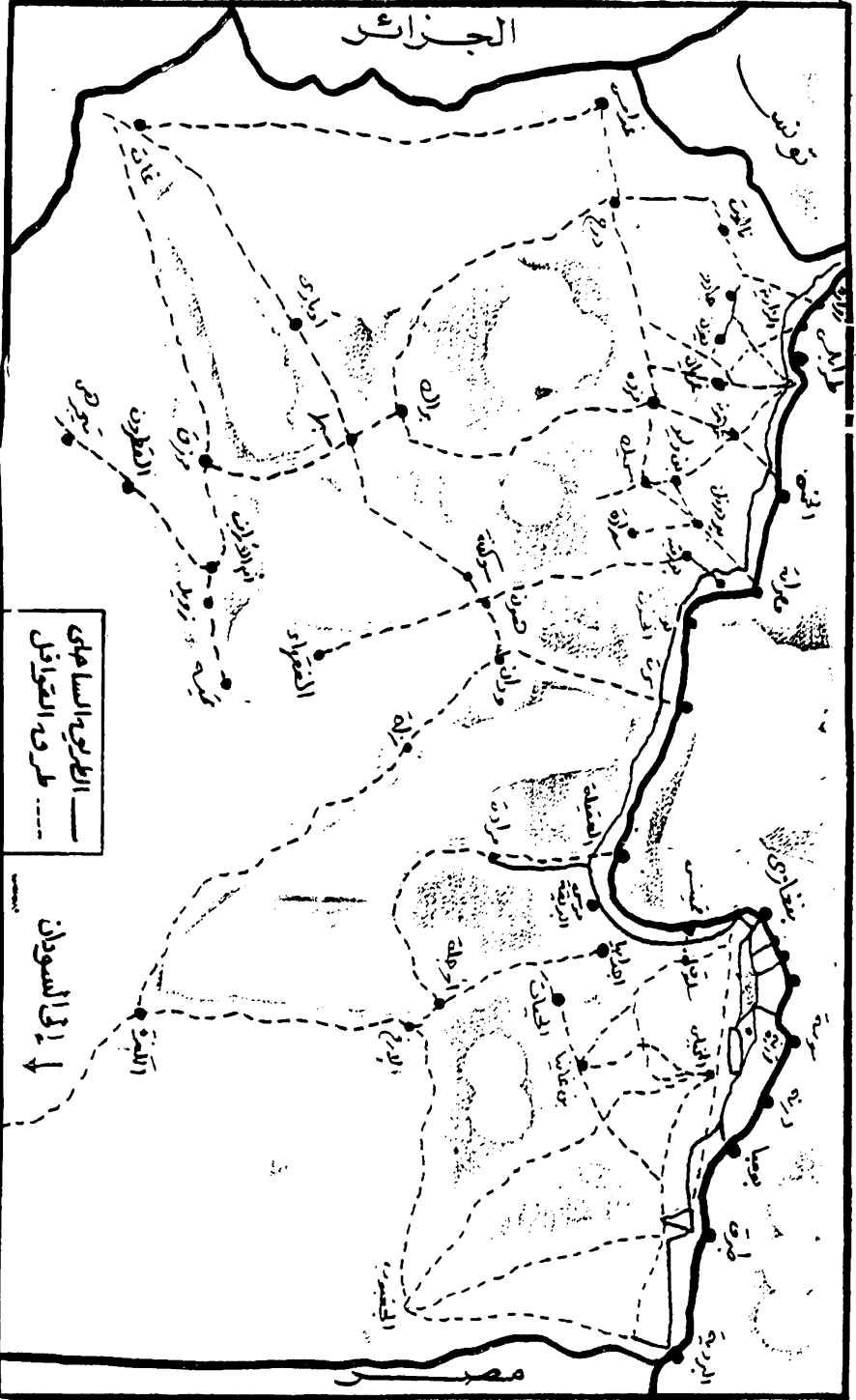
ثالثا - الظروف الثقافية :

فرض الحكم العثمانى منذ سيطرته على ليبيا ستارا كثيفا من حول
ليبيا ، فلم يسمح لها - كما هو الحال فى معظم الولايات العربية - بالاتصال
بالنهضة الحديثة التى شملت معظم نواحي الحياة فى الدول الاوروبية ،
ولذلك تجمدت حياة الناس الثقافية فى ليبيا فى العهد العثمانى ، ووقفت
حيث كانت منذ الفتح العربى الاسلامى •

ومن المعروف أن الثقافة تعنى « كل ما صنعه الانسان فى بيئته خلال
تاريخه الطويل فى مجتمع معين ، وتشمل اللغة والعادات والقيم وآداب
السلوك العام والأدوات والمعرفة والمثل والمستويات الاجتماعية والأنظمة
الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية والقضائية ، ولعل الاختلاف
بين الحياة المدنية والحياة البدائية يرجع فى جملته الى نوع الثقافة التى
تراكمت منذ سنين طويلة » (١) فانه بالنسبة لليبيا كانت اللغة العربية -
لغة القرآن الكريم دستور الاسلام - هى أولى دعائم الثقافة ، فهى لغة
التخاطب والتعامل بين جميع أفراد الشعب ، ومهما حاول الأتراك ومن بعدهم
الطليان ثم الانجليز والفرنسيون محاربة اللغة العربية ، الا أنها صمدت

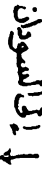
(١) د. الهادى : التربية والتغير الثقافى - ص ٤٦ •

الجزائر



الطريق السالك على طرفه العواقل

الطريق إلى السودان



أمام هذه المحاولات ، وان كانت لم تزدهر كثيرا الا أن بقاءها أمام هذه المحاولات يعتبر نصرا •

أما الدين الاسلامى وهو المقوم الثانى للحياة الثقافية فى ليبيا ، فقد كان أفراد الشعب العربى فى ليبيا يدينون جميعهم بالدين الاسلامى ويتمسكون بتعاليمه ويحافظون عليها ، هذا رغم وجود أقلية يهودية ، وجاليات أجنبية مسيحية حصلت على امتيازات من الدولة العثمانية ومارست شعائرها الدينية والاجتماعية بكل حرية مكفولة بحماية الدولة العثمانية ذاتها ، وبحكم أن الدين الرسمى للدولة العثمانية كان هو الدين الاسلامى فقد حرص كثير من الولاة على اقامة المساجد تخليدا لذكراهم واقامة الشعائر الدينية ، وقد تأثر الشعب العربى الليبى بالاشعاعات الدينية التى كانت تفد مع طلاب العلم الليبيين من الجامع الأزهر بمصر أو من جامع الزيتونة بتونس •

وقد كانت قيم الشعب العربى الليبى وآداب سلوكه ، وأدوات معرفته ومثله مستمدة من الدين الاسلامى والقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وآداب اللغة العربية ، فقد عرف عن الشعب الليبى تمسكه بدينه تمسكا شديدا ، ومن ثم جاء تمسكه أيضا بقيم ومثل وأدوات سلوك مستمدة من ركائز الدين الاسلامى وتعاليمه ، كما أن أدوات المعرفة التى استخدمها مستمدة من لغة القرآن الكريم وهى اللغة العربية • وقد حافظ الشعب على هذه المقومات الى حد كبير حتى ولو اضطر الى العزلة بعيدا عن تأثيرات القوى الأجنبية المسيطرة والمتمركزة بصفة أساسية فى المدن •

أما الانظمة الاجتماعية والاقتصادية فقد كانت تغفل مصلحة الشعب العربى الليبى - كما سبق أن أوضحت - وأما النظام السياسى - وهو ما سأحاول توضيحه فى استعراض الاحداث التاريخية التى مرت بليبيا منذ دخول العثمانيين الى البلاد عام ١٥٥١ م - فانه لم يكن هو الآخر فى خدمة الشعب الليبى صاحب الأرض والبلاد وانما سعى فقط لمصلحة الحكم الدخيل ورجاله • وأما القضاء فقد كان متأثرا بساد البلاد من نظم سياسية ولم يكن أبدا بالصورة العادلة المنصفة للحق •

وقد ساهمت الزوايا الدينية والمساجد والكتاتيب والمدارس في احياء الثقافة العربية الاسلامية وفي المحافظة عليها بنقلها من جيل الى جيل .
ومن المعروف أن المجتمعات تلجأ الى نقل تراثها الثقافى والمحافظة عليه لكى تحافظ على نفسها هى وتسعى الى بقائها ، وقد ساعدت تلك المؤسسات التعليمية على المحافظة على التراث الثقافى العربى الاسلامى فى ليبيا .

وقد قام العلماء بدور كبير فى نشر واحياء الثقافة العربية الاسلامية فى ليبيا ، سواء ولد هؤلاء العلماء فى ليبيا أم فى خارجها ثم استوطنوا فى ليبيا . وقد زار ليبيا وعاش فيها ولو بعضا من الوقت علماء من المغرب العربى ومن المشرق العربى على السواء ، وقد نقلوا اليها من العلوم والمعارف المزدهرة فى كلا الاتجاهين - المشرق والمغرب - خاصة فى جارتى ليبيا وأعنى مصر وتونس . ولذلك فاننا نجد بعض الصعوبة فى التعرف على العلماء الليبيين الذين أسهموا فى النشاط الثقافى العربى الاسلامى لان من العلماء من « ولد خارج ليبيا ثم جاء واستوطن فيها ، ومنهم من ولد بها ثم تركها واستوطن فى مكان آخر ، ومنهم من قسم حياته بين عدة بلدان بينها ليبيا ، فعلى أى أساس تحدد جنسية الشخص ؟ أعلى مولده ؟ أم على موطن ثقافته ؟ أم مكان استقراره ؟ أم مكان وفاته ؟ وما الحال اذا كان عمره مقسما بين عدة بلدان بطريقة لا تسمح بتغليب بلد على آخر ؟ » (١) . وعلى كل حال فقد كانت الاقطار الاسلامية العربية بلد كل عربى مسلم يتنقل فيها كيف شاء وأينما شاء ، ولم تكن هناك حدود أمام العلماء العرب المسلمين فى ممارسة نشاطهم الثقافى فى ليبيا مع اخوانهم الليبيين من علماء هذا القطر العربى الاسلامى .

وكان حضور طلاب العلم حلقات الدرس فى المساجد من وسائل نشر الثقافة العربية الاسلامية والمحافظة عليها فى ليبيا ، وقد قامت

(١) د. احمد مختار : النشاط الثقافى فى ليبيا - ص ٩ .

المساجد بدور كبير في هذا الشأن حيث لم يكن المسجد دار عبادة فقط بل كان مدرسة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى حيث تلقى المحاضرات والعظات وتعدّد حلقات العلم وندوات لمناقشة المعارف بين الطلاب والأساتذة ، الى جانب احتواء المسجد على أماكن لسكنى الاساتذة والعلماء المغتربين .

كما كانت المخطوطات والكتب الموجودة بدور الكتب والمكتبات الملحقة بالمساجد والزوايا والرباطات من وسائل نشر الثقافة العربية الاسلامية في ليبيا ، وقد ساهمت هذه الكتب والمخطوطات في المحافظة على تراث الثقافة العربية والاسلامية وانتشار هذا التراث .

وقد أدت الكتابات والمدارس القائمة في أنحاء البلاد الليبية دورا كبيرا في النشاط الثقافي بالبلاد « وقد كان بعضها موصولا بالمساجد ، وكان هدفها تعليم الصبيان مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ العربية ، وتحفيظهم القرآن والحديث وتعليمهم مالا يسعهم جهله من مبادئ الشريعة الاسلامية » (١) .

أما الزوايا والرباطات فقد أدت هي الاخرى دورا لا بأس به في النشاط الثقافي في ليبيا ، وساهمت في احياء التراث الثقافي العربي الاسلامي واستمراره ، وقد انتشرت الرباطات على طول الساحل الليبي وفي الطرق الصحراوية الممتدة من جنوب البلاد الى الساحل ، أما الزوايا فقد انتشرت بين القبائل الليبية ، وكانت دور علم وحمى يلجأ اليها الفارون من ظلم الحكام وقسوتهم .

هذه أهم معالم الظروف الثقافية التي توفرت بالبلاد الليبية قبل الحكم التركي وأثناءه ، وهي ظروف حددت النشاط الثقافي بليبيا وقصرته على علوم اللغة العربية والدين الاسلامي ، ولم يكن للعلوم الحديثة أى مكان في هذا النشاط ، وعندما سيطر الاتراك على مقدرات

(١) دبور : تاريخ المغرب الكبير - ص ٣٦٩ .

الامور في البلاد لم تتغير الظروف الثقافية في البلاد ، والشئ الوحيد الذي طرأ على هذه الظروف هو دخول اللغة التركية الى ميدان الثقافة في ليبيا حيث حاولت سلطات الحكم فرضها على المواطنين في معاملاتهم مع الحكومة وفي المدارس التي أوجدتها سلطات الحكم التركي على النسق العثماني .

وعندما جاء الاحتلال الايطالي حارب النشاط الثقافي العربي الاسلامي في ليبيا ليقضى على عروبة أهل البلاد واتمائهم الاسلامي ، ومن ثم فرض اللغة الايطالية في التعامل وفي المدارس التي سمح بوجودها في البلاد . الا أن أصالة التراث الثقافي العربي الاسلامي وأصالة وعروبة الشعب الليبي قاومت محاولات الغزو الثقافي الايطالي ، وبقيت مقومات الثقافة الاسلامية العربية في ليبيا بعد رحيل الظليان عن البلاد .

الا أنه يمكن القول أن النشاط الثقافي في ليبيا شهد انتعاشا محدودا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أي في أواخر سنوات حكم العثمانيين للبلاد ، وتجلت مظاهر هذا الانتعاش الثقافي في عدة أمور منها انتعاش في التعليم حيث بدىء التفكير في تعليم البنات في مدارس « حديثه » ووجدت مدرسة فنية هي مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية ، ومدرسة زراعية ودار للمعلمين ، الى جانب المدارس الابتدائية والرشدية والاعدادية ، وكل هذه الانواع من التعليم سيأتي ذكرها تفصيلا .

كما تمثل الانتعاش الثقافي أيضا في ظهور عدة صحف منها : جريدة « طرابلس غرب » وهي تصدر باللغتين العربية والتركية في ورقة واحدة ، وقد أنشأها الوالي التركي محمود نديم باشا عام ١٨٦٠ م وكانت جريدة الولاية الرسمية ، وقد بقيت حتى حدوث الغزو الايطالي للبلاد الليبية عام ١٩١١ م . ثم ظهرت « سالنامة الولاية عام ١٨٦٩ م ، وهي تقويم سنوي يضم مجموعة أبناء رسمية ونبذ علمية وتاريخية واحصاءات تشترك في تربيها واعدادها مختلف دوائر حكومة الولاية

وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية (١) » •

وقد صدرت عدة صحف أخرى أيضا منها « الترقى » التي صدرت عام ١٩٠٦ م ، وكانت جريدة سياسية علمية أدبية أسبوعية يصدرها ويشارك في تحريرها مجموعة من الشباب المثقف • ومجلة « الفنون » عام ١٨٩٨ م ، وكانت أول مجلة تصدر في ليبيا تهتم بالنواحي العلمية المصورة • ثم جريدة « العصر الجديد » التي صدرت بعد أن انتهى حكم السلطان عبد الحميد ، وكان صاحبها وطني غيور وصاحب سياسة اصلاح وهو محمد على البارودي • ولم يخل الميدان الصحفي آنذاك من الفكاهة ، فقد وجدت جريدة فكاهية عام ١٩٠٨ م هي « جريدة أبي قشة » وصاحبها صحفي تونسي هاجر الى طرابلس وهو الهاشمي أبو قشة التونسي وقد اهتمت هذه الجريدة بالسياسة الداخلية والخارجية « ومحاربة العادات السيئة ، وعنت بالتعليم والوعظ والادب الشعبي ، وكان أسلوبها سهلا ساخرا ، وقد شارك في تحريرها عدد من الكتاب منهم : محمود نديم بن موسى وأحمد الفساطوى وقاسم الشقرون وأحمد صديق المصرى الذى كان مقيما بطرابلس » (٢) •

ولا ينتهى حديثنا عن الصحف الليبية فى العهد العثمانى دون الاشارة الى الصحيفة التى أصدرها الزعيم سليمان البارونى بالقاهرة « عام ١٩٠٨ م وطبعها فى مطبعته وأسماها الاسد الاسلامى » (٣) وقد كان شغلها الشاغل أخبار ليبيا بصفة خاصة والقضايا السياسية التى سادت الاوساط العامة فى ذلك الوقت •

وإذا كانت الصحافة قد اتعشت وأنعشت النشاط الثقافى بليبيا فى أواخر سنوات الحكم العثمانى للبلاد ، فقد ظهر بعض الشعراء الذين أسهموا بدور لا بأس به فى التوعية السياسية والاجتماعية لهم الشعراء

-
- (١) د. الدجاني : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى - ص ٢٧٨ •
 - (٢) على المصراتى : كفاح صحفى ابي قشة وجريدته - ص ١٣ •
 - (٣) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

مصطفى بن زكري (١٨٥٣ — ١٩١٧) وأحمد الشارف (١٨٦٤ — ١٩٥٨ م) وغيرهم ..

ومما يجدر ذكره هو انتعاش النشاط الثقافي في هذه السنوات الاخيرة للحكم العثماني للبلاد عن فترات الحكم السابقة . ورغم أن هذا الانتعاش الثقافي تفاعل مع النشاط الثقافي الفكري في أجزاء الوطن العربي خاصة مصر وتونس الا أنه كان تقليديا ولم يكن مبتكرا بكل معنى هذه الكلمة .

« أما حركة النشر فكانت ضئيلة جدا ولا نكاد نجد كتابا واحداً طبع في طرابلس، وهناك عدة كتب طبعها مؤلفوها الطرابلسيون في القاهرة منها ديوان ابن زكري وما نشره سليمان الباروني من كتب الاباضية » (١) وقد وجدت أيضا بعض المطابع الا أنها كانت بدائية ولم تكن بها الامكانيات الكافية لمواجهة أى نشاط ثقافى ، فقد وجدت مطبعة بمدرسة الفنون والصنایع الاسلامیة وعدة مطابع في أیدی الاقلية اليهودية لطباعة الاوراق التجارية وما شابه ذلك .

بهذا الاستعراض المجمل للظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عايشها الشعب العربي الليبي قبل وأثناء الحكم العثماني للبلاد لا تكتمل الصورة دون الاشارة الى الظروف السياسية التي مرت بالبلاد الليبية في العصر العثماني ، وهي ظروف امتدت عبر ثلاثة عصور عثمانية هي : العصر العثماني الاول ويبدأ من عام ١٥٥١ م وهو العام الذي بدأ به الحكم العثماني في ليبيا الى عام ١٧١١ م عندما استولى على مقاليد الامور في البلاد جندي من جنود الحامية العثمانية هو أحمد القره مانلى وأقام حكما ذاتيا وراثيا مكونا العصر العثماني الثاني « القره مانلى » من عام ١٧١١ — ١٨٣٥ م . ثم جاء العصر العثماني الثالث الذي بدأ عام ١٨٣٥ م بنهاية حكم الاسرة القره مانلية وعودة الحكم العثماني المباشر الذي استمر الى عام ١٩١١ م عند حدوث الغزو الايطالى للبلاد .

وفي الصفحات التالية استعراض لهذه العصور العثمانية الثلاثة أسوقها قبل أن أتناول الحديث عن التعليم في العصر العثماني بأكمله .

(١) د. الدجاني : نفس المصدر ص ٢٨٩ .

العصر العثماني الأول

١٥٥١ — ١٧١١ م

انتهت فترة حكم فرسان القديس يوحنا الذين استقر بهم المقام في مالطة ومنها تسلموا الحكم في طرابلس خلفا للحكم الاسباني عام ١٥٣٥ م ، انتهت فترة هذا الحكم بوصول حملة عسكرية تركية بقيادة سنان باشا قائد الاسطول التركي في ١٣ شعبان ٩٥٨ هـ الموافق ١٦ أغسطس ١٥٥١ م .

وكان استيلاء العثمانيين على طرابلس يمثل اتمام الحلقة في أملاك الدولة العثمانية بعد استيلائهم على مصر عام ١٥١٧ م من يد المماليك وورثوا دولتهم وبعد أن امتد نفوذهم بصفة فعلية على الجزائر عام ١٥١٨ م ، ولذلك كان مجيء العثمانيين الى طرابلس شيئا طبيعيا يتسق مع تطور الحوادث التي مرت بالعالم العربي الذي أخذت أجزاءه تخضع للقوة العثمانية التي أخذت تمد سلطانها على هذه الاجزاء سواء في المشرق أو في الشمال الافريقي .

كما كان استيلاء العثمانيين على ليبيا يمثل قمة الصراع البحري بين الاسطول العثماني وأساطيل الدول الاوروبية المنافسة مثل أسبانيا التي تمثل القوة المسيحية الاوروبية ، ثم أسطول فرسان القديس يوحنا الذين كان نشاطهم صليبيا ضد الاراضي العربية الاسلامية ، ومن ثم كان استنجد « جماعة من أهل تاجوراء — ضاحية قريبة من طرابلس — الذين ركبوا شينيا — سفينة — وتوجهوا لصاحب القسطنطينية — السلطان العثماني عام ٩٥٦ هـ — الموافق ١٥٤٩ م — وكان صاحب القسطنطينية اذ ذاك السلطان سليمان الأول ، يطلبون منه العون ، للتخلص من النصارى — فرسان القديس يوحنا — وأن يولى عليهم

واليا يلي أمرهم ، فاستعمل عليهم مراد أغا وقدموا به لبلدهم ، وهو أول وال تركى فى طرابلس الغرب » (١) •

وبهذا كان استنجد أهل تاجوراء بالسلطان العثمانى لتخليص بلادهم من عسف الفرسان الماطيين هو السبب المباشر الذى أدى الى مجيء العثمانيين الى ليبيا وهو السبب الذى عجل بمجيئهم حيث أوقف أهل تاجوراء العثمانيين على أحوال البلاد وضعفها واستعداد أهلها للقيام فى وجه فرسان مالطة اذا وجدوا قوة عثمانية مسلمة تؤازرهم •

جاء مراد أغا بقوة صغيرة ونزل بتاجوراء ، وحاول الاستيلاء على طرابلس فامتنعت عليه فاستغاث بالسلطان ، وجاءت هذه الاستغاثة فى الوقت الذى كانت فيه البحرية العثمانية تعمل فى البحر الابيض المتوسط وتلقى الرعب فى نفوس الافرنج وتهدد أساطيلهم بفضل شجاعة سنان باشا قائد الاسطول العثمانى ومساعدته درغوت بك ، فاستجاب السلطان لاستغاثة مراد أغا وأمر سنان باشا بالتوجه الى طرابلس لمساعدة مراد أغا ، وقد تم بالفعل الاستيلاء على طرابلس فى أغسطس سنة ١٥٥١ م وتولى مراد أغا ولاية طرابلس الغرب — ليبيا — كأول وال عثمانى •

كان الولاية يأتون من استانبول مصحوبين بفرمانات سلطانية ، وكان الوالى أو الباشا ، يستعين فى ادارة الولاية بمجلس الديوان ويرأسه الالدى ، وبالحمية الانكشارية ويرأسها الباي ، وكثيرا ما كان الالدى والباي يستأثران بالحكم الفعلى فى البلاد فى حالة ضعف الباشا ، وكثيرا ما يحدث الخلاف بينهما ويجر هذا الخلاف على البلاد الخراب والدمار •

ونظرا لحرص السلاطين على تقصير مدة الولاية حتى لا يستقل الواحد منهم بولايته ، فان عدد من تولى ليبيا من الولاية فى هذه الفترة (١٥٥١ — ١٧١١ م) بلغ ثلاثة وأربعين واليا ، اطمأن السكان الليبيون فى وطنهم فى عهد بعض الولاية بينما اضطروا فى عهد البعض الآخر الى

(١) ابن غلبون : تاريخ طرابلس الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ص ٩٣ •

الثورة المسلحة ضد الحكم التركي بما ارتبط به من مظاهر الظلم
وسوء الإدارة •

ويمكن أن نعدد أهم الولاة في هذا العصر الاول ممن كان لهم تأثير
في حياة ليبيا ومن تركوا آثارا تدل على سياستهم في حكم البلاد ••
من هؤلاء أول الولاة مراد أغا الذي حكم ليبيا مدة عامين استطاع
خلالها أن يؤمن المواطنين على حياتهم وجعل الهاربين من المدن في عهد
الاسبان وفرسان مالطة يعودون اليها ويمارسون حياتهم العادية ، وقد
بنى مسجدا ببلدة تاجوراء ليخلد به اسمه وقد ساعده في البناء الاسرى
من الاوربيين وألحق بالمسجد مدرسة لتعليم الاولاد ، ومات سنة ١٥٥٥م
ودفن بمسجده الذي لا يزال قائما حتى اليوم • وهذا المسجد « من أكبر
الجوامع الموجودة في القطر الطرابلسي • وقد نقل له - مراد أغا -
أعمدة الرخام من مدينة لبده ، المدينة الاثرية المشهورة بطرابلس » (١)

ومن الولاة كذلك درغوت باشا الذي حكم البلاد اثنتي عشرة سنة
من ١٥٥٣ الى ١٥٦٥ م ، وفي عهده عرفت البلاد طبقة اجتماعية جديدة
هى طبقة « القول أوغلية » فحينما حضر درغوت الى طرابلس حضر معه
عدة آلاف من جند الانكشارية ، وبمرور الزمن اختلطت بالأهالى
وتناسلت ، فتكونت طبقة القول أوغلية ، التى كانت قليلة العدد فى أول
الأمر لكنها سرعان ما تكاثرت بمرور الزمن واستمرار مجيء العثمانيين
وزاد نفوذها • ومن أعمال درغوت أيضا جعله مدينة طرابلس القاعدة
البحرية للأسطول العثمانى فى غرب البحر الأبيض المتوسط بعد أن كون
أسطولا ضخما ، وقد بنى لنفسه مسجدا مازال موجودا وقد دفن فيه
بعد أن توفى فى صدام مع فرسان القديس يوحنا قرب مالطه عام ١٥٦٥ م ،
وقامت سياسته على « تشجيع الزراعة واهياء الصناعة ، وانعاش التجارة
واسعاف السكان بما يرفه عنهم شظف العيش ، وكان يعتمد فى أكثر
نفقاته على الغنائم التى يأتى بها الاسطول فى غزواته على أوروبا » (٢)

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية - ص ٩٣ .

(٢) الزاوى : ولاة طرابلس - ص ١٥٦ .

ومن الولاة الذين حكموا في هذه الفترة أيضا محمد التركي من عام ١٥٧٨ الى عام ١٥٨٦ م • وجعفر باشا الذي حكم من عام ١٥٨٦ الى عام ١٦٣١ م وفي عهده كان الحكم العثماني في ليبيا مهددا من قبل ثورة الوطنيين ضد ظلم الانكشارية وفوضى الحكم العثماني ، تلك الثورة التي قامت من تاجوراء بزعامة مواطن يدعى يحيى السويدي ، ولكن الخيانة قضت عليه وعلى ثورته •

وفي عهد محمد باشا الساقرلي من عام ١٦٣١ الى عام ١٦٤٩ م ومن بعده عثمان الساقرلي من ١٦٤٩ الى عام ١٦٧٢ م ، أصبحت ليبيا كلها ولاية واحدة باخضاع برقة للحكم العثماني ، وقد أنشأ عثمان مدرسة في طرابلس تعرف باسمه الى اليوم في باب البحر ، « وهي من المعاهد التي لها الفضل الاكبر على أبناء طرابلس في نشر العلم والمحافظة على القرآن الكريم ، وما زالت تحمل اسم مدرسة عثمان باشا » (١)

ثم جاء عهد آخر ولاة هذا العصر العثماني الاول من حيث الاهمية وهو محمد باشا الملقب بشائب العين من عام ١٦٨٨ الى عام ١٧٠٢ م وصهره خليل باشا من ١٧٠٢ الى ١٧٠٩ م حيث بنى شائب العين مسجده المعروف الآن في سوق الترك بمدينة طرابلس ، واهتم بالاسطول الذي ساعده فيه صهره خليل ، الذي استمر في السياسة عينها بعد أن تسلم حكم الولاية فبنى مسجدا في حي الظهرة بمدينة طرابلس •

تميز هذا العصر العثماني الاول في حكم ليبيا بسياسة المحافظة على الوضع كما هو دون تغيير والحرص على استمرار بقاء البلاد تدين بالولاء لها ، وقد دفع هذا الحرص الولاة على عدم ادخال تغييرات أساسية في نظم البلاد الداخلية ولا في حياة أهلها وذلك لعدم رغبتهم في التدخل في حياة الناس طالما بقوا تابعين للدولة •

ويمكن أن نحدد ملامح السياسة العثمانية في حكم ليبيا في تلك الفترة في النقاط الآتية :—

(١) الزاوي : معجم البلدان الليبية - ص ٣٠٢ •

أولا : التمسك باحتلال ليبيا كهدف استراتيجي يسهم في تأكيد سيطرة العثمانيين على البحر الابيض المتوسط ومعظم البلاد المطلة عليه وخصوصا في قارتي آسيا وافريقيا ، وقد استدعى هذا أن جاء احتلالهم لطرابلس قاصرا على الساحل دون النظر كثيرا للداخل ، بل ان اخضاع فزان وبرقة جاء متأخرا بعد احتلال طرابلس بسنوات كثيرة .

ثانيا : رغبة الحكومة العثمانية في بقاء ليبيا ولاية عثمانية أدى الى عدم ابقاء الوالى في مركزه لفترة طويلة مخافة أن يستقل بالبلاد مما أدى الى أن جميع الولاة الذين تولوا حكم البلاد لم تكن لهم سياسة معينة في استغلال الاراضى الزراعية أو تشجيع الصناعات المحلية أو التجارة الداخلية والخارجية ، كما لم تكن لهم سياسة معينة في نشر التعليم والعناية بالصحة . ولم تكن هذه السياسة العثمانية خاصة بالايالة الطرابلسية فحسب بل كانت سياسة عامة طبقتها الدولة العثمانية في كثير من البلاد العربية التى خضعت لحكمها حيث جعلت منصب الوالى لفترة محدودة « حتى لا تكون لديه فرصة كافية لوضع الخطط والمشروعات لتحقيق أطماع خاصة » (1)

ثالثا : موقع هذه الولاية من الممتلكات العثمانية وبعدها عن الآستانة ، وعدم تصور الحكومات العثمانية المتعاقبة لحقيقة الوضع فيها ، جعل هذه الولاية لا تأخذ من اهتمام الدولة العثمانية الشئ الكثير هذا الى جانب أنها لم تكن تدر أموالا كثيرة على الدولة ، ولذلك لم يكن لولاية ليبيا ولا لشعبها صوت مسموع عند الباب العالى .

رابعا : اذا كانت لبعض الولاة جهود في البناء الداخلى بولاية طرابلس

(1) د. محمد أنيس : الدولة العثمانية والشرق العربى - ص ٤٢ .١

الغرب فقد كانت هذه الجهود نتيجة لما يعود من نشاط الاسطول في البحر المتمثل في الأسلاب والمغانم ، كما أن هذه الجهود فردية ولا تقوم على تخطيط أو سياسة ثابتة ولذلك فانها كانت تتوقف بانتهاء مدة ولاية صاحبها •

خامسا : سعة رقعة البلاد وقلة السكان فيها وانعدام المواصلات وبطء الحركة ، كل ذلك أخر سيطرة العثمانيين على كل ليبيا بل أدى الى أن تكاد سيطرة الوالى العثمانى تقتصر على المدن الساحلية فقط بينما البلاد الداخلية لا تخضع لهذه السيطرة وكثيرا ما أعلنت الثورة عليها ، ولقد ظهرت ثورات كثيرة من الليبيين ضد هذه السيطرة العثمانية وصعب على الولاة اخضاعها •

سادسا : كانت ليبيا تسمى في العصر العثمانى الأول اىالة طرابلس « حيث كانت طرابلس وبرقة تشكلان اىالة واحدة » (١) ، وكانت تنقسم من الناحية الادارية الى ثلاثة ألوية هى لواء طرابلس ، لواء مصراته ، لواء بنغازى •

•• وكان كل لواء ينقسم الى عدة أقضية وكل قضاء الى عدة نواحي وكانت مدينة طرابلس هى عاصمة الايالة وبها مقر الباشا وهو صاحب السلطة العليا بحكم أنه يمثل السلطان وفى مراكز الايالة يعين الوالى نوابا عنه لحكمها كما يرسل معهم حامية من الجند لاقرار النظام ولضمان جمع الاموال •

سابعا : سوء الادارة وما يتبعه من نتائج اقتصادية سيئة وكان طابع الحكم العثمانى فى ليبيا كغيرها من الايالات العثمانية — وقد تجلى سوء الادارة فى اهمال الجانب البدوى من البلاد وهو الجانب الاكبر فقد ظل بعيدا عن اهتمام العثمانيين وبقي أمره فى يد رؤساء القبائل يدبرون أمره بأسلوبهم البدوى التقليدى

(١) عزيز سامح : الأتراك العثمانيون فى شمال افريقيا — ص ٢٠٨ •

ويجعلونه مسرحا لعداواتهم وخصوماتهم وحروبهم — وهى صورة من خصومات العرب وحروبها فى الجاهلية — مما أشعل البادية بنيران حرب ضروس ، تبتد فىها الغرائز القبلية فى أشنع صورها ، دون أن يملك الحكام المقيمون فى المدن لقاءها شيئا الا أن يقدموا إليها وقودا جديدا يزيدها اشتعالا . هذا فى وقت كان الناس يعيشون فيه معيشة بائسة وصلت الى أنهم كانوا يدفعون ضرائب للوالى على كل نخلة وزيتونة وبيضة فى السنة « وان دلت ضريبة البيضة على شىء فانما تدل على بؤس الحالة الاقتصادية التى تعانيها ليبيا ، والفقر الذى عم أرجاءها والاستبداد القاتل الذى أوصل البلاد الى هذه الحال » . (١)

وبالجملة فقد كان اهتمام الدولة العثمانية بليبيا عسكريا أكثر منه مدنيا واقتصرت عنايتهم التى ظهرت فى جهود بعض الولاة — على بعض المدن الساحلية ولذلك لم تنتعش البلاد فى أيامهم ، بل بالعكس تجمدت حيث كانت مما جعلها مسرحا للفوضى وسوء الحكم ، ولما ضعفت الدولة العثمانية الى حد استئثار الكثيرين فى ولايات الدولة العثمانية بالسلطة محليا قامت أسرة القره مانلى فى البلاد عام ١٧١١ م .

(١) الزاوى : ولاة طرابلس — ص ١٧٩ .

العصر العثماني الثاني

(القره مانلى) ١٧١١ - ١٨٣٥ م

عاشت ليبيا في العهد العثماني الاول وبصفة خاصة أواخر القرن السادس عشر وطوال القرن السابع عشر تعاني من الفوضى الشاملة التي حلت بالبلاد نتيجة سوء الحكم والادارة وقيام الثورات الشعبية في مختلف أنحاء البلاد والفتن بين جند الانكشارية الذين انصرفوا عن مهمتهم الاصلية وهى الدفاع عن البلاد الى مهمة أخرى سعوا من ورائها الى الكسب والشهرة وهى عزل الولاة أو الثورة ضدهم والسلب والنهب من الاهالى ، « وهذا العهد المظلم الذى يتولى فيه التترزى وبائع القهوة منصب الولاية هو الذى أثر على طرابلس الغرب — ليبيا — ثقافيا واقتصاديا وسياسيا ، وهو الذى قعد بها عن اللحاق بجارتيهما مصر وتونس » • (١)

وقد تولى حكم ليبيا في أوائل القرن الثامن عشر من ١٧٠١ الى ١٧١١ م — تسعة ولاة انصرف الكثير منهم — كغيرهم من الولاة الذين سبقوهم — الى الاشتغال بمصالحهم الشخصية ، دون القيام بأى عمل للقضاء على حالة الفوضى التي كانت تعم البلاد ، وكانت هذه الحالة تستلزم وجود شخصية قوية تستفيد من هذه الحالة لتظهر أمام الناس كمنقذ من هذه الحالة التي تعاني منها البلاد •

وقد استفاد أحمد القره مانلى من هذه الظروف لمصلحته وهو سليل أسرة تركية جاء مؤسسها الأول كأحد جنود درغوت في عام ١٥٥٣ م الى طرابلس وتزوج زوجة عربية ليبية ، ثم تدرج أفراد هذه الاسرة حتى

(١) الزاوى : ولاة طرابلس — ص ٢٠٩ •

تولى أحمد هذا عمالة المنشية — وهى ضاحية من ضواحي طرابلس — من قبل الوالى ، وقد وقف أحمد موقف المنفرج من الخلافات التى كانت تقوم بين الديوان والباشا وجنود الانكشارية وأظهر أنه لا يحتاج لاي فريق وأنه الشخصية التى يمكن لها السيطرة على الموقف •

ويرجع اسم قره مانلى الى ائتماء الاسرة « لبلدة قرمانيا الواقعة جنوبى هضبة الاناضول بأسيا الصغرى فهو تركى الاصل (١) » • ولكنه كان طموحا ، فقد انتهز فرصة الحرب الدائرة على تولى حكم طرابلس وأظهر نفسه فى موقف عدم الانحياز لاي طرف من أطراف النزاع حتى يفوز برضاء الجميع ، وكان موقفه حكيما فى هذا الصراع اذ كفى نفسه شر الانغماس فى هذا الصراع مؤقتا حتى يضعف الجانبان المتنازعان فيسهل أمامه الطريق ••

استطاع أحمد القره مانلى بسياسته هذه أن يستقطب كثيرا من جند الانكشارية وأعضاء الديوان ، بل ومعظم أعيان طرابلس ، وأن يؤثر فيهم حتى قرروا توليته واليا عليهم ، بل والوقوف بجانبه أمام تعيين السلطان العثمانى واليا غيره — كان خليل باشا الذى سبق له تولى الحكم فى ليبيا بعد محمد باشا شائب العين صهره — وكان وقوف الجنود سببا فى قهر أحمد بك القره مانلى لحملة الوالى المعين من قبل السلطان وهو خليل باشا ، كما كان لتأييد أعيان طرابلس لاحمد بك القره مانلى الاثر الاكبر فى حصوله على فرمان من السلطان بتوليته ايالة ليبيا فى شهر أغسطس عام ١٧١١ م •

حكم أحمد باشا القره مانلى ايالة ليبيا ٣٤ عاما من عام ١٧١١ م الى ١٧٤٥ م استطاع خلالها تثبيت حكم الاسرة القره مانلية فى ليبيا بل وتأكيد سيطرته على كل أنحاء ليبيا فى برقة وفزان الى جانب طرابلس ، وقد تخلص من قادة جند الانكشارية المناوئين له ، كما حارب الثورات الشعبية حربا عنيفة استغرقت معظم سنوات حكمه حتى هدأت الاحوال

(١) حسن محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر — ص ١٨٠ •

في البلاد وخضعت خضوعا تاما ، واستعان بأعيان البلاد في جمع الاموال
للصرف منها على هذه الجهود ، بل وفي ارسال الهدايا للسلطان العثماني
حتى يضمن بقاءه بل ويحصل منه على موافقته في جعل ليبيا وراثية
لبنيه من بعده . وفي الواقع كان « عهده أحسن عهود الاسرة القره مانلية
بل وأحسن العهد التركي كله » (١)

ومن الممكن أن نستعرض بعض أعمال أحمد القره مانلي التي خلدت
اسمه وأثرت في ليبيا تأثيرا كبيرا ، والتي يمكن أن نوجزها فيما يلي : -

(١) اهتم بالاسطول « فأعاد له شهرته التي كانت له أيام درغوت
باشا ، وأعلن الجهاد ضد السفن الاوروبية ، وقد كسب من وراء مهاجمة
سفن الدول الأوروبية الاموال والغنائم الكثيرة » (٢) وقد أدى تهديده
للسفن الاوروبية الى القاء الرعب في قلوب الاوروبيين من القوة البحرية
الليبية في عهده ، كما ضمن عدم مهاجمة الشواطئ الليبية من السفن
الاوروبية .

(٢) « استعاد السيطرة على فزان التي كانت دائما بعيدة عن سيطرة
الحكم التركي بطرابلس ومن ثم افتتحت طرق التجارة من افريقيا » (٣)
فاستفادت البلاد كثيرا من دخل تجارة القوافل واتعشت حالة الاهالي
الاقتصادية فضلا عن أنها كانت موردا لزيادة أموال خزينة الباشا .

(٣) لعل أهم انشاءاته بطرابلس جامعته المشهور الذي بناه عام
١٧٣٧ م — على منوال الولاة الذين سبقوه — على أنقاض المسجد
الذي كان عمرو بن العاص قد أسسه عند فتح مدينة طرابلس « وألحق
بهذا المسجد مدرسة وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة وهي التي لا زالت
قائمة الآن تحت اسم كلية أحمد باشا » (٤) الى جانب بناء القلاع
والحصون وتزويد طرابلس ومينائها بمورد ماء عذب دائم ، ومن أعماله

(١) الزاوي : ولاة طرابلس — ص ٢٢٣ .

(٢) حسن محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر — ص ١٨٢ .

(٣) حسن محمود : نفس المصدر .

(٤) الزاوي : معجم البلدان الليبية — ص ٣٠٢ .

أنه « اتخذ جمعية علمية لحسم النوازل والمحاکمات الشرعية ، وكان
لين العريكة يؤثر العدل والانصاف » . (١)

وتوفى أحمد باشا عام ١١٥٨ هـ الموافق عام ١٧٤٥ م وخلفه ابنه
محمد باشا الذى قضى فى الحكم حوالى ٩ سنوات ، وقد ورث حكم
البلاد بعد أن استقر أمرها وزادت إيراداتها وأصبحت مهابة الجانب من
الدول الأوروبية ، ولذلك فقد اتجه محمد باشا الى الاهتمام بالاسطول
وهاجم به سواحل أوروبا الجنوبية فأقلق بذلك الدول البحرية بصفة
خاصة وأسرت الى عقد المعاهدات معه لتأمين شره وكانت انجلترا أول
هذه الدول وقد عقدت معاهدة بين انجلترا وليبيا عام ١٧٥١ م والواقع
أنه « اذا كان عقد مثل هذه المعاهدات يعطينا فكرة صادقة عن مدى
تطور القوة البحرية الليبية ومركزها فى البحر الأبيض المتوسط فانه كذلك
يرينا مدى ما وصلت اليه ولاية ليبيا من استقلال ومظهر للسيادة
الخارجية اذ أن هذه المعاهدة التى عقدت بين ليبيا وانجلترا تمت بدون
علم السلطان » (٢) .

ولم يعيش محمد باشا كثيرا اذ توفى عام ١٧٥٤ م وتولى بعده ابنه
على باشا الأول الذى حكم ما يقرب من أربعين سنة ، بدأ عهده باتباع
السياسة البحرية التى سار عليها من سبقوه فعقد معاهدات مع دول
أخرى ، الا أن انتشار المجاعة والأمراض فى البلاد منذ عام ١٧٧٤ م ،
وعجز الحكومة عن دفع مرتبات الجند ، الى جانب تنازع أولاد الباشا ،
بالإضافة الى الثورات الشعبية التى قامت هنا وهناك فى أنحاء البلاد
ضد ما أصابهم من سلب ومظالم . أدى كل ذلك الى تدخل السلطان
بتعيين وال آخر هو على برغل باشا الذى أجبر الاسرة القره مانليه على
مغادرة ليبيا ، الا أنها عادت الى الحكم فى طرابلس الغرب بمساعدة
والى تونس ، الذى توسط بين القره مانلين وبين السلطان العثمانى حتى
تم تعيين أحمد الثانى بن على باشا واليا على كل ليبيا الا أن أخاه يوسف

(١) النائب : المنهل العذب - ص ٣٢٥ .

(٢) مصطفى بعيو : من تاريخ ليبيا - ص ١٠٠ .

اغتصب منه الحكم وحصل على فرمان من السلطان عام ١٧٩٥ م .

يعتبر يوسف باشا القره مانلى فى نظر بعض المؤرخين أعظم أمراء الاسرة القره مانلية ويعزون ذلك لما أصاب البلاد فى عهده الذى امتد من عام ١٧٩٥ الى عام ١٨٣٢م من رخاء وتقدم نتيجة لقضائه بيد من حديد — على الثورات الشعبية والقنن التى لم تهدأ على الاطلاق ضد حكم الاجانب غير العرب . ونتيجة لتأكيد نفوذه على كل أنحاء البلاد ، والى تأكيد السيطرة البحرية فى البحر المتوسط مما زاد فى الاتاوات التى تدفعها له الدول الاوروبية كما زاد مركز ليبيا فى عهده بعد استيلاء نابليون على مصر عام ١٧٩٨ م واتصاله بيوسف باشا من أجل تأمين سلامة القوات الفرنسية بمصر وامدادها بالمؤن والمعدات اللازمة . الا أن المؤرخ المنصف « قد يجد فى بداية حكم يوسف القره مانلى مايفسح المجال للأمل فى الاصلاح حتى اذا ما قارب النهاية من سيرته وجد من الشناعات ما يعث الحسرة ويفتح باب اليأس على مصراعيه ، ويرغمه على القول بأن عهد الترك هو السبب المباشر الذى قعد بليبيا عن اللحاق بجارتها مصر وتونس » (١)

الا أنه حدث أن اصطدم يوسف بالولايات المتحدة الامريكية بحرا ولكنه عجز عن اخضاعها لارادته ولدفع الاتاوات التى تدفعها له الدول الاوروبية ، فكان ذلك العجز — الذى انتهى بعقد معاهدة بين الطرفين فى يونيو عام ١٨٠٥ م — سببا فى ضعف مركزه أمام الدول الاوروبية التى سارعت الى التمرد على شروطه ورفض مطالبه ، فى الوقت الذى كان يعيش فيه معيشة أسطورية كلها بدخ وتترف زائد مما جعله عرضة لثورات شعبية ضد اجراءاته لجمع الأموال بل ولتهديد الدول الاوروبية له وفرض شروطها عليه ، وانتهى به الامر الى التنازل عن الحكم لابنه على الثانى عام ١٨٣٢ م ، ولكن هذا الحل لم يرق للوطنيين الذين طالبوا السلطان العثمانى بتخليصهم من هذه الاسرة فأرسل عام ١٨٣٥ م والياً

(١) الزاوى : ولاة طرابلس — ٢٣٣ .

من الآستانة هو نجيب باشا الذى خلع على باشا وتولى مكانه وعادت ليبيا من جديد تحكم حكما مباشرا من قبل السلطان العثماني كما كان الحال قبل حكم الأسرة القره مانلية .

حكمت الأسرة القره مانلية ليبيا مائة وأربعا وعشرين سنة (١٢٤) من عام ١٧١١ م الى عام ١٨٣٥ م حكم خلالها ٦ أمراء من الاسرة حكما وراثيا ومع ذلك لم يستطيعوا الاحتفاظ بالبلاد لأنه لم تكن لهم — شأنهم في ذلك شأن الحكام الاتراك — سياسة واضحة ومرسومة لحكم البلاد والمحافظة عليها والأخذ بيدها ولذلك لم تكد البلاد تشعر بشيء من الاستقرار في بدء حكم الاسرة حتى عادت الى حالتها من الفوضى الشاملة .

وكانت السياسة الوحيدة التي حرص عليها أمراء الأسرة هي الحصول على الاموال بكل وسيلة للصرف منها على حياة البذخ التي كانوا يحيونها في قصورهم الفخمة ، وكانت سياستهم هذه ذات شقين : الأول فرض الضرائب على الناس واتخاذ الاساليب التعسفية في جمعها على يد جنود الانكشارية الذين كانوا من أدوات الامراء القره مانليين في حكم البلاد .

وأما الشق الثاني من السياسة التي اتبعها الامراء القره مانليون في حكم ليبيا فكانت اتباع أسلوب القرصنة في البحر الأبيض المتوسط ، وحقيقة كان هذا الأسلوب سائدا في تلك القرون في هذا البحر ، ولكنه لم يكن أسلوب دول وانما كان أسلوب أفراد وعصابات ، ولجوء الأمراء القره مانليين الى المغالاة في هذا الاسلوب — وان كان في البداية قد در عليهم الأموال الطائلة وأوقع الرعب في قلوب الاوروبيين الا أنه أدى في النهاية الى التحالف ضد هذا العمل ومن يقوم به .

فقد قررت الدول الاوروبية في مؤتمر عقد بمدينة فيينا عام ١٨١٥ م محاربة أعمال القرصنة ولذلك وقفت من ليبيا موقف العداء ، بل وحاولت كل دولة أن تفرض على ليبيا — في أواخر عهد الاسرة القره مانلية — الاتاوات والشروط كما كانت تفعل قبلا ، ولعل فشل يوسف باشا في

فرض سياسته البحرية على الولايات المتحدة الامريكية ثم احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٠ م أدى الى ضعف ليبيا بحريا بل والى القضاء على سيطرة الأسطول الليبي .

ونخلص من كل هذا الى أن ليبيا في عصر تلك الأسرة لم تستفد شيئا ذا بال نتيجة لتلك السياسة غير المرسومة والتي لم تكن توضع في حسابها الشعب العربي في ليبيا اللهم الا ما قام به مؤسس هذه الأسرة أحمد باشا من اشراك بعض الوطنيين في الجيش وفي ادارة البلاد ليستجلب محبة الناس « خاصة بعد أن جعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية وان كانت اللغة التركية لم تختف تماما ، الا أن هذا العمل من جانبه كان سنة طيبة نسج على منوالها من جاء بعده من أبناء أسرته » . (١)

(١) حسن محمود : ليبيا بين الماضي والحاضر - ص ١٨٥ .

العصر العثماني الثالث

١٨٣٥ — ١٩١١ م

اصطلح بعض المؤرخين على تسمية هذا العصر بالعصر العثماني الثاني في حكم ليبيا وحجتهم في ذلك أن عصر الأسرة القره مانلية عصر قائم بذاته ولا يجب أن يدخل في سلسلة عصور الحكم العثماني لليبيا ، ولكنني اتساقا مع الحقائق جعلت عصر الاسرة القره مانلية هو العصر العثماني الثاني لأن حكم هذه الأسرة كان حكما عثمانيا فعلا وان كان وراثيا بين أفراد أسرة واحدة ، أي أن ليبيا كانت تخضع فيه للسلطان العثماني ويأتي فرمان السلطاني بتعيين الولاة من أفراد هذه الأسرة .

وأما العصر الذي جاء بعد نهاية الأسرة القره مانلية فقد أطلقت عليه العصر العثماني الثالث أي الفترة الثالثة للحكم العثماني في ليبيا وهي الفترة التي تبدأ بنهاية حكم آخر الولاة القره مانليين وتستمر حتى أوائل القرن العشرين وبالتحديد عام ١٩١١ عندما جاء المستعمرون الايطاليون الى البلاد واحتلوها وأنهوا الحكم العثماني الذي استمر ٣٦٠ (ثلاثمائة وستون عاما) ، وهذه الفترة أعطيت أهمية كبيرة نظرا لقربها تاريخيا ولارتباطها بالأطماع الاستعمارية في ليبيا بعد أن أصبحت تركيا — رجل أوروبا المريض — كما كان الأوروبيون يطلقون عليها — عاجزة عن الدفاع عن ممتلكاتها العربية — بوجه خاص — ضد أطماع الدول الأوروبية .

وقد جاء هذا العصر الى الحكم في ليبيا بعد أن ضاق المواطنون ذرعا بساد بلادهم من فتن واضطرابات حرمتهم الاستقرار المنشود لينصرفوا الى حياتهم العادية ، وجاء — كما حدث في منتصف القرن السادس عشر — بعد أن طلب بعض المواطنين من السلطان العثماني تخليص البلاد

من الفوضى والانقسامات التي حدثت في عهد الاسرة القره مانلية وبصفة خاصة في أواخر حكمها .

لذلك كان مجيء العثمانيين للحكم المباشر مثار فرح وراحة من قبل أولئك المواطنين الذين طالبوا بتدخل السلطان العثماني لانهاء عهد لم يستطع أن يضمن لليبيين الاستقرار أو التقدم ، بل لم يستطع حتى أن يحميهم من القوى العثمانية — الدخيلة المتصارعة على الحكم والمتسابقة لجمع الأموال من أفراد الشعب المغلوب على أمره .

وان كان بعض الليبيين قد شعروا بالفرح لمجىء العثمانيين لحكم ليبيا حكما مباشرا فقد كان هذا البعض ممن أضير من الحكم القره مانلى ، بينما كانت غالبية الشعب العربى فى ليبيا تنظر الى مجىء الولاة العثمانيين من استانبول نظرة شك وتردد حيث لم يتم نظراؤهم — قبل حكم الأسرة القره مانلية — بما يرضى الشعب الليبى من أعمال مفيدة تأخذ بيدهم الى التقدم والازدهار ، ولذلك سرعان ما ناصب هؤلاء المواطنين الدولة العداء وأبوا الخضوع للسلطة الحاكمة لأن الحكم عاد للبلاد وأعاد معه النظام الفاسد السابق ولم يحاول تغيير ما أدى الى سخط الشعب قبلا .

ولقد بقى هذا العصر العثمانى فى حكم ليبيا ما يقرب من سبعة وسبعين عاما تولى الحكم خلالها ثلاثة وثلاثون واليا لم تزد ولاية بعضهم عن العام بل قضى بعضهم فى ولاية ليبيا عدة شهور لا تقرب من السنة . وكان أول هؤلاء هو رءوف باشا الذى جاء بعد أن أنهى نجيب باشا حكم الأسرة القره مانلية بل واستبعدها الى الآستانة . وكان مجىء رءوف باشا عام ١٨٣٥ . وقد أبقى من القره مانليين يوسف باشا لكبر سنه مع أفراد أسرته ، « وتوالى مجىء الولاة بعد رءوف باشا ، وكان كل منهم يأتى ولا يكاد يستقر حتى يصدر فرمان بعزله وبتولية غيره فى ولاية ليبيا ، ولذلك كان الوالى يسعى بمجرد وصوله الى البلاد فى جمع أكبر مبالغ من المال ممكنة لأنه يعلم مسبقا أن بقاءه فى منصبه لوقت قصير » . (١)

(١) حسن محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر — ص ١٩٢ .

لقد صرف الولاة العثمانيون كل وقتهم في ليبيا في محاولات مستمرة للقضاء على ثورات العرب الليبيين ، تلك الثورات التي قامت في معظم أنحاء الوطن الليبي • فكان يتزعم الثورة في مصراته عثمان آغا ، وفي يفرن غومة ، وفي فزان عبد الجليل ، وفي برقة عادل ، ولم تكن هذه الثورات مجرد أعمال فردية بل كانت مظهرا لما طبعت عليه القبائل من حب للحرية وعدم الخضوع للسيادة الاجنبية ونجحت هذه الثورات في اجهاد سلطة الحكومة العثمانية في ليبيا واضعافها ، وان كانت هذه الثورات قد فشلت في تحقيق التخلص من العثمانيين واقامة حكومة محلية من بين أهل البلاد فان ذلك يرجع الى التنافس الذي كان يحدث بين زعماء هذه الثورات وجهلهم بالطرق الكفيلة بنجاحهم وتحقيق أهدافهم الى جانب المجاعات التي كانت تصيب البلاد فتحد من هذه الثورات ومن ولاء الناس لها ، وفي أول هذا العصر أراد غومة المحمودى ثائر الجبل أن يسالم الحكم التركى بعد نهاية القره مانليين ف جاء الى « نجيب باشا في جماعة من رؤساء المحاميد واتفقوا معه على مسالمة الحكومة ، ولكن نجيب باشا لم يتنازل عن تركيته وأبت عليه أن يقابل الرجولة بمثلا فأذن لرفاق الشيخ غومة بالرجوع الى أهلهم وحبس الشيخ غومة ، الذى بقى في الحبس حتى أطلقه رءوف باشا » (١) •

وليس هنا مجال دراستنا لهذه الثورات الشعبية بالتفصيل ، ولكن يهمنا أن نذكر أن الولاة حاولوا القضاء عليها بالقوة العاشمة ولكنها لم تكن لتهدأ ، حتى تتسبب المظالم التي ترتكب في حق الناس وسوء الادارة من قبل الولاة في قيامها من جديد وهكذا ••

ولعل أعمال بعض الولاة الذين أتيجت لهم فرص تقديم الخدمات للناس كانت تخفف من غلواء هذه الثورات ، ومن أسباب قيام هذه الثورات التي تزعمها زعماء القبائل انه كثيرا « ما يعدهم الوالى بالوفاء بما يطلبونه — خداعا منه — حتى اذا سكنت الثورة ووصل الى غرضه

(١) الزاوى : ولاة طرابلس — ص ٢٣٨ •

خان العهد ورجع الى سيرته الأولى من السلب والنهب » • (١)

لهذا فنحن يهمننا استعراض أعمال أهم الولاة الذين أثروا في حياة ليبيا بلدا وشعبا وتركوا ما يدل عليهم رغم المدد القصيرة التي حكموا فيها البلاد •• ومن هؤلاء طاهر باشا الذي أنهى ثورة عثمان آغا في مصراته زمن ولاية محمد رءوف باشا ، ثم تولى البلاد بعد رءوف باشا ولم يمكث سوى بضعة شهور ، ثم عين مكانه حسن باشا عام ١٨٣٧ م • وقد اتبع سياسة جديدة لأول مرة مع زعماء الثورات الشعبية هي الاعتراف بزعمائها كممثلين لقبائل الجهات التي قاموا فيها ، وكان هذا الاعتراف مشفوعا « بقرار يتولى فيه عبد الجليل حكم فزان وغومة حكم الجبل تحت ولايته نظير دفع مبلغ مقرر سنوى » (٢) وكانت هذه السياسة — التي لم تدم طويلا لأن الثوار لم يكونوا يثقون في الولاة والحكام العثمانيين — كانت تسليما بالأمر الواقع ولكن حسن باشا — لقصر نظره — لم يستطع أن يسير في الشوط الى نهايته اذ أصر على أن يدفع الثوار أموالا عن السنين السابقة مما جعل الثوار يرفضون ومن ثم يستعدون لمحاربة الحكم العثماني ، فاضطرت الحكومة العثمانية الى عزل حسن باشا وولت مكانه على عسكر باشا عام ١٨٣٨ م •

اتبع على عسكر باشا نفس سياسة سلفه في الاعتراف بالثورات الشعبية وبزعمائها وأقر ما سبق أن اتفق عليه الثوار مع حسن باشا ولكنه لم يطالبهم بدفع أموال عن السنوات السابقة ومع ذلك فان الثوار لم يكونوا يثقون في الحكام العثمانيين ومن ثم حدث اصطدام بين عسكر باشا والثوار انتهى بمقتل عبد الجليل زعيم ثورة فزان ولكن هذا لم يمه الثورة في فزان ولا في الجبل الذي ظل غومة زعيما لها •

وفي عام ١٨٤٧ م حاولت الدولة العثمانية علاج ما أصاب ولاياتها من فوضى وخراب نتيجة سياسة تبديل الولاة بسرعة في حكم الولايات قبل

(١) الزاوى : ولاة طرابلس — ص ١٥١ •

(٢) الزاوى : نفس المصدر — ص ٢٤٣ •

أن يستقروا وينفذوا سياسة معينة فقررت — في تلك السنة — جعل مدة الوالى فى حكم الولاية أربع سنوات على أن تحاسبه بعد هذه المدة عما فعله من أجل الولاية ، ولكن هذا التنظيم الجديد لم يكتب له الاستمرار ومرد ذلك أن رجال البلاط العثماني كان يسوءهم أن ينجح أحد الولاة فى اقرار الأمن والنظام والتقدم فى ولايته ولذلك كانوا دائما يسعون لخلع كل وال يسعى للإصلاح والقيام ببعض المشروعات لتحسين أحوال الولاية بصفة عامة .

وكان محمد راغب باشا أول وال يعين فى ليبيا بعد قرار السلطان بجعل مدة الوالى أربع سنوات ، وقد تعين راغب باشا فى أوائل عام ١٨٤٧ ، ولكنه ما لبث أن عزل فى أواخر عام ١٨٤٨ م رغم أنه اتبع سياسة جديدة فى تهدئة الثورات تمثلت فى تعيين مواطن بربرى نائبا له على منطقة الجبل الغربى ، وكان هذا المواطن من أتباع غومة يدعى قاسم ولقد نجحت تلك الفكرة واستتب الأمن حتى عام ١٨٥٥ م . (١)

ولعل أعظم الولاة فى ليبيا كان على رضا باشا الذى كان جزائرى المولد وتعلم فى فرنسا ، وتولى الحكم فى ليبيا مرتين كانت الأولى من عام ١٨٦٦ الى عام ١٨٧٠ م ، حيث قام بعدة مشروعات لتنظيم القضاء وتأسيس المحاكم التجارية ، والعمل على ازدهار اقتصاديات البلاد عن طريق الزراعة ، ولكن هذا الوالى وجد من رجال البلاط السلطاني باستانبول حسدا ووشايات لدى السلطان مما جعله يعزل رضا باشا فى عام ١٨٧٠ م .

وقد سبق على رضا باشا فى ولاية ليبيا وال ترك آثارا طيبة فى ليبيا ذلك هو محمود نديم باشا الذى عين عام ١٨٦٠ م ، ١٢٧٧ هـ « وفى هذه السنة أسس مطبعة بقصر الحكومة لصحف الأخبار والوقائع ، وسميت صحيفتها — طرابلس الغرب — » (٢) كما تم فى عهده مد

(١) جوزيف كاكيا : ليبيا فى العهد العثماني الثانى — ص ٥٢ .

(٢) أحمد النائب : كتاب المنهل العذب — ص ٣٩٥ .

أسلاك البرق بين طرابلس وبرقة • وفي عهده أيضا صدر مرسوم سلطاني
بجعل إيالة طرابلس الغرب ولاية •

وجاءت ولاية على رضا باشا الثانية في أبريل عام ١٨٧٢ م ولكنه
هذه المرة كان أقل حماسا في مشروعاته العمرانية والاقتصادية ولكن أهم
عمل قام به هو الحد من الامتيازات التي كانت ممنوحة للاجانب والتي
زادت زيادة كبيرة في عهد الأسرة القره مانلية •

ومن الولاة أيضا الذين قاموا ببعض الخدمات في ليبيا الوالي
أحمد عزت باشا الذي تولى الحكم مرتين الأولى من عام ١٨٥٧ الى عام
١٨٦٠ م ، وأما المرة الثانية فكانت من عام ١٨٧٩ في شهر يوليو الى مايو
عام ١٨٨٠ م ، وفي هذه المدة التي هي أقل من عام عمل على كسب عطف
وحب الأهالي بتشجيعه لل عمران ، وتأسيس أول مدرسة للصناعات عرفت
باسم « مكتب الصناعات ، وأسس مستشفى للغرباء ، وأصلح ما ثلم من
القلع والأسوار ، وأسس سوق الحميدية طلبا لتقدم الصناعات وزيادة
في واردات البلدية » (١) • وهو أول من أسس المكاتب — المدارس —
الرشدية « ولأول مرة في العهد التركي كله نسمع بوال أنشأ المدارس
العصرية لتعليم أبناء الشعب الليبي » (٢) •

وتعتبر مدة ولاية أحمد راسم باشا الذي جاء عام ١٨٨٢ م واستمر
لمدة ١٥ سنة أطول مدة يقضيها حاكم لهذه الولاية في هذا العصر ، وفي
أثناءها حدث نتيجة لغزوة فرنسا لتونس — تقارب بين الليبيين والعثمانيين
فعندما احتل الفرنسيون تونس عام ١٨٨١ أظهر الليبيون شعورهم نحو
اخوانهم التونسيين وقاموا بمظاهرات ضد الفرنسيين وقد شجعت السلطة
الحاكمة الليبيين على اظهار هذا الشعور ومن ثم ظهرت العاطفة الدينية
الاسلامية في مواجهة الغزو الاوروبي المسيحي لبلد اسلامي كوسيلة
للتقريب بين الوطنيين في ليبيا وحكامهم العثمانيين فقلت الثورات في عهد
راسم باشا وتمكن من بسط سيطرة الدولة العثمانية على البلاد •

(١) أحمد النائب : كتاب المنهل العذب — ص ٤٠٤ •

(٢) الزاوي : ولاية طرابلس — ص ٢٥٧ •

ولعل أهم أعمال راسم باشا أيضا تأسيسه المدرسة الحربية في باب البحر بمدينة طرابلس وجلب الماء لطرابلس من أبو مليانه - إحدى ضواحي المدينة - وأدخل صناعة الحرير في البلاد كما أمر بزراعة الآلاف من أشجار التوت في منطقة سيدي المصري القريبة من مدينة طرابلس .

وفي عام ١٨٩٨ م تولى نامق باشا الحكم بعد راسم باشا ، والى نامق باشا يرجع الفضل في تشجيع تأسيس مدرسة للصناعات بمدينة طرابلس عرفت « بمدرسة الفنون والصناعات الاسلامية » (١) أوقف عليها أهل الخير من أهل البلاد الأوقاف الكثيرة لايواء الاطفال اليتامى والفقراء وتربيتهم وتعليمهم صنعة يحترفونها ويمارسون حياتهم اعتمادا عليها ، كما أنه أسس جريدة الترقى . ومع ذلك فما لبث أن عزل عام ١٨٩٩ م .

ومن الولاة البارزين كذلك الفريق رجب باشا الذي عين بقصد معالجة وتحسين الأحوال العسكرية للبلاد بعد أن ظهرت نيات ايطاليا في الاستيلاء على ليبيا وتصارعت الدول الاوروبية لاقتطاع أملاك الدولة العثمانية بعد أن خضعت تونس لاحتلال فرنسا في عام ١٨٨١ م

وقد استطاع رجب باشا فعلا تهدئة الأحوال في البلاد « وانصرف كذلك الى تجميل العاصمة فأنشأ سوق المشير المشهور بطرابلس وأنشأ المدرسة العليا والمدارس الابتدائية » (٢) ولكن في عام ١٩٠٨ م تعين رجب باشا وزيرا للحربية في حكومة جماعة الشباب التركي المسماة الاتحاد والترقى فغادر ليبيا وعين بكير باشا نائبا عنه .

وآخر الولاة العثمانيين على ليبيا كان ابراهيم باشا الذي تولى الحكم عام ١٩٠٩ . وقيل عنه أنه كان يظهر العداء لاطاليا ويحارب نفوذها الذي أخذ يشتد في ليبيا ، وقد حاول تنبيه الدولة العثمانية الى خطر النفوذ الايطالى فلم يلتفت اليه لأن الحكم الجديد في تركيا كان يعاني مصاعب جمّة ، وقد اضطر ابراهيم باشا للسفر الى استانبول لبحث

(١) الزاوى : ولاة طرابلس - ص ٢٧٦ .

(٢) الزاوى : نفس المصدر - ص ٢٨١ .

الحكومة العثمانية على اعداد القوات الكافية لرد عدوان ايطالى وشيك
الوقوع .. وقد وقع الغزو الايطالى لليبيا فى أول أكتوبر سنة ١٩١١
بينما كان ابراهيم باشا مازال فى الآستانة .

وهكذا انتهت مأساة الحكم العثمانى فى ليبيا . لتبدأ مأساة الحكم
الايطالى البغيض ويمكن القول أن الحكم العثمانى لليبيا ساعد وأدى
الى تحقيق المطامع الاستعمارية الايطالية باحتلال ليبيا فى أوائل القرن
العشرين ، وذلك نتيجة لما لاقته ليبيا من اهمال من الحكم العثمانى
فى عصوره المختلفة ونتيجة لسوء الادارة التى كانت تتبع فى حكم البلاد،
ولم يحس الشعب بأن الحكم يعمل لصالحه ، وانما رأى فيه حكما دخيلا
أجنيا ولذلك قاوم الشعب هذا الحكم ما وسعته المقاومة .

والحسنة الوحيدة التى عملتها الدولة العثمانية فى ليبيا هى أن النظام
الادارى الذى طبق على البلاد كان يحمل معنى وحدتها ، فقد كان الوالى
يقيم بطرابلس ويشرف على كل أنحاء البلاد عن طريق موظفين ينوبون
عنه ، فكان يقوم على شئون برقة متصرف عرف باسم نائب الوالى ، كما
أن فزان كان يتولاها متصرف أيضا ، وكانت فزان احدى المتصرفيات
الآربع التى يتكون منها اقليم طرابلس . هذا الى جانب السعى الدائم
والحثيث من قبل كل الولاة الى فرض السيطرة العثمانية على كل البلاد
وضمان بقاء كل الأقاليم الليبية على ولائها للدولة العثمانية صاحبة
السيادة على البلاد وقد تمثل هذا السعى — كما رأينا — فى الحرب
الدائمة بين الولاة والثائرين من أبناء الشعب فى أنحاء البلاد .

وكان المصير الذى آلت اليه ليبيا — باحتلال الطليان لها — نتيجة
حتمية للحكم العثمانى الذى لم يعمل على تهيتها — شأنها فى ذلك شأن
بقية البلاد العربية التى خضعت للحكم العثمانى — للاستقلال ، بل قدمها
طعمة للدول الاستعمارية الاوروبية بسبب تلك الادارة الفاسدة والفوضى
الشاملة التى عمت البلاد ابان هذا الحكم .

ولعل خير دليل على صدق هذا الرأى انه « ما من بلاد عربية كانت
تحت الحكم العثمانى استطاعت أن تحكم نفسها بنفسها بعد انفصالها

عنه ، بل انتقلت من حكم العثمانيين الى حكم أجنبي آخر قبل أن تصل الى الاستقلال » • (١)

كانت طرابلس الغرب ايالة عثمانية منذ الفتح العثماني حتى عهد محمود نديم باشا الذى تولى الحكم فى ليبيا فى عام ١٢٧٧ هـ الموافق ١٨٦٠ م حين استبدل اسم ايالة طرابلس الغرب باسم ولاية طرابلس الغرب وكانت التشكيلات الادارية على النحو الآتى :

• * مركز الولاية : مدينة طرابلس

• * المتصرفيات التابعة لاقليم طرابلس : هى طرابلس ، الخمس ، الجبل الغربى ، فزان

• * متصرفية بنغازى ، وكان لها استقلال محدود عن طرابلس • (٢)
وكانت بنغازى تخضع فقط لطرابلس فى المسائل العسكرية والبريد والجمارك والقضاء وكان لها حق الاتصال بمراسلاتها مباشرة بالآستانة •
وكان يساعد الوالى - بمركز الولاية - مجلس استشارى يدعى بمجلس الادارة الذى كان عادة يتألف من قاضى القضاة والمفتى والمكتبجى - السكرتير العام - والدقتردار - رئيس المالية - وستة أعضاء آخرين لا تصرف لهم ماهيات وينتخبهم الشعب مرة فى كل عامين وكان مجلس الادارة يدير المسائل الاقتصادية والقضاء •

وكانت ميزانية الحكومة تتمثل فى الضرائب التى تفرض على السكان للصرف منها على الادارة ، والضرائب التى كانت تحصل لحساب الحكومة العثمانية وترسل لها • وكان عماد الناحية الاقتصادية الزراعة البسيطة التى تعتمد على مياه الأمطار ومياه الآبار وقد تأثرت الزراعة بما ساد البلاد من فوضى ومظالم وثورات •

كما كانت فى ليبيا بعض الصناعات البدائية التى لم تتقدم ولم تزدهر

(١) مصطفى يعيو : فى تاريخ ليبيا - ص ٦٥ •

(٢) عزيز سامح : الاتراك العثمانيون فى شمال افريقيا - ص ٢٠٩ •

بسبب الضرائب التي كانت تفرض على أصحاب الحرف ، وكانت أهم الصناعات القائمة صناعة الملابس الوطنية المصنوعة من الصوف ، كما كانت صناعة الحرير محلية ومحدودة في طرابلس ويقوم بها اليهود ، هذا الى جانب صناعة الحصر ، والذهب •

أما التجارة فقد بلغت تجارة القوافل في ليبيا ذروتها في عشرة أعوام ما بين عامي ١٨٧٢ - ١٨٨١ م ، ثم اضمحلت بعد أن استولت فرنسا على تمبكتو بأفريقيا وعلى تونس وقد قامت موانئ ليبيا وخاصة طرابلس وبنغازي بدور هام في التجارة البحرية ، وكانت انجلترا وفرنسا وتركيا أهم الدول في التعامل التجاري مع ليبيا في هذا العصر •

وكانت طبقات المجتمع الليبي تبدأ من الوالي وأركان الحكم ، فقادة الجند فعلماء الدين ، فالتجار ، ثم أرباب الحرف ، وكانت الطبقة الأولى من العثمانيين وكان من الليبيين رجال الدين والتجار وأرباب الحرف ، كما كان هناك أقلية يهودية تعيش في منطقة طرابلس بصفة خاصة وكان مرور الوقت وتسامح الحكام من الأسباب التي هيأت الحياة لهذه الأقلية اليهودية وجعلتها تنخرط في سلك الشعب الليبي •

وكانت تعيش في ليبيا أيضا جاليات من الدول الأجنبية فكانت هناك جالية بريطانية وجالية ايطالية ، وجالية فرنسية وجالية أسبانية وجالية هولندية ، وجالية يونانية ، وجالية نمساوية وألمانية ، ولكن كانت الجاليات الانجليزية — ومعظم أفرادها من المالطين — والايطالية والفرنسية أكثر هذه الجاليات عددا •

هذه أحوال ليبيا ابان الحكم العثماني الأخير ، والتي ظهر منها عدم وجود سياسة معينة واضحة وحكيمة ، وكانت الاجراءات والتنظيمات التي يتخذها بعض الولاة لا تشر لأنها ارتبطت بمصالح العثمانيين دون مصلحة الليبيين ولذلك لم يتمكن العثمانيون من خلق روح ولاء للدولة في ليبيا ، بل ولا في أي ولاية عثمانية أخرى •

وكانت أحوال برقة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر خيرا من أحوال طرابلس ويرجع السبب في ذلك الى بعدها عن مركز الولاية

والى ظهور النفوذ الدينى للسوسيين منذ منتصف القرن التاسع عشر ،
فى معظم أنحاء برقة ، وكان هناك اتفاق بين العثمانيين والسوسيين يحدد
مدى تدخل الادارة العثمانية لذلك استفاد أهالى برقة من هذا الاتفاق •

ولعل من المفيد هنا أن نذكر بعض المواقف التى وقفها الشعب العربى
فى ليبيا تجاه الحكم العثمانى والتى تبرز دور هذا الشعب فى تأكيد عروبه
وتمسكه ببناء حياته بصورة جديدة أسوة بما تم فى بعض الولايات العثمانية
- وأهمها مصر - فى هذا المجال •

أولا : نشأت عند أهل ليبيا فى هذا العصر روح عربية بدل الولاء
للعثمانيين « على ماروى الرحالة الأوروبيون ، فغومة يعتبر أحد
الناطقين باسم القومية العربية المقاومين للاحتلال التركى » (١)

كما كان غيره أيضا فى ثورته يريد التخلص من الحكم التركى
واقامة حكم عربى يتولاه أهل البلاد بأنفسهم •

ثانيا : كما أن بعض الليبيين فكروا عندما قامت الحرب بين الدولة
العثمانية والروسيا عام ١٨٥٣ م رأوا أن « الفرصة سانحة لاعلان
استقلال بلادهم عن السلطنة فاشترت بعض القبائل السلاح وطلب
بعض من الزعماء مساعدة فرنسا عن طريق قنصلها » (٢)

ولئن كانت هذه الفكرة لم تأخذ طريقها الى التنفيذ فلأن يد
الليبيين لم تجتمع كلها على هذه الفكرة ثم انه حدث فى عهد
السلطان عبد الحميد « أن طلبت الحكومة من الوالى تجريد
الأهالى من السلاح وتفتيش الزوايا السنوسية لضبط ما عسى
أن يوجد بها من أسلحة ، وكان ذلك من الاسباب التى دفعت
السيد المهدي السنوسى الى الانتقال من واحة الجغبوب الى واحة
الكفرة والايغال فى الصحراء » (٣) •

(١) نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال - ص ٥٦ ، ٥٧

(٢) نقولا زيادة : نفس المصدر .

(٣) مصطفى بعيو : فى تاريخ ليبيا - ص ١٠٧ .

ثالثا : لما قامت الثورة التركية - التي قادها جماعة من المتعلمين الأتراك وضباط من الجيش - عام ١٩٠٨ ، وعزلوا السلطان عبد الحميد خان الثانى ابن السلطان عبد الحميد ، ونفوه الى مدينة سلانيك - ببلاد اليونان - وأقاموا مكانه أخاه محمد رشاد الخامس ، وألفوا حزبا اشتهر باسم حزب الاتحاد والترقى ، وكان اسمه الحقيقى الشباب التركى هدف هؤلاء تجديد دولة الأتراك على النمط الأوروبى . لما قامت هذه الحركة تحمس أهل طرابلس وشعروا بقرب خلاصهم من الحكم العثمانى ، كما انتخب أهل الجبل الغربى سليمان باشا البارونى مندوبا عنهم ، وانتخب بنغازى مندوبين كان معروفا عنهما عداهما لجمعية الاتحاد والترقى وكل هذا نوع من التحدى قام به الشعب العربى فى ليبيا ضد السلطة العثمانية الحاكمة .

رابعا : بعد حركة حزب الاتحاد والترقى فى تركيا عملت الحكومة الجديدة على تعيين الموظفين من المتشيعين لها . ومعروف عن أعضاء هذه الجماعة عدم تمسكهم بمبادئ الدين الاسلامى واللغة العربية ولما جاء الى ليبيا بعض هؤلاء الموظفين تحلى الليبيون بالشجاعة الأدبية وطالبوا الحكومة العثمانية بسحب مثل هؤلاء الموظفين من ليبيا وقد استجابت الحكومة العثمانية لمطالب الليبيين ، ولم تكن هذه الاستجابة سوى محاولة لاسترضاء الشعب فى الولاية التى ظهرت نوايا ايطاليا فى احتلالها حتى يقاوم هذه النوايا ويتمسك ببقائه تحت السيادة العثمانية .

خامسا : أظهر الشعب شعور العداة نحو الدول الأوروبية التى احتلت أجزاء من البلاد العربية فقد ظهر استياء الشعب الليبى وسخطه على فرنسا حين احتلت تونس عام ١٨٨١ م كما أظهر سخطه كذلك حين اعتدت انجلترا على مصر واحتلتها عام ١٨٨٢ م ، وكان هذا شعورا عربيا ضد دول استعمارية تبغى الشربنى عمومهم .

سادسا : كان الجهل ضاربا أطنابه فى طول البلاد وعرضها على اتساع

مساحتها •• ولم تأخذ البلاد تحت الحكم العثماني بالعلم الحديث وصدق من قال « أما العلوم والمعارف العصرية فلا توجد عندهم بل لا يشمون لها رائحة » ^(١) ومع ذلك فقد كان هناك بصيص من الثقافة الدينية التي كانت تدرس في المساجد والزوايا لاعداد الطلاب للالتحاق بالجامع الأزهر بمصر أو جامع الزيتونة بتونس، وقد سعى المواطنون الى أن ينهلوا من المدارس الدينية وأخذوا يقطعون المسافات ليستزيدوا من العلم الديني مؤمنين بأهمية العلم و متمسكين بدينهم حريصين على تعليمه لأبنائهم •

سابعا : حقيقة أولت السلطات العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين التعليم اهتماما محدودا فشجعت الأهالي على التبرع لفتح المدارس ولكنها لم تهيبء الأهالي لقبول هذه الأفكار ولذلك كان قيام التعليم في ليبيا يستند الى اقتناع الناس بفائدة التعليم لأبنائهم ومن ثم سارعوا بالتبرع بالأموال و ايقاف الأوقاف الكثيرة لانشاء المدارس على مختلف أنواعها ، وللصرف منها على انشاء المباني المدرسية ودفع مرتبات المعلمين الذين كانت تعينهم نظارة المعارف باستانبول •

ومن الجدير بالذكر - قبل أن ننهي حديثنا عن الحكم العثماني لليبيا - أن نسجل ادراك الشعب العربي في ليبيا لحقيقة الأوضاع المحيطة به ، فعلى الرغم من أن تركيا حاولت في أوائل القرن العشرين أن تخطب ود الشعب الليبي لتضمن بقاء واستمرار ولائه وتحاول ابعاد الأطماع الأوروبية عن ممتلكاتها بصفة عامة ومن بينها ليبيا بصفة خاصة نظرا لأن الجزائر ثم تونس ، ثم مصر والسودان وقعت فريسة كلها تباعا للسيطرة الاستعمارية الأوروبية وكلها كانت ولايات تابعة لتركيا •

وقد اتضح أمام الشعب العربي في ليبيا كذلك موقف ايطاليا ونواياها نحو البلاد ، وما اتخذته من اجراءات اقتصادية كاقراض الفلاحين الليبيين

(١) رحلة الحشاشي الى ليبيا - ص ١٩٠ •

الأموال الكثيرة وافتتحت لذلك مصرفا في مدينة طرابلس ، وحاول الطليان استمالة بعض الزعماء الليبيين ادعاء بأن إيطاليا هي الأقوى وأن تركيا أصبحت ضعيفة وأدارت ظهرها للولايات العربية باهمال اللغة العربية والدين الاسلامي وأوضح الطليان لهؤلاء الزعماء كيف أن الجزائر ثم تونس ثم مصر والسودان كلها ضاعت بسبب اهمال الاتراك الذين لم يجردوا سيفا لصد العدوان عن هذه البلاد ، أو لاستردادها ، وكانت هذه الدعوى الايطالية مع الأسف صحيحة حتى أصبح الناس يعتقدون أن « حكومة الآستانة - في عهدها الأخير - لا ترسل الى طرابلس الا المشاغبين والخطرين على الأمن الذين تخشى وجودهم في البلاد التركية ، وتترك لهم الجبل على الغارب ، يتصرفون في البلاد وأهلها بما يملأ جيوبهم ، ويوفر لهم شهواتهم ولا يخافون رقبيا » (١) .

ومع ثقة الليبيين بأن تركيا لن تدافع عنهم ضد الغزو الايطالي المحتمل الا أن ثقتهم بأنفسهم كانت تسيطر على تصرفاتهم فلم يأبهوا لأى تهديد من قبل الايطاليين وهم معتصمون بالله وبدينهم الذى ازدادوا به تمسكا ، ومن ثم واجهوا الغزو الايطالي لبلادهم بصلابة أذهلت هؤلاء المستعمرين .

(١) الزاوى : ولاية طرابلس - ص ٢٧٢ .

الفصل الثاني

التعليم التقليدي في العصر العثماني

- مقدمة .
- المساجد .
- الرباطات .
- الزوايا .
- الكتاتيب .
- مدارس اليهود .
- مدارس الارساليات الدينية والجاليات الأوروبية .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يرتبط النظام التعليمي في أية دولة من دول العالم بالنظام السياسي والنظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي السائد فيها ، أى أن التنظيمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الدولة تحدد النظام التعليمي وتوجهه لأن التعليم تعتمد عليه الدول في تدعيم نظمها وفي تحقيق أهدافها .

وعلى هذا فان نظام الحكم - ديمقراطيا أو استبداديا - والسياسة الاقتصادية التي تسير عليها الدولة - رأسمالية كانت أو اشتراكية - والحياة الاجتماعية للمواطنين - اقطاعية أو شعبية - كل هذه النظم توجه التعليم في الدولة لمصلحتها وتدعيم كيانها كل حسب نوعه ، ولذلك يأتي التعليم صورة لتلك النظم السائدة ومعبرا عنها عاملا على تحقيق أهدافها ومبادئها .

وتبعا لذلك فان التعليم في ليبيا تأثر بما ساد البلاد من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية ومن ثم فاننا عند تصدينا لدراسة تاريخ التعليم في ليبيا لا بد لنا وأن ندرس تاريخ البلاد ونحدد الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي عاشتها لنرى انعكاساتها على التعليم .

ان ليبيا دولة عربية اسلامية أكدت عروبتهها واسلامها منذ الفتح العربي الاسلامي وساعدها على ذلك موقعها الجغرافي الهام تقع وسط الدول العربية الاسلامية في شمال افريقيا ، وهي تتصل بالدول الافريقية في وسط القارة كما أنها تشرف على البحر الأبيض المتوسط بساحل طويل يمتد لأكثر من ألفين من الكيلومترات ، وعلى الجانب المقابل من البحر المتوسط توجد قارة أوروبا بتأثيراتها السياسية والاقتصادية .

وإذا كان هذا الموقع له أثره البالغ في تأكيد دور ليبيا العربي الاسلامى فان نزوح قبائل عربية اسلامية من المشرق العربي بعد الفتح العربي الاسلامى لليبيا - الذى تم عام ٢٢ هـ الموافق عام ٦٤٣ م - دعم هذا الدور فقد هاجر المسلمون وكثيرون من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدد جم من القبائل العربية الى هذه الديار وأقاموا فيها ينشرون الاسلام واللغة العربية في جميع مدنها ونجوعها ، وبعث الخليفة عمر بن عبد العزيز بطائفة من العلماء ليفقهوا أهل ليبيا والمغرب في شئون دينهم والشريعة الاسلامية ، وليعلموهم اللغة العربية التى صارت لغة رسمية للبلاد الليبية .

كما أن طبيعة السطح والمساحة المتسعة والتى لا تتناسب مع عدد السكان الذين يعيشون على الأرض الليبية ، كل هذا وغيره أكد الدور العربى الاسلامى لليبيا وبالتالى انعكس على التعليم فيها . والمتتبع لتطورات الأحداث التاريخية في ليبيا بعد الفتح العربى يرى بوضوح كيف سار التعليم في هذه الأرض ملتصقا بالظروف السائدة معبرا عنها محققا لغاياتها .

فكان التعليم منذ الفتح العربى تعليما دينيا صرفا لتأكيد الدين الاسلامى في النفوس الى جانب تعليم اللغة العربية - لغة القرآن ولغة الدولة الاسلامية - وكان هذا التعليم يتم بجهود فردية في المساجد التى اتخذت منذ انشائها في نواحي ليبيا بيوتا للعبادة وحلقات للعلم والتعليم . وفي جميع مدن ليبيا وفي مقدمتها طرابلس ومصراته وزليتن واجداليا

ودرنة وغيرها أقيمت المساجد كمراكز للحكم واقامة الشعائر الدينية ولتعليم الناس أيضا . . . وكان أول ما أنشئ في طرابلس جامع الناقة وهو جامع الفتح وتذكر بعض المصادر أن الذى أسسه هو عمرو بن العاص وهو يشبه جامع عمرو بن العاص بمدينة الفسطاط الاسلامية بمصر . وبنى الأغالبة في طرابلس في القرن الثالث الهجرى الجامع الكبير - وموقعه في المكان الموجود فيه جامع أحمد باشا الآن بسوق المشير - ثم بنى الفاطميون جامع طرابلس الأعظم «الذى تم بناؤه بين القصبه وبين المدرسة

المنتصية في منتصف مدينة طرابلس تقريبا» (١) ، والذي كانت فيه أشهر الحلقات العلمية ، وقد اتسع التعليم فيه في عهد الصنهاجيين ، وتعددت فنونه فشملت العلوم الاسلامية والعربية والطبية والرياضية ، وصار هذا الجامع بمثابة جامعة ليبية قائمة بذاتها تخرج العلماء ويقصد اليها الطلاب من كل مكان ، وينال أساتذتها الشهرة العلمية الواسعة في مختلف فروع المعرفة ، ولقد كان لبعض هؤلاء العلماء آثار علمية كبيرة ، ومن بينهم الفقيه عبد الحميد بن أبي الدنيا (٦٠٦ - ٦٨٤ هـ الموافق ١٢٢٧ - ١٣٠٥ م) وقد كان لهذا العالم الكبير منزلة عالية في الدولة الحفصية حتى ان هذه الدولة لما أرادت نقل حلقات التعليم من جامع القيروان الى جامع الزيتونة في تونس في القرن السابع الهجرى لم تعول في ذلك على عالم من العلماء غير عبد الحميد بن أبي الدنيا . وقد أنشأ مدرسة تحت اسم « المدرسة المنتصية وهي في مسامطة قوس الرخام وهو واقع بينها وبين باب البحر » . (٢)

وهكذا قامت المساجد الكبرى في أنحاء ليبيا منذ الفتح العربى برسالتها الثقافية والتعليمية الدينية الجليلة . حيث كانت تقوم بتعليم الناس صغارا وكبارا عن طريق الخطب المنبرية والمواظم وحلقات الدرس التى تعقد بها ، والتي كانت تستهوى كبار القوم ومسنهم بصفة خاصة . ولا ريب أن المساجد قامت بدور كبير في هذا المجال التعليمى فى وقت لم يكن فيه مؤسسات غيرها لتقوم بهذا الجهد .

وكان للمسجد فوق ذلك كله رسالة أخرى اذ كان مقرا للحكم الاسلامى وللقضاء وغير ذلك من شئون المسلمين ، ويروى التيجانى فى رحلته - فى القرن ١٣ الميلادى - أن مسجد العشرة بطرابلس كان يجتمع فيه عشرة من أشياخ البلد للمشورة فيدبرون أمر البلد وذلك قبل تملك الموحدين لها ، وعرف فيما بعد بمسجد الموحدين .

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية - ص ٩١ .

(٢) الزاوى : نفس المصدر - ص ٣٠٤ .

حتى اذا سيطر العثمانيون على ليبيا وعلى غيرها من أقطار العالم العربي خلال القرن السادس عشر ، أصبح هذا التعليم الذي كان قائما بصفة أساسية في المساجد والكتاتيب هو التعليم الوحيد المتاح لأبناء هذه البلاد ، الا أنه أخذ يتأثر بذلك الطابع التقليدي الرتيب الذي ساد الحياة العربية أثناء حكم العثمانيين الذي امتد الى مطلع القرن العشرين •

وقد انحسر التعليم كذلك في دائرة ضيقة مغلقة اذ تركز على تحفيظ الناشئة للقرآن وتأديبهم ببعض تعاليم الدين وتدريبهم على بعض مبادئ القراءة والكتابة •

ولم ينل التعليم شيئا من العناية على يد الدولة العثمانية ، الا في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، عندما تزامنت عليها الأحداث من حولها آتية من أوروبا الطامعة في ممتلكاتها ومنها ليبيا وجاءت هذه العناية المتأخرة والطارئة نتيجة حركة الاصلاح الدستورية التي حاولتها بعض العناصر التقدمية في تركيا ذاتها فقد ضغطت أوروبا عليها وعلى ممتلكاتها ، بعد أن ملكت أسباب التفوق الفكري والعلمي والعسكري والاقتصادي ، وبعد أن حاولت بعض الولايات الخروج على سلطانها طلبا للاستقلال مثل مصر •

ومن هنا بذلت بعض الجهود لاسترداد سيطرتها وسلطانها بعد أن فقدته نتيجة خروج أحمد القره مانلى وخلفائه (١٧١١ - ١٨٣٥) عليها واعلانهم استقلالهم الذاتي بحكم ليبيا وشملت هذه الجهود قطاع التعليم ، غير أن هذه الجهود لم تعن أن التعليم كان محققا لمطالب البلاد ، فقد كان منفصلا عن مشكلات الناس وعن أهدافهم في حياة وطنية وغلبت عليه الصفة التركية واتجه الى خدمة الجيش التركي والادارة التركية في البلاد •

ثم أن هذه الاصلاحات والجهود التعليمية كانت بمثابة اجراءات طارئة وسط ظروف مضطربة فقد تعدد الولاة في تلك الفترة وقصر عمر كل منهم في الحكم ، وساءت الادارة وانتشرت المحسوية والرشوة ،

مما جعل ليبيا — كما جعل غيرها من ممتلكات الدولة العثمانية — مطمعا لاستعمار أجنبي آخر ..

مما تقدم يمكن أن نعدد الملاحظات والحقائق التالية على التعليم في عهد الحكم العثماني في ليبيا :

أولا : تعرض التعليم شأنه شأن بقية نواحي حياة المواطنين للاهمال وعدم الاهتمام من قبل الولاة أو الدولة نفسها فقد ورثت البلاد بأحوالها السائدة دون محاولة جادة للتغيير أو الأخذ بأسباب التقدم والنهضة فصدق عليها القول بأن الدولة العثمانية « لم تفعل شيئا من أجل نشر التعليم في ليبيا حتى عام ١٨٨٧ م ، واستمرت المؤسسات التعليمية الموجودة في كلا الاقليمين برقة وطرابلس ، وهي الكتاتيب والمدارس الملحقة بالمساجد الرئيسية » (١) تؤدي رسالتها دون أى محاولة من جانب سلطات الحكم العثماني للتغيير أو التطوير .

وقد كانت فرص التعليم الحديث حتى نهاية العهد العثماني محدودة جدا بحيث لا يصل اليها الا عدد قليل جدا من أبناء المدن الكبيرة كطرابلس وبنغازى ، حسب ما جاء في تقرير مندوب الحكومة الايطالية الذي قدمه الى المجلس الخاص بدراسة المشكلة الليبية في هيئة الأمم المتحدة والذي طبع في أحد تقارير الهيئة عام ١٩٥٠ م فان عدد التلاميذ من الذكور والاناث والعرب والأتراك واليهود في المدارس النظامية النظرية والمهنية والعسكرية في العام الدراسي ١٩١٠/١٩١١ م لم يزد عن ١٥٠٠ تلميذ وتلميذة في طرابلس وعلى عدد أقل من هذا بكثير في بنغازى . يضاف الى هذا العدد عدد آخر من أبناء العرب واليهود والجاليات الأجنبية كانوا مسجلين في مدارس

(١) Annual Report of the United Nations commissioner in Libya. P. 84.

الارسلات الايطالية والفرنسية وفي المدارس اليهودية بالنسبة
لأبناء اليهود . والاحصاءات التي أوردتها المندوب الايطالي في
تقريره عن التعليم في العهد العثماني تفيد أن مجموع التلاميذ
في مدارس الارسلات والأقليات الايطالية في ذلك العهد كان
٢٥٨٩ تلميذا وتلميذة في عام ١٩١٠/١٩١١ م .

وهذه الاحصاءات تدل دلالة واضحة على أن التعليم العام
الحديث لم يحرز تقدما ملموسا في العهد العثماني ففرصه كانت
قليلة لدرجة لا تذكر واهتمام الناس به كان ضعيفا جدا لأنهم
كانوا حديثي عهد به ولأنهم لم يكونوا يدركون بعد صلته
بتحقيق الرفاهية الفردية والاجتماعية ، وبالتالي فان أهميته
لم تتضح بعد في أذهانهم .

هذا الى جانب أنه كان من سياسة الباب العالي عدم تقديم
أية مساعدة مادية الى أية ولاية لا تمكنها مواردها المالية من
الصرف على نشر التعليم بين أبنائها فكانت الدولة العثمانية تهتم
أولا وقبل كل شيء بتحصيل الأموال المفروضة على الولاية
وارسالها الى دار الخلافة دليلا على تبعية الولاية لها ، أما
الصرف على التعليم في الولاية وعلى غير التعليم فلم يكن له
من مورد سوى ما يوجد به الخيرون هذا في وقت كانت فيه
موارد ليبيا المالية قليلة والدخل القومي لأبنائها ليس كبيرا ولا
وفيرا . كما تجلى عدم الاهتمام بالتعليم في ليبيا في العهد
العثماني في عدم وجود موظف مسئول بالولاية عن قطاع التعليم
فيها واستمر الوضع على هذا النحو حتى عام ١٨٩٩ حينما
أرسلت الدولة العثمانية « الى طرابلس موظف مسئول يحمل
لقب المشرف العام أو المدير العام للتعليم ليهتم بنشر التعليم
حيثما تتوفر الظروف ^(١) » . حيث ان الباب العالي في ذلك

(1) Annual Report of the United Nations Commissioner in Libya, P. 84.

العام « طلب من نظارة المعارف الجلييلة ارسال مأمور للمعارف فى أول الأمر مقتدر ومستقيم عارف باللسان المحلى وواقف على معاملات تشكيل المكاتب الابتدائية وتنظيمها على الطراز الجديد لكى يقع التأمل والانهاء فى تأسيس المكاتب اللازمة مثلما فى سائر الممالك المحروسة السلطانية وفى نشر المعارف وتعميمها شيئا فشيئا على أن تؤخذ فى مقابل مخصصاتها واردات الأوقاف المدرسة (١) رسائر عائدات المعارف » (٢)

ثانيا : يهدف أى احتلال الى فرض لغته على أصحاب وأهل البلاد الأصليين وبالمثل فان الوجود العثماني فى البلاد العربية بلا استثناء سعى هذا السعى وعمل له جاهدا سواء فى مجال التعليم أو فى مجالات الحياة الأخرى •

فقد كان التعليم فى المدارس التى أنشأتها الدولة العثمانية فى البلاد العربية كان يجرى باللغة التركية بوجه عام ، وكانت قواعد اللغة العربية تدرس فى هذه المدارس بقدر ما كانت تدرس فى المدارس المؤسسة فى الولايات التركية الأخرى لأنها كانت من جملة القواعد المستعملة فى اللغة التركية ، فكان لا بد من معرفتها لفهم الأدب التركى واتقان الانشاء باللغة التركية وهذه الحالة كانت « تحول دون استفادة الشعب فى البلاد العربية من هذه المؤسسات التعليمية استفادة كبيرة لأن الاتساق إليها كان ينحصر تقريبا - لهذا السبب بأولاد الموظفين من جهة وبأولاد الوجوه الذين يتصلون بدوائر الحكومة اتصالا وثيقا من جهة أخرى » • (٣)

-
- (١) الأوقاف المدرسة هى الأوقاف التى ليس لها شىء معين تحبس عليه وتنفق عليه إيراداتها •
 - (٢) جريدة طرابلس الغرب العدد ٨٩٧ السنة التاسعة والعشرون ٢٢ يوليو سنة ١٨٩٩ م •
 - (٣) حولية الثقافة العربية - جامعة الدول العربية - السنة الأولى ١٩٤٨م و ١٩٤٩ م •

وفي ليبيا سارت الأمور بنفس الطريق الذي سارت فيه في بقية الولايات العثمانية من حيث فرض اللغة التركية على الناس في المدارس وفي التعامل مع سلطات الحكم في الولاية وكان يقوم بتعليم اللغة التركية بالمدارس التي أنشئت في ليبيا في العهد العثماني ضباط من الجيش العثماني المتقاعدون ولكن تتكفل الولاية بدفع مرتباتهم الشهرية فقد أرسل الوالى من طرابلس عام ١٨٥٠ م الى دار الخلافة باستانبول يطلب تعيين اثنين من العسكريين الأتراك المتقاعدين في طرابلس « لتعليم اللغة التركية للتلاميذ حتى يمكن التفاهم معهم على أن تدفع لهم نظارة المعارف — في استانبول — مبلغ ٣٠٠ قرش لكل منهم شهريا » (١) ولكن دار الخلافة أجابت على هذا الطلب بأن تدبر الولاية هذه النقود اللازمة للمعلمين من تبرعات الناس ومن أوقافهم .

ولقد كان فرض استعمال اللغة التركية في المعاملات الرسمية الحكومية على الأهالي مثار شكوى الناس وتبرمهم من تعطيل مصالحهم بسبب عدم معرفتهم باللغة التركية وأمامنا رسالة أرسلها موظف لىبى يشغل وظيفة مدير لناحية تاجوراء بطرابلس في فبراير عام ١٨٩٩ م الى الوالى بطرابلس يقول فيها بالحرف « ان بعض الأوامر التى ترد على العاجز بالقلم التركى لم يصر فهمها تفصيلا أرجو من على مقامكم ان وافق الرأى الصائب الأمر بكتابة ما ذكر بالقلم العربى ، سواء ان كانت من المكتوبجية — السكرتارية — أو من قلم المحاسبة لكى يتضح لنا ما يصير به التعريف » (٢)

وهذه الرسالة التى جاءت على لسان موظف معين من قبل

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) رسالة من مدير ناحية تاجورة رمضان الشريف الى والى الولاية .

الوالى العثمانى وبعد مرور ٣٥٠ ثلاثمائة وخمسين سنة على بداية الحكم العثمانى لليبيا لأصدق دليل على تمسك الليبيين العرب بلغة العروبة وعلى نفورهم من اللغة التركية اغة المحتلين التى رغم بقاء العثمانيين فى ليبيا طوال هذه المدة الا أنها لم تجد طريقها الى ألسنة أهل البلاد ولم يتحقق ما كانت الدولة العثمانية تسعى اليه فى ليبيا وغيرها من البلاد العربية لمحو القومية العربية واعتزاز العرب بعروبتهم وأن تنسيهم جنسيتهم العربية لتحل محلها الجنسية العثمانية واللغة التركية والعادات والتقاليد التركية .

وكانت الدولة العثمانية شديدة الحرص على تأكيد عثمنة البلاد الخاضعة لها ومن أصدق الدلائل على ذلك المنشور الذى أصدرته نظارة المعارف باستانبول تحرم على كل من لا يحمل الجنسية العثمانية أن يقوم بوظيفة المعلم فى المدارس وقد أعطى المنشور مهلة لتنفيذ هذا الشرط بأن جعل « آخر موعد هو عطلة هذه السنة — ١٩١٠ م ليستعد الجميع » (١) لتنفيذه .

كما أن المواطنين الليبيين كانوا حريصين على تعليم أولادهم ويتبرعون لاقامة المدارس ولكن كان ينقصهم وجود المعلمين العرب المسلمين الذين يطمنون لهم فى تربية أبنائهم ولذلك كثيرا ما نجد فى دار المحفوظات التاريخية بطرابلس رسائل مرسلة من الأهالى ومن القائمقامين الى الوالى ومدير المعارف بطرابلس بطلب تعيين معلم يعرف اللغة العربية ومن هذه الرسائل رسالة من قائمقام غدامس تفيد أنه قد تم بناء مدرسة فى تلك الناحية « على نفقة الأهالى ولكن ينقص وجود المعلم ونرجو أن يكون عارفا للغة العربية »

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

ثالثا : كان العثمانيون أهل حرب وادارة أكثر من كونهم أهل ثقافة وحضارة ، فتركوا حياة الناس دون اهتمام أو اصلاح حتى غلب عليها التقليد دون التجديد وحتى قيدها التقاليد المتوارثة وبعد التعليم وغيره من الخدمات عن أن يكون موضع تقدير من الولاة ، حيث انصب جهد الادارة والحكم على تحصيل الضرائب والاتاوات وارهاق الناس بها . (١)

وهكذا عاش التعليم في ندرته وقلته أهليا حرا ، شعبيا لا حكوميا غير موجه لا يعبر الا عن جهود بعض الولاة وأهل البر والاحسان ابتغاء مرضاة الله فوجد بعض الولاة يستحثون الناس على التبرع لفتح المدارس — لتعليم الأطفال ، وهذا مثال يدل على اهتمام بعض الولاة بهذا الأمر ، اذ نجد الوالى على رضا باشا الجزائريلى — وهو جزائرى الأصل — يصدر منشورا عام ١٢٩٠ هـ الموافق ١٨٧٤ م يحث الناس في ليبيا على التبرع لفتح مدرسة — اصلاحية — لتعليم الأطفال الأحداث والمشردين واليتامى تعليما عاما ومهنيا « فيتخلقون بحاسن الأخلاق ويتعلمون القرآن وأمور دينهم والصنائع الراجعة في البلد فتكثر الصنائع وتروج فيعمهم وسائر سكانها النفع ، ولكل منهم أمد محدود وبما يراه المعلمون من النجاة في الطفل يكون وضعه في تلك الصنعة التى يروا نجابته فيها وعليهم أن يجيدوا في التربية ويبالغوا في التعليم وعلى الحكومة الانفاق والاكساء مدة التعليم وعلى الأطفال أن يعمل كل منهم في مقابلة ذلك وله نصيب من الأجرة تقدر في مقابلة عمله تعطى له بعضها ليصرفها وبعضها يحفظ له الى أن يتم تلك المدة فيأخذ اجازة بعد الامتحان ويتسلم ما انضبط له فيجده رأس مال في يده يحضر به آلات الصنعة ويستعين به على استعمالها » (٢)

(١) تطور التعليم فى ليبيا — من تقارير وزارة التربية والتعليم ..
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

هذا مثال على جهود بعض الولاية في مجال نشر التعليم وهو في هذا يعتمد على تبرع الأهالي حاثا اياهم على بذل الأموال في سبيل الله مثيرا فيهم الشفقة على الأطفال غير القادرين ومحفزا لهم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تحض على فعل الخير والتصدق لأعمال البر .. وفتح المدارس فعل خير ومن أعمال البر ..

كما نشرت جريدة طرابلس الغرب — وهي الجريدة الرسمية الناطقة بلسان الولاية — على مدى السنوات الأخيرة للوجود العثماني بليبيا ما يفيد بتبرعات الأهالي لفتح المدارس في أنحاء البلاد فنشرت مثلا في فبراير سنة ١٨٨١ توضح أهمية اصلاح المكاتب الابتدائية في الولاية على الأصول الجديدة التي ثبتت محاسنها عند التجربة « كما هو جار في دار السعادة » وتشكر الوالى على اعتناؤه بهذه المكاتب وتطلب من الأهالي التبرع ، وقد استجاب الأهالي خصوصا « أرباب الترقى من الأهالي باجراء تشويقات وترغيبات لا حد لها ولا نهاية لآخوانهم الوطنيين الذين لم يقدروا بعد أن يطلعوا ويقفوا على قيمة جوهر العلم والمعارف التي تساوى الدنيا قدرا .. وبادر أهل الثروة في كل طرف لفتح جمعيات اعانة بينهم وجمعوا نقودا كثيرة وبنوا وأنشأوا مكاتب جديدة لأجل أن تكتسب أولادهم وقرة أعينهم العلوم والمعارف واستخدموا من طرفهم معلمين مستعدين وجلبوا من دار السعادة كتب ورسائل مفيدة نافعة .. » (١)

كما بعث أهالي النواحي الأربعة بطرابلس التماسا لمدير معارف الولاية بمركز الولاية يطلبون منه الموافقة على « فتح واصلاح المدارس لتعليم الصبيان على مقتضى الحال ، على أن

(١) جريدة طرابلس الغرب العدد ٤٦٣ السنة الثالثة عشرة .

تجمع تبرعات تبنى بها المدارس ، وعلى ادارة معارف الولاية
تدبير المعلم اللازم « (١) وهذا دليل جديد على اهتمام الناس
بتعليم أبنائهم وأنهم مستعدون لانشاء المباني المدرسية ولا
يطلبون من الحكم القائم الا اختيار المعلم الكفاء والأهالى
يدفعون نفقاته الشهرية أيضا ٠٠ وهم بهذا يطلبون موافقة
الوالى فقط ومدير معارفه ٠٠

وكانت الجرائد تنشر أسماء الأهالى المتبرعين لانشاء المساجد
والمدارس لحث بقية المواطنين الليبيين على التبرع ودفوع الأموال
لبناء المدارس والمؤسسات التى تقدم خدمات للناس والتى
لا تجد من الحكم العثمانى اهتماما لبنائها ، فقد نشرت جريدة
الجوائب فى عددها رقم ١٠٦٦ تحت عنوان حوادث طرابلس
الغرب شكر « للحاج رمضان أفندى ميزران من التجار المحليين
لكونه بنى وأنشأ جامعا شريفا ومدرستين ومكتبا لأجل تعليم
أطفال المسلمين القرآن العظيم الشأن وسيلا بالبادية ، وثلاثة
صهاريج داخل البلدة — طرابلس — ووقف لها عقارات» (٢)
وتعتبر مدرسة ميزران « من أشهر المدارس الموجودة بداخل
مدينة طرابلس ، وقد كانت ومازالت مهاجرا لطلاب العلم
وحفاظ القرآن ، ومن المرغبات فيها أن لها أوقافا ينتفع منها
الطلاب والمدرسون » (٣)

وكان يحدث عندما يتم انشاء المدارس أن يقام احتفال
اما لوضع حجر الأساس أو لافتتاح المدرسة فقد « أخبرت
وكالة متصرفية الجبل عطفنا على اشعار ناحية ككلة أنه جرى
الآن الاحتفال بوضع أساس مكتب ابتدائى استحصلت

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

(٢) جريدة طرابلس الغرب العدد ٤٦٣ فبراير ١٨٨١ م السنة الثالثة عشرة .

(٣) الزاوى : معجم البلدان الليبية — ص ٣٠٥ .

المساعدة في بنائه سابقا في الناحية المذكورة بالاعانة التي جمعها أولو الحمية» (١) . وقد ناشدت الصحيفة التي نشرت هذا الخبر في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩١٠ م بقية النواحي أن تحذو حذو ككلها وغيرها ..

ومن الوسائل التي كانت متبعة أيضا لجمع التبرعات لبناء المدارس والصرف على الموجود منها اقامة المهرجانات ، فقد « نظم مهرجان ثانى أيام العيد في حديقة اختيرت بطرابلس عُلقت بها الزينات وصدحت بها الموسيقى — قامت بها الفرقة العسكرية — وأقيمت بها الألعاب والمصارعة والرقص وقدمت فيها المأكولات وكان لها رسم دخول جمع منه مبلغ عظيم لمساعدة المكاتب الخصوصية في أدائها لرسالة التعليم» (٢)

كذلك كان يصرف على انشاء المدارس والصرف عليها ما كان يوقفه أهل الخير والثراء من المواطنين ولكن الحال لم يكن في صورته السليمة إذ أن الأهالي ضجوا بالشكوى من أن الأموال الموقوفة لا توجه الى المجالات الموقوفة عليها ، مما جعل عضوى مجلس « المبعوثان (٣) » — عن ليبيا — في استانبول يتقدمان بمذكرة لمجلس المبعوثان سنة ١٨٧٦ م تقول « تقام بطرابلس مدارس أهلية لنشر المعارف ، ويوقف عليها الأوقاف الخيرية ولكن المدارس والمكاتب ليس بها الحد الأدنى من الموظفين وقد أنجبت الكثير من العلماء ، ولكن موظفى الأوقاف لا يصرفون الأموال الموقوفة على التعليم مما أدى الى فتور

(١) جريدة طرابلس الغرب العدد ١٣٣٧ السنة الاربعون .

(٢) جريدة طرابلس الغرب العدد ١١٣٩ السنة الخامسة والثلاثون — ٢٤ نوفمبر ١٩٠٥ م .

(٣) مجلس المبعوثان هو برلمان الدولة العثمانية الذى يضم مندوبين عن الولايات الخاضعة للدولة العثمانية .

الطلاب عن العلم وتشتتوا ، وأقلت أكثر هذه المدارس » (١)
واستمرت المذكورة في توضيح الأمر بأن طلبت أن تظل
الأوقاف التي أوقفت من قبل أهل الخير محبوسة على المدارس
والمساجد ، ويجب ألا تصرف في غير الأوجه الموقوفة عليها
ولا ترسل الى وزارة الأوقاف باستانبول وتضيف المذكورة بتقديم
الرجاء في عدم استمرار هذه الحال في المستقبل وأن تصرف
ايرادات الأوقاف فيما خصه الواقفون •• وقد وافق مجلس
المبعوثان على هذه الطلبات وأحالها الى الصدر الاعظم لاتخاذ
الاجراءات اللازمة مع ولاية طرابلس •

وتبعاً لهذا فقد صدر قانون ينظم صرف ايرادات الأوقاف التي
يمكن بيعها أو تدر ايرادا متصلا على انشاء المساجد ثم المكاتب
الابتدائية ثم المستشفيات ويسير النظام على النحو التالي :

أ — تشكل لجنة الأوقاف من القاضي الشرعى ومن المفتى
ومن مدير الأوقاف ومن عضو أو عضوين من المجلس
البلدى أو مجلس الادارة •

ب — تسجل مساحة الأراضى غير المفيدة أو غير المستغلة •
ج — تستغل هذه الأراضى فى بناء ما يدر أموالاً من
المشروعات •

د — تحدد اللجنة كم يلزم الأوقاف الخبرة من أموال
لتصليحها ••

هـ — تقرر اللجنة وتختار أماكن بناء المدارس أو المساجد
أو المستشفيات (٢)

رابعاً : كان فى البلاد العثمانية بوجه عام وفى الولايات العربية بوجه

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

خاص صنفان آخران من المعاهد التعليمية : المدارس الطائفية والمدارس الاجنبية ، وكانت أحوال هذين الصنفين من المدارس تختلف اختلافاً كبيراً عن المدارس الرسمية . ان السياسة الداخلية المتبعة في الدولة العثمانية كانت تعتبر كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية من غير المسلمين - جماعة قائمة بنفسها وكانت تمنح تلك الجماعات امتيازات خاصة في كل ما يمت بصلته الى الشؤون الدينية والمذهبية .

وعلى هذا كانت المدارس الدينية - المسيحية والاسرائيلية تختص بكل جماعة دينية ومذهبية على حدة وتهتم باللغة العربية ، وتتأثر في الوقت نفسه بالمدارس الاجنبية التي تشاكلها في الدين والمذهب وهذه المدارس الأجنبية تنتسب الى مختلف الدول الغربية وتعلم لغة الدولة التي تنتسب اليها وتعتنى في الوقت نفسه باللغة العربية لغة أهل البلاد العربية بغية اجتذاب أبناء العرب من ناحية والتأثير فيهم من جهة أخرى - كما تسعى الى نشر ثقافة الدول التي تنتسب اليها والى توسيع نفوذها في البلاد العربية .

وفي ليبيا كانت « دروس الدين الأساسية تعطى للجماعات اليهودية في مدارس التلمود الملحقة بالمعابد ، وفي سنة ١٨٠٤ م أنشأ المؤتمر اليهودي العالمي مدرسة في طرابلس حيث كانت تدرس فيها اللغتان العبرية والفرنسية حتى سنة ١٩١١ حيث أضيفت اللغة الايطالية » (١)

هذا الى جانب انشاء كنائس ومدارس ملحقة بها لخدمة الجماعات الأوروبية المسيحية التي تمثل الطليان والمالطيين واليونانيين والأمريكان . وكانت لهذه الجماعات امتيازات

(1) Annual Report of the United Nations Commissioner in Libya, P. 85.

مقررة من قبل مركز الخلافة في استانبول ولهذا فقد باشرت الجماعات التبشيرية المسيحية ومدارس الجاليات نشاطها التعليمي الذي لم يكن هدفه قاصرا على تعليم الأطفال بل كان لها أهداف استعمارية خطيرة تمارسها في ظل ما تلقاه من حماية رسمية وامتيازات قانونية •

خامسا : كانت المعاهد التعليمية القائمة في مختلف أنحاء الدولة العثمانية — وفي جميع البلاد العربية ومن بينها ليبيا — حتى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كلها من نوع المدارس الدينية التقليدية :
أولا — معاهد تعليمية خاصة بالصغار تهدف الى تعليم مبادئ الدين والقرآن •

ثانيا — معاهد تعليمية خاصة بالكبار تهدف الى تعليم العلوم الدينية والشريعة المختلفة مع العلوم الآلية الضرورية لها والموصلة اليها •

وكان الصنف الأول من هذه المعاهد التعليمية يعرف في معظم البلاد العربية باسم الكتاب ، وأما الصنف الثاني منها فكان يعرف باسم المدرسة بوجه عام ، وكانت هذه المعاهد التعليمية الصغيرة والكبيرة منتشرة في جميع أنحاء البلاد وكان معظمها ملحقا بالمساجد العامة وبعضها مستقلا عنها في مباني مشيدة لهذا الغرض مع مساجد خاصة بها •

وكان التدريس في هذه المعاهد التعليمية الصغيرة والكبيرة يسير وفق أساليب قديمة لم تتغير وتتطور منذ قرون عديدة ، ولم تأخذ أدنى حظ من التقدم الكبير الذي كان حصل في أوروبا في مختلف ميادين العلم والتعليم في القرون الأخيرة ، أنها لم تسير روح العصر بل — بعكس ذلك — تقهقرت الى الوراء خلال القرون الأخيرة لأنها تجردت بالتدريج عن جميع العلوم العقلية وصارت تكاد لا تهتم بشيء غير العلوم النقلية •

ان الاحتكاك الذى أخذ يشتد بين الشرق والغرب فى النصف الأخير من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر — كان من الطبيعى أن يلفت أنظار المفكرين النابهين الى عدم كفاية هذا النوع من التعليم وأن يجعلهم يشعرون بضرورة اقتباس بعض العلوم العصرية والنظم الحديثة لمسايرة ركب الحضارة ، وكان أمام رجال الفكر والحكم الذين أدركوا هذه الضرورة طريقتان لا ثالثة بينهما :

أ — اصلاح المعاهد التعليمية الموجودة — ولو بصورة تدريجية بادخال العلوم العقلية والنظم الحديثة فيها .

ب — ترك هذه المعاهد القديمة جانبا وانشاء معاهد تعليمية جديدة لتدريس العلوم العصرية وفق النظم الحديثة (١)

ان الأحوال الاجتماعية السائدة عندئذ اضطرت رجال الحكم والاصلاح الى اختيار الطريقة الثانية أى انهم تركوا المعاهد التعليمية القديمة — الصغيرة منها والكبيرة — على حالها تسير سيرتها المعتادة وأخذوا ينشئون بعض المعاهد التعليمية الجديدة كلما شعروا بالحاجة اليها وأعدوا الوسائل اللازمة لها . ونستطيع أن نقول اذن أن نهضة العلم والتعليم فى البلاد العثمانية قامت على هذا الأساس : انشاء مدارس جديدة مستقلة عن المدارس القديمة ، وأما الاقدام على اصلاح المدارس القديمة واعادة تنظيمها على أسس جديدة فلم يبدأ الا بعد مدة غير يسيرة ، وذلك بعد أن تنوعت وتكاثرت المدارس الجديدة وظهرت ثمراتها للعيان ، فثبت تفوقها على المدارس القديمة بصورة لا تترك مجالاً للشك بوجه من الوجوه .

(١) حولىة الثقافة العربية : جامعة الدول العربية . السنة الاولى ١٩٤٨ / ١٩٤٩ م .

ومما يلفت النظر في هذا الصدد أن احداث وانشاء هذه المعاهد التعليمية الجديدة لم يتم وفق الترتيب المنطقي الذي يخطر بالبال عند التفكير في الأمر تفكيراً مجرداً عن الاعتبارات الاجتماعية وتقاليدها ، بل انما تم وفق الترتيب العملي الذي ينبثق عن تطورات الحياة الاجتماعية والذي يتبع تكون الشعور بالحاجة تحت تأثير تلك التطورات ، فان رجال الفكر والحكم في الدولة العثمانية شعروا بالحاجة الى نوع جديد من التعليم — أول ما شعروا — في ميادين الحياة العسكرية تحت قسر الوقائع الحربية وتأثيرها الفعال . (١)

ذلك لأن الحروب التي كانت تقوم بين السلطنة العثمانية ، وبعض الدول الأوروبية — في العصور الأخيرة — أخذت تنتهي بهزائم فظيعة ، وتكرر هذه الهزائم وتواليها بدون انقطاع لم يترك مجالاً للشك عند المفكرين أن السبب الأصلي فيها يعود الى تطور نظم الحرب وتغير وسائلها في البلاد الأوروبية وذلك حمل رجال الحكم على ادراك ضرورة اقتباس هذه النظم واستخدام تلك الوسائل لجعل الجيش قادراً على الصمود أمام الجيوش الأوروبية المجهزة بالأسلحة الحديثة . ان ادراك هذه الضرورة ادراكاً واضحاً كان الدافع الأصلي لانشاء المدارس العسكرية ولذلك نجد أن المعاهد التعليمية التي أنشئت — في بدء اليقظة الفكرية والسياسية في الدولة العثمانية — كانت كلها من نوع المدارس العسكرية رشدية أو اعدادية أو عالية .

وكان الغرض الأساسي من انشاء هذه المدارس كلها كان تعليم الفنون العسكرية غير أن تعليم هذه الفنون العسكرية الحديثة — لاسيما الفنون المتعلقة بالمدفعية والبحرية والهندسة العسكرية — كان مما يحتاج الى معرفة شيء كثير من العلوم الرياضية والطبيعية ، وشيء غير قليل من مبادئ التاريخ والجغرافيا فاضطرت المدارس العسكرية أن تأخذ على عاتقها تعليم هذه العلوم أيضاً ، ونستطيع أن نقول لذلك أن هذه العلوم العصرية دخلت الدولة العثمانية — في بادئ الأمر — عن طريق هذه المدارس العسكرية بوجه عام . (٢)

(١) حولية الثقافة العربية جامعة الدول العربية السنة الاولى ١٩٤٨-١٩٤٩

(٢) نفس المصدر .

ان المدارس العسكرية التي أنشئت في بادئ الأمر كانت بمثابة مدارس اختصاصية عالية ، غير أن رجال الفكر والحكم في الدولة لاحظوا بعد مدة أن تعليم العلوم التي تتطلبها الفنون العسكرية يحتاج الى مدة أطول من المدة المقررة لهذه المدارس الاختصاصية كما أنهم أدركوا أنه من الأوفق البدء بهذا التعليم في سن أبكر من سن الشباب لتنى ثلاثم الحياة العسكرية (١) ولهذا السبب أنشأوا المدارس الاعدادية العسكرية لتزويد الشبيبة بالمعلومات الضرورية لتلقى الفنون العسكرية في المدارس الاختصاصية وبعد مدة أخرى لاحظوا أنه من الأوفق الشروع في تعليم هذه العلوم في سن أبكر من ذلك أيضا ، ولذلك أنشأوا المدارس الرشدية العسكرية لاعداد الطلاب لتلقى الدروس في المدارس الاعدادية العسكرية .

وبهذه الصورة تكونت — في البلاد العثمانية — منظومة كاملة وسلسلة تامة من المدارس العسكرية يبدأ الطالب دراسته في المدارس الرشدية العسكرية — التي تقوم مقام النصف الأخير من المدارس الابتدائية المعتادة في سائر البلاد — ثم ينتقل منها الى المدارس الاعدادية العسكرية — التي تقوم مقام المدارس الثانوية — وفي الاخير يدخل المدارس العسكرية الاختصاصية — التي تقوم مقام المدارس العالية أو الكليات الجامعية — ان مدارس الحربية والبحرية والمدفعية والهندسة العسكرية والطبيعة العسكرية كانت المرحلة الأخيرة من مراحل هذا التعليم العسكرى المتسلسل الطويل .

ثم ان « المدارس العسكرية العليا أنشئت في عاصمة الدولة وحدها ، وأما الاعداديات والرشديات العسكرية فقد وزعت على الولايات ، فكان الطلاب يتمون الدراسة الرشدية والاعدادية في مراكز الولايات التي ينتسبون اليها — وبعد ذلك ينتقلون الى عاصمة الدولة لاتمام دراستهم العسكرية العالية في المعاهد القائمة فيها » (٢) . وقد أخذت الولايات

(١) حولية الثقافة العربية : جامعة الدول العربية السنة الاولى ١٩٤٩/٤٨
(٢) حولية الثقافة العربية : جامعة الدول العربية السنة الاولى ١٩٤٩/٤٨

العربية التابعة للدولة العثمانية نصيباً لا بأس به من هذه المدارس العسكرية الرشدية والاعدادية فاستطاعت أن ترسل عدداً من أبنائها الى عاصمة السلطنة لاتمام دراساتهم العسكرية العالية فيها .

وأما المؤسسات التعليمية التي لا تتسم بسمة العسكرية والتي كانت توصف بصفة الملكية أى المدنية فانها لم تنشأ الا بعد ميلاتها العسكرية بمدّة تارة تتأخر فترة قصيرة عن شبهاها وتارة أخرى تتأخر فترة طويلة ، فمدرسة الهندسة العسكرية مثلاً أنشئت قبل مدرسة الهندسة المدنية التي كانت تسمى « مهندسخانة برى همايونى » (١) ومدرسة الطب العسكرية أنشئت قبل الطب المدني التي « أنشئت عام ١٨٧٧ م تحت اسم مكتب الطب الملكى » (٢) . كما أن المدارس الاعدادية العسكرية سبقت المدارس الاعدادية الملكية « التي تشرف عليها هيئة أو ادارة التعليم العام التي تشكلت عام ١٨٧٢ » (٣)

ومما يلفت النظر فى هذا المضمار أن المدارس المدنية أيضاً أنشئت لأول مرة على شكل مدارس متخصصة تهدف الى تخريج الموظفين الذين تحتاج اليهم مختلف مصالح الدولة وأما مدارس التعليم العام ، فلم تنشأ الا بعد انشاء أنواع عديدة من هذه المدارس المتخصصة .

وفى العقد الأخير من القرن التاسع عشر كانت تشكيلات المدارس المدنية قد اكتملت واستقرت على النحو التالى :

- أ — مدارس ابتدائية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .
- ب — مدارس رشدية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .
- ج — مدارس اعدادية : وهى نوعان : المدارس الاعدادية فى الأولوية ومدة الدراسة بها خمس سنوات . والمدارس الاعدادية فى الولايات ومدة الدراسة بها سبع سنوات .

(١) ، (٢) ، (٣) سالنامه نظارة معارف عمومية . تاريخ نظارة المعارف (تركى) .

د — « دار للمعلمين في استانبول عام ١٨٦٨ ، ودار للمعلمات للمكاتب الرشدية للاناث عام ١٨٦٩ م » (١) • ومدارس صناعية وزراعية ، وتأسست كذلك « مدرسة تجارة ، ومدرسة للبنات للصنایع النفیسة كاتنا ملحقتين بنظارة التجارة والأشغال ثم ألحقنا بنظارة المعارف كان ذلك عام ١٨٨٥ م » (٢) •

هـ — وفي عام « ١٨٧٥ م تغير اسم مديرية المعارف الى نظارة المعارف استانبول وفي عام ١٨٨٤ م تشكلت ادارة للتعليم العام وفي عام ١٨٨٧ م تأسست دائرة للتأليف والترجمة ، كما تأسست في عام ١٨٨٨ م دار للشفقة — مدرسة لليتامى — وفي عام ١٨٨٨ م أيضا أنشئت مدرسة للأطفال البكم والعميان » (٣) •

و — وفوق كل ذلك طائفة من المدارس العالية : مدرسة الطب ، مدرسة الحقوق ، مدرسة الادارة والسياسة (المعروفة باسم المكتب الملكى الشاهانى) ومدرسة للقضاة ومدرسة التجارة العليا ، ومدرسة الزراعة العليا ، دار المعلمين العليا ، مدرسة البيطرة ، مدرسة الهندسة ، مدرسة الصنایع النفیسة (الفنون الجميلة) •

وعندما تم انقلاب الدستور عام ١٩٠٨ وأخذت الحكومة تقدم على اصلاحات سريعة أدخلت على هذه التشكيلات عدة تغيرات جوهرية هي:

(أ) أدمجت المدارس الرشدية بالمدارس — المكاتب — الابتدائية وجعلت مدة الدراسة الابتدائية ست سنوات قسمت على ثلاث حلقات : أولى • متوسطة • عليا •

(ب) حولت الصفوف الرشدية الملحقة بالمدارس الاعدادية الى

(١) ، (٢) سالنامه (سنوى) نظارة معارف عمومية — تاريخ نظارة المعارف (تركى) •
(٣) نفس المصدر •

صفوف ابتدائية وأبلغت هذه الصفوف الى خمسة •

(ج) أحدثت نوعا ثالثا من المدارس الاعدادية سميت بالسلطانية جعلت مدة الدراسة فيها اثنتى عشرة سنة الخمس الأولى منها ابتدائية •

(د) ألغيت دور المعلمين القديمة واستعوض عنها بمعاهد جديدة قائمة على أسس جديدة •

(هـ) أنشئت كلية العلوم وكلية الآداب وجمعت هاتان الكليتان الجديدتان مع مدرسة الحقوق القديمة على شكل جامعة سميت باسم « دار الفنون التى كانت مدة الدراسة بها ٣ سنوات وتقبل كل سنة ٢٥ طالبا كلهم نهاريون أى يقيمون خارجها » (١) •

(و) استحدثت بعض المدارس العالية خارج عاصمة السلطنة في مراكز بعض الولايات الهامة •

(ز) ألغيت المدارس الرشدية العسكرية وتركت المهمة التى كانت تقوم بها الى المدارس الابتدائية العامة •

(ح) أنشئت كلية دينية تابعة الى دار الفنون « ومدة الدراسة بها ٤ سنوات وتقبل كل سنة ٣٠ طالبا يقيمون خارجها » (٢) •

(ط) شرع فى تنظيم واصلاح المدارس الدينية القديمة اصلاحا جوهريا وأنشئت من المعاهد الدينية فى العاصمة مدرسة دينية عالية سميت باسم مدرسة دار الخلافة العلية •

(ي) أنشئت عدة دور للأيتام لايواء وتعليم أولاد شهداء الحروب الأخيرة بوجه خاص •

(١) سالنامه نظارة معارف عمومية : تاريخ نظارة المعارف (تركى) .

(٢) نفس المصدر .

(ك) زيدت العناية بمدارس البنات وفتحت أبواب الجامعة أمام الطالبات .

ومن المفيد هنا أن نشير الى أن نظارة المعارف العثمانية كانت تتأثر في تشكيلاتها وتنظيماتها بالنظم الفرنسية بوجه خاص ، وكانت تهتم بنشر اللغة الفرنسية اهتماما خاصا ، وكانت هذه اللغة اجبارية في جميع المدارس الرشدية والاعدادية — العسكرية منها والمدنية — وفي أكثر المدارس العالية فأصبحت لذلك أكثر اللغات انتشارا بين المثقفين في جميع أنحاء الدولة العثمانية .

وعلاوة على ما تقدم يجدر بنا أن نشير الى مدرستين هامتين بالنسبة الى البلاد العربية وهما مدرسة العشائر في عاصمة السلطنة . والكلية الصلاحية في مدينة القدس ، فقد تأسست مدرسة العشائر في استانبول « وهي مدرسة عسكرية يقيم طلابها في القسم الداخلى ومدة الدراسة بها خمس سنوات » (١) . وكان الهدف منها جمع أولاد رؤساء العشائر الهامة « ويكون سنهم يتراوح بين ١٢ الى ١٦ سنة وحالتهم الصحية تسمح لهم ببذل الجهد الجسماني وتحمل تغير المناخ ، وأن يكونوا حسنى الأخلاق ، ومن عائلة أصيلة ذات حيثة من الدرجة الأولى — كما ورد في منشور أرسل لولاية طرابلس في عام ١٩٠٦ م — وأن ترسل طرابلس في تلك السنة ٣ طلاب حصتها في تلك السنة » (٢) . وأن يتم تعليمهم تعليما خاصا يؤهلهم لتولى بعض الخدمات العسكرية أو المدنية ولا حاجة الى القول أن معظم طلاب هذه المدرسة كانوا من أبناء العرب .

وأما الكلية الصلاحية فقد أسست في مدينة القدس ونسبت الى صلاح الدين الأيوبي ، وكانت بمثابة مدرسة دينية عصرية عالية ، وقد

(١) سالنامه نظارة معارف عمومية : تاريخ نظارة المعارف (تركى) .

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

تخرج من هذه الكلية عدد غير قليل من المعلمين الذين استطاعوا أن يخدموا النهضة التعليمية العربية بعد انتهاء الحرب العالمية •

ومن كل ما تقدم اتضح شكل التنظيم التعليمي في مقر السلطنة العثمانية الذي سار منذ بدايته تقليديا روتينيا ، وبدأ من أعلى لأسفل أى أن السلم التعليمي لم يبدأ بمراحل التعليم الدنيا الى العليا بل بدأ من العليا الى الدنيا • وكان هذا النظام التعليمي انعكاسا للأحوال الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة في الدولة العثمانية والتي استمرت على وتيرة واحدة حتى حدث لها هزة عام ١٩٠٨ فحدث تطور في نواحي الحياة العامة المختلفة وكان التعليم أيضا أحد الجوانب التي شملها التطور ••

إذا كان هذا قد حدث في مقر الخلافة العثمانية ، فماذا حدث بالنسبة لليبيا ؟ أى ماذا كان نصيب ليبيا من تشكيلات التعليم السابقة الذكر ؟ •• ان الاجابة على هذه التساؤلات يمكن استعراضها في الحقائق التالية : —

أ — كان التعليم قاصرا على الكتابيب واستمر على هذه الحال لسنوات طويلة بعد سيطرة العثمانيين على البلاد ، بل ان بعض هذه الكتابيب قد هجر وانقطع فيه التعليم وقد سجل أحد المقتشين عام ١٨٩١ م أغسطس الموافق رجب سنة ١٢٩٢ هـ بيانا « بالكتاب المعمورة والخراب الموجودين بنفس طرابلس غرب جملتهم خمسة عشر مكتب موجودين ، وعند التحقيق بمعرفتنا لم نجد لهم شيء مخصص ومعين» (١)

ب — كان يقبل بالمدارس الموجودة بمقر السلطنة ولا توجد بولاية طرابلس عدد معين كل سنة لا يتجاوز بأى حال فقد كان يقبل بمدرسة العشائر ٣ طلاب من ولاية طرابلس وهكذا بالنسبة لبقية المدارس العالية ، مثل ارسال أول بعثة دراسية خارج طرابلس من خريجي أول

(١) دار المحفوظات التاريخية — طرابلس (المعارف) •

دفعه من المدرسه الرشديه مكونه من « ٣ طلاب عام ١٢٨٤ هـ : ١٨٨٣ م
 رغبه منهم فى الاستزاده من التعليم بالمدرسه العسكريه الشاهنيه
 بمقر السلطنه » (١) .

ج — كانت المدارس الموجوده بطرابلس عام ١٩٠٢ على

النحو الآتى : (٢)

رقم	المدارس	المعلمون	الطلاب	
			داخلى	خارجى
١	المدرسه الابتدائيه للذكور	٣	١٣٢	—
٢	المدرسه الابتدائيه للإناث	٣	١٦٠	—
٣	المدرسه الاعداديه	٦	٧٠	—
٤	دار المعلمين	٢	٢٠	—
٥	المدرسه العسكريه	١٠	٨٠	٧٠
٦	مدرسه الفنون والصنائع	٤	—	٦٥
٧	المدارس الأخرى	١٤	٤٩٠	—
٨	مكتب العرفان	٧	١٠٠	—
	الجملة	٤٩	١٠٥٢	١٣٥

- (١) دار المحفوظات التاريخيه — طرابلس : (المعارف) .
 (٢) كتاب طرابلس الغرب : تأليف محمود ناجى (تركى) .

المدارس غير العربية :

رقم	المدارس	عدد الطلاب		جملة
		ذكور	اناث	
١	المدارس الفرنسية	٨٠	٧٠	١٥٠
٢	المدارس الاسرائيلية	٦٥	٦٠	١٢٥
٣	المدارس الايطالية	٢٣١	٣١٠	٥٤١
٤	المدارس الايطالية العلمية			
	والتجارية	٤٦	—	٤٦

كما كان بمركز الولاية — طرابلس — « مدرسة رشدية عسكرية داخلية وخارجية ومدرسة اعدادية خارجية ، ومدرسة ابتدائية للبنات ومدرسة رشدية للبنات ومدرسة الصنائع ومكتب العرفان — وهو في مستوى المدرسة الاعدادية وقد أنشئ لينافس مدارس الجاليات الأجنبية — ودار للمعلمين تأسست عام ١٩٠١م وطلابها كبار السن » (١)

وفي تقرير عن التعليم في بنغازى عام ١٢٨٤ هـ الموافق ١٨٨٣ م يتبين

منه أن المدارس التي كانت قائمة في ذلك الجانب من الولاية هي : (٢)

(١) كتاب طرابلس الغرب — تأليف محمود ناجى ومحمد نورى (تركى) .

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

ملاحظات	جملة	عدد التلاميذ		مقر المدرسة	عدد المدارس	المدارس	رقم
		غير مداومين	مداومون				
معطلة بسبب عدم وجود معلم	١٤٤	١١٩	٢٥	بنغازي	١	المدرسة الرشدية	١
	٣٦٥	٢٣٤	١٣١	»	١٢	مدرسة لتعليم القرآن والنحو	٢
	٤٩٥	٣٧٨	١١٧	»	٨	مكاتب لتعليم القرآن	٣
	٦٠	—	٦٠	»	١	مدرسة لليهود	٤
	٧٥	—	٧٥	»	٣	مدرسة للماطيين والإيطاليين الكاثوليك	٥
منهم ١١٩ تلميذا يتعلمون صنعة	٤٠٨	٧٣١	٤٠٨		٢٥	الجملة	
				العواقر	٤	مدرسة لتعليم القرآن والنحو والفقه	٦
				المرج	٨	»	٧
				البراعة والحساب	٥	»	٨
				دورنة	٨	»	٩
				القبة	٣	»	١٠
				بومبا	٢	»	١١
				طبرق	١	»	١٢
				أوجلة وجالو	٣	»	١٣
				الجملة	٣٤	الجملة	

المساجد

استمرت المساجد في العهد العثماني تؤدي رسالتها التي أنشئت من أجلها منذ الفتح العربي لليبيا ، وكما هو الحال في بقية بلاد العالم الاسلامى فهى المكان الذى يقصده الناس لأداء صلواتهم وهى المكان الذى يجتمع فيه الناس لمناقشة أمور دينهم ودنياهم ، وهى المكان الذى يجتمع فيه القضاة لحل المنازعات التى تقوم بين الأهالى كما هى المكان الذى يقصده طلبة العلم للتعليم والهداية •

وكان الأهالى يرسلون أطفالهم الى هذه المساجد لقراءة القرآن الكريم على يد الفقهاء وخاصة في فترة ما بعد الظهر ، وكان طلاب العلم في المساجد يجلسون على الأرض في شبه حلقات في هذه المساجد يتوسطهم الفقيه لتعليمهم المبادئ الأولية في القراءة والكتابة ثم يتدرج معهم في تحفيظ آيات القرآن الكريم الى أن يحفظ الطالب القرآن كله •

وكان اليوم الذى يتم فيه الطالب حفظ القرآن من الأيام الخالدة في حياة كل أسرة حيث يقوم أهل الطالب بنحر الذبائح وتقام الأفراح تكريما للطالب على تفوقه وكان بعض هؤلاء الطلبة الذين أكملوا حفظ القرآن الكريم يشقون طريقهم في الحياة على الوجه الذى يرغبونه بأنفسهم حيث تحول ظروف أسرهم المادية دون اكمال تعليمهم في خارج البلاد ، والبعض الآخر ممن تسمح لهم ظروف أسرهم المالية — وهم قلة — يسافرون الى مصر أو تونس للتخصص في فروع الشريعة الاسلامية في الجامع الأزهر أو في جامع الزيتونة ، ثم يرجعون الى وطنهم فيكون منهم القضاة والفقهاء والمعلمون •

وقد سار بعض الولاة العثمانيين متبعين طريق ولاة المسلمين الأول

في بناء المساجد التي تخلد أسماءهم والتي تصبح عنوانا على اهتمامهم بالعلم والتعليم والدين الاسلامي فقد أنشأ مراد أغا مسجده المعروف باسمه في ضاحية تاجوراء القريبة من طرابلس ، وأنشأ درغوت باشا الوالي مسجدا باسمه في مدينة طرابلس مازال يحمل اسمه للآن ، وأنشأ أحمد باشا القره مانلى مسجده العظيم بمدينة طرابلس أيضا ، الذي تحول الى معهد كبير وأدى خدمات جليلة للعلم ، وفي مدينة درنة أنشئ مسجد محمد بك القره مانلى « بن محمود القره مانلى ، ومحمود هذا هو محمود بك درنة ، ومازالت هذه الأسرة موجودة الى اليوم ومشهورة بهذا اللقب ، وهذا المسجد من أفخم المساجد ببرقة » (١) •

وقد أنجبت المساجد علماء أجلاء ، كما كان يقوم بالتعليم فيها فقهاء وعلماء أعلام ، وينوه التيجاني في رحلته بشيخ علماء طرابلس الامام الحافظ أبي فارس عبد العزيز بن عبد العظيم ، ويقول عنه : ناهيك من رجل قد نال من المعارف ما اشتهى وحاز فيما حاز من العلوم الأصولية والفرعية الغاية والمنتهى ، حضرت درسه بمسجد مجاور لداره فرأيت رجلا متضلعا من العلم ذاكرا بالمذهب ذكرا لا يجاربه فيه أحد ، وكان مولده بطرابلس عام ٦٣٩ هـ « • (٢)

الرباطات

الرباط ثكنة تتكون من صحن وعشرات الغرف الانفرادية حوله ومن الطبقات التي تعلو جوانبه وتنتهى بجامع كبير وصومعة مستديرة للأذان وخصوصا لمراقبة السواحل من غدرات الأعداء ، واقامة العلامات النارية ليلا التي تتناقلها الأربطة أولا بأول وجدائل الحمام الذي يكون في النهار خطوفا للبريد الجوى تنسق الأخبار المستعجلة وتبلغها من أقصى

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية ص ٣١٢ •

(٢) التيجاني : رحلة التيجاني ص ١٢٢ •

رباط بالمغرب الأقصى الى الاسكندرية •

والرباط أيضا مستشفى للمرضى يعالجهم المرابطون بالمجان كما كان دارا للمسافرين بين الأمصار الاسلامية ينزل فيه المسافرون للراحة استعدادا لمواصلة السفر ، كما أن الرباط يعتبر ثكنة عسكرية لحراسة الثغور وحمايتها من الروم في البحر الأبيض المتوسط يوم كان الأسطول العربى الاسلامى لا يقوى على مدافعتهم •

ولكن الرباط هو أيضا وعلى وجه الخصوص مدرسة يلقي فيها المرابطون علومهم على الرجال والنساء ومعهد لصناعة الحبر والرق والكاغد (الورق) لتوزع على طلاب العلم مجانا ودار نسخ المصاحف الشريفة وكتب الحديث والفقه حيث يحبس المؤلفون مؤلفاتهم بخطوط أيديهم على الأربطة لتكون منها النسخة الأم التى يرجع الى نصها الصحيح وتقابل عليها النصوص المنتسخة ، ويتولى المرابطون النساخون نسخها بأعداد كثيرة لتوزيعها على طلاب العلم احتسابا ففى كل رباط مكتبة جدارية مفرغة فى طاقات من الحائط بها النسخ الأمهات والمولدة منها •

وكان بين الرباط والرباط فى شمال افريقيا على وجه الخصوص ٦ كيلومتر ولما كانت المسافة بين سبتة فى أقصى المغرب – والاسكندرية ٦٠٠٠ كيلومتر كان هناك ألف رباط أى خط ماجينو أو خط سيجو فريد عربى ، هذا من الناحية الاستراتيجية ، وأما من النواحي الأخرى فقد كانت هنالك : ألف مستشفى وألف دار بريد وألف مدرسة وألف مكتبة وألف دار نشر – اذا صحت العبارة » • (١)

وكان الى جوار الرباط ساحة فسيحة معدة لخيول المجاهدين استعدادا لرد العدو أو مبادرته بالقتال تنفيذا لمنطوق الآية الكريمة « ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » • ثم على مرور الزمن تطور معنى لفظ الرباط فأصبح يطلق على المكان الذى يرباط فيه من نذروا أرواحهم

(١) عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب – ص ٥٦ •

للجهاد في سبيل الله ونصرة دينه فأصبح يطلق على البيت الذي يسكنه المتقشفون والصوفية .

فالرباط اذن جهاد النفس ، والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه ، واجتماع أهل الرباطات على الخير وحسن المعاملة ورعاية الأوقاف واتقاء ما يفسد الأعمال ويصحح الاحوال كل ذلك يعود بالبركة على البلاد والعباد . ومن الشروط اللازم توافرها في المرابطين قطع المعاملة مع الخلق وفتح المعاملة مع الحق - الله سبحانه وتعالى - « وترك الاكتساب اكتفاء بكفالة مسبب الأسباب وحبس النفس عن المخالطات واجتناب التبعات ومواصلة الليل والنهار بالعبادة متعوضا بها عن كل عادة والاشتغال بحفظ الأوقاف وملازمة الأوراد وانتظار الصلوات ، واجتناب الفضلات ليكون مجاهدا مرابطا » . (١)

وبهذا المعنى فان الرباط انما هو بيت للصوفيين ومنزلهم الذي يقيمون فيه ، لكل قوم منهم داره والرباط دارهم التي يمارسون فيها شعائرهم الدينية والعلمية والمعيشية واستقبال المسافرين من الشرق الى الغرب أو العكس ولا سيما في موسم السفر الى الحج والرجوع منه فهي وسيلة لانتقال سفراء العلم ونشر آثارهم الشفاهية أو الكتابية .

وبالنسبة لليبيا فلعل رباط طرابلس هو أقدم أربطة المغرب الذي يعرف باسم رباط قصر طرابلس والذي أسسه الوالى العربى هرثمة بن أعين عام ١٨١ هـ الموافق ٧٩٨ م وتآلف عقد طويل من الأربطة على طول الساحل الليبي من زوارة على الحدود مع تونس الى الاسكندرية لا يبعد الواحد عن الآخر الا ستة كيلومترات تقريبا .

ومن ناحية ثانية تتصل ليبيا بالصحراء الكبرى ، بل هي مفتاح الصحراء وحلقة اتصال بين خليج سرت وخليج غانة على المحيط الاطلسي

(٢) أسعد طلس : التربية والتعليم في الاسلام - ص ١١٣ .

وقد أدرك العرب ذلك منذ الفتح العربي لليبيا فكانت القوافل الليبية ليست قوافل اتجار بالبضائع فحسب بل قوافل تدخل الى قلب الصحراء لنشر الاسلام والثقافة الاسلامية بلغتها العربية « وهذا ما يفسر لنا وجود هذه السلسلة من المدن الصحراوية الثقافية التي هي غدامس وغات وجنات وتبكت وشنقيط وقاو وغيرها » . (1)

وعندما أسست طرابلس الأربطة البحرية على طول الساحل لحماية الثغور من هجمات أساطيل الأعداء أسست أيضا الأربطة الصحراوية لحماية الثغور البرية من هجمات الافريقيين لكن الرباط لم يكن حصنا دفاعيا أو هجوميا فقط ولم يكن منطقة أمان وسياج حراسة بل كان مركز اشعاع للعلوم العربية والاسلامية والثقافة الاسلامية العربية . فمن حيث هو معهد تعليم ودار كتب ومصنع للورق لعب دورا أساسيا في تثقيف الافريقيين في الدين واللغة . وسرعان ما أسست حول الرباط مدينة لتمكين الطلبة وأهاليهم من أسباب المعاش الكريم فصار الرباط مدينة علم .

استمر تأسيس الأربطة الصحراوية ونفاذ ثقافتها الاسلامية واشعاعها على الربوع الافريقية واتسعت سلسلة الرباطات من خليج غانة على المحيط الأطلسي الى البحر الأحمر أى الى مكة المكرمة ، فصار الطلاب الأفارقة ينتقلون من رباط الى رباط في طلب العلم الى أن يبلغوا مكة في طلب العلم والحج فيستكملون علومهم بمكة ويحجون ويرجعون مرابطين أساتذة مزودين بالعلم والبركة في آن واحد . . يرجعون طريقهم من مكة الى قاو أو دكار أو غيرها يشعون اشعاعا قدسيا وعلميا .

واستمر هذا الحال الى أوائل القرن الرابع الهجري فظهر عندئذ أبو بكر الصنهاجي الذي اشترك مع يوسف بن تاشفين في تأسيس دولة المرابطين التي قام بأعمالها السياسية يوسف بن تاشفين وقام بأعمالها العلمية أبو بكر الصنهاجي في غانا ومحمد بن يس في موريتانيا ، وبنى

(1) الكعك : مراكز الثقافة - ص ٥٨ .

لها يوسف بن تاشفين جامعة مراكش •

« وهكذا بلغت أربطة الصحراء من التضخم ما جعلها طريق العلم والحج ووسيلة ادخال السودان - افريقيا - في الاسلام وما حونها الى جامعة مراكش وما جعل المرابطين دولة اسلامية كبرى فتحت الاندلس من جديد ووحدت الأقطار المغربية وأدخلت السودان في الاسلام » (١) •

فالحركة العلمية التي ارتبطت بالرباطات الصحراوية في شمال افريقيا بدأت بطرابلس ثم اتجهت غربا حتى اخترقت الصحراء الى غانة ثم اتجهت شرقا الى أن ربطت بين غانا ومكة المكرمة ثم اتجهت شمالا فربطت بين غانا واشييلية فهذا هو الدور الكبير الذي قامت به الرباطات في ليبيا •

ومن الأمور التي تستلفت النظر أن الرباط كان معهدا دينيا قبل أى شئ فتعليمه دينى ولخلق الجو الدينى واستمراره كان يقوم بما عرف بالعادة والعمل ، فالعادة مقدار مشترك متحد بين جميع الأربطة وهى موسيقى دينية متزمنة مؤثرة حارة وجملة أناشيد تنشد خارج الرباط للدلالة على أنها مشتركة بين جميع الاربطة ، وتقع هذه الأناشيد المؤثرة بعد ايقاد الشموع وتبخير البخور فى المجامر ، وعلى القيام بحركات جماعية تتجه الى باب الرباط ، وبذلك تخلق العادة الجو الرباطى العام •

ثم يقع العمل داخل الرباط والغالب أن العمل يقع كل يوم خميس وكل يوم سبت فيجلس المنشدون حول رئيسهم وبينهم الشموع ومجار البخور فينشدهم أحدهم أبياتا من الشعر التصوفى المعروف بالرقائق — « لأنه يرقق القلب ويجرى الدمعة ويدعو الى الانجذاب فيأخذ الوجد حلقة المرابطين فيكون ويصرخون ويمزقون الجيوب ويقعون على الارض فى غيبوبة تصوفية » (٢) •

وقد استمرت الأربطة فى طريقها وتطورها « حتى جاءت دولة الموحدين

(١) عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب - ص ٦٢ •
(٢) نفس المصدر .

في القرن السادس الهجري فتفتق الرباط وصار قسمه العسكري قلعة عسكرية ومقرا للمبيت للمسافرين وقسمه التعليمي زاوية تعلم العلم من ناحية وتعلم الطريقة من ناحية أخرى ، وبذلك حلت الزاوية محل الرباط « (١) وصار من واجباتها بث العلم والدعوة الى الاسلام في بلاد البربر لتأكيد الاسلام في نفوسهم واصلاحه وفي البلاد الافريقية لدخول الزنوج في الاسلام .

وعند مجيء الحكم العثماني لليبيا وشمال افريقيا كانت الرباطات تؤدي وظيفة ثانوية من الناحية التعليمية اذ كانت قاصرة على ايواء المسافرين وبعض العلماء الذين كانوا يفرون بعلمهم من تسلط واضطهاد بعض الحكام ومن ثم يقومون بنشر تعاليمهم لكل من يفسد على هذه الأربطة في طريقه الى الحج أو في عودته منه ، كما أن ظهور مؤسسات أخرى تقوم بالتعليم قد أفقد الأربطة أهميتها من هذه الناحية .

الزوايا

كانت بوادي شمال أفريقيا ووسطها على سكونها وهدوءها تضطرب بألوان من الحركات الدينية والاقتصادية وكانت الزوايا الدينية التي يقوم عليها أصحاب الطرق الصوفية هي أهم مراكز هذه الحركات ، اذ كانت مراكز الدعوة الى الاسلام والتمسك بمبادئه ، وكانت الزوايا التي كانت بمثابة مراكز ثقافية تقع في الغالب على طرق التجارة التي تربط وسط افريقيا وشرقها بشمالها ، كما كانت تربط غرب القارة بشرقها . وتنتقل بواسطة هذه الطرق السلع في قوافل دائمة الحركة . وفي هذه الزوايا يلتقي رجال القوافل القادمون من الجنوب والعائدون

(٢) عثمان الكعاك : نفس المصدر - ص ٦٥ .

من الشمال ، يجلسون الى مشايخ الزوايا ، وينغمسون في جوهم الدينى ويتبادلون معهم الأحاديث المختلفة عن البلاد التى جاءوا منها أو مروا بها ، وبذلك تظل هذه الزوايا على صلة بالعالم الخارجى .

وكانت الزوايا معروفة فى الأقطار الاسلامية من أزمنة بعيدة ، وكان جميعها على نمط واحد ، فقد كان يرأسها شيخ يعرف بالمقدم له سلطة واسعة على منتسبى الزاوية ، بيد أن « أهل هذه الزاوية فى طورهم الأول كانوا منقطعين للعبادة ومنصرفين عن شئون الدنيا ، يعرف رؤساء كل حلقة من حلقات هؤلاء الاخوان باسم الدراويش وكثرت الزوايا وتعددت بعدد الطرائق وتنوعها » (١) وكثيرا ما كانت تقع منازعات بين هذه الزوايا تبعدها عن حركة الإصلاح الدينى والاجتماعى والسياسى داخل الأمصار الاسلامية ، ومن ثم يكون أثرها فى الدعوة الاسلامية ضعيفا .

والزاوية كالرباط الا أنها أصغر فى الغالب وهى أكثر ما تكون فى الصحارى والأمكنة الخالية من السكان « وربما أطلقت على ناحية من نواحي المساجد الكبرى تقام فيها بعض حلقات العلم ، فقد كان فى جامع عمرو بن العاص بمصر عدة زوايا . وكانت هذه الزوايا توقف على الفقراء الصوفية ويجعلون لها شيئا واحدا أو أكثر من واحد ، ويحددون عدد من يباح لهم الإقامة الدائمة فيها ومن يحق لهم البقاء فيها مؤقتا مدة من الزمن » (٢) وكان يقيم التدريس فى كل زاوية فقيه أو عالم بفقهاء أحد الأئمة الأربعة .

قامت الزوايا بدورها التعليمى فى ليبيا فى عهد الموحدين والحفصيين وبذلك انضمت الزاوية الى الكتاب والجامع لتصبح جميعا أهم المؤسسات الثقافية فى ليبيا قبل القرن السادس عشر ، حينما ازدهرت هذه المؤسسات بفضل الأوقاف الكثيرة التى كان يوقفها أمراء الأتراك والمسلمون القادرون من أبناء الشعب الليبى .

(١) د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة - ص ٤٨ .

(٢) د. محمد أسعد طلس : التربية والتعليم فى الاسلام - ص ١١٥ .

كانت الزوايا دور تعليم وضيافة وتصوف وعبادة وعمل وأماكن نسخ القرآن الكريم ولمختلف المخطوطات العربية • وكان تعليم الزوايا يعتبر أعلى مستوى في الدرجة من تعليم الكتاتيب ويمكن موازاته بالتعليم الثانوى الحالى ، وكان خريجو الزوايا يتقلدون وظائف ويقومون بأعمال التبشير والدعوة الاسلامية في الجبال والصحارى ويقومون أيضا بالتعليم في الكتاتيب ويباشرون الوعظ والارشاد في المساجد وبين رجال القبائل • ويرجع الى كثير من خريجي الزوايا الفضل في نشر الاسلام في قلب افريقية وفي تعليم اللغة العربية بين كثير من الافريقيين وقاموا بدور أساسى في مواجهة الزحف الاستعمارى على القارة الافريقية •

وكان من أشهر الزوايا المنتشرة في ليبيا عدة زوايا ارتبطت بأسماء منسئها من الشيوخ المتصوفين وما زالت تحمل هذه الأسماء الى الآن وما زالت تقوم بدور في تعليم الناس صغارا أو كبارا شئون الدين الاسلامى • ومن بين هذه الزوايا ما يلي :

١ — زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر في مدينة زليتن « وهى من أشهر زوايا زليتن وتعرف بزواية الشيخ ، ومهمتها تعليم العلم وتحفيظ القرآن ، وفيها حجر كثيرة لسكن طلبة العلم والقرآن • وقد أسست في حياة الشيخ عبد السلام سنة ٩٠٠ هـ » • (١)

٢ — زاوية الشيخ ابراهيم المحجوب بمدينة مصراته « وهذه الزاوية منسوبة الى الاستاذ ابراهيم المحجوب وهى احدى زوايا القطر الطرابلسى التى أسست لتعليم أبناء المسلمين القرآن ودراسة الفقه وعلوم العربية ، ثم غلب اسم زاوية المحجوب على المنطقة كلها وصارت تسمى بهذا الاسم» (٢)

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية ص ١٦٤ .
(٢) الزاوى : نفس المصدر ص ١٦٧ .

٣ — زاوية الشيخ أحمد الزروق بمدينة مصراتة •

٤ — زاوية الشيخ الدوكالى فى مسلاتة • « وهى زاوية مشهورة ببلدة الزعفران ، قرية من قرى مسلاتة ، أسست لتحفيظ أبناء المسلمين القرآن وتعليمهم العلم ، أسسها الشيخ عبد الله الدوكالى فى حياته » • (١)

٥ — زاوية الشيخ أبو راوى فى تاجوراء •

٦ — زاوية الشيخ عبد النبى الأصفر فى الجبل الغربى ، « وهى تسمى زاوية أبى ماضى وهو اسم لجبل قريب من بلدة ككلة بنيت هذه الزاوية بالقرب منه فنسبت إليه » • (٢)

٧ — زاوية القائد عمورة فى جنزور •

٨ — زاوية النعاس فى تاجوراء •

هذه أهم الزوايا التى قامت فى أنحاء متفرقة من الأراضى الليبية ، وقد تحولت هذه الزوايا الى معاهد ومدارس دينية فى الوقت الحاضر • وكانت الزوايا بمثابة تعليم ثانوى وكان برنامج التعليم فيها شاملا للعلوم الدينية حيث تدرس كتب الفقه والحديث وتفسير القرآن الكريم وعلم الفرائض والفلك والجغرافيا والتاريخ والطب ، كما تدرس العلوم الأدبية واللغوية ومن بينها علم الأدب والعروض والنحو والصرف والبلاغة •

وكان العلماء فى الزوايا يمنحون نوابغ طلابهم الاجازات العلمية التى تمثل جانبا فى التنظيم التعليمى فى ليبيا فى ذلك العهد • وقد نبغت فئات كثيرة مشهورة من العلماء من البرقاويين والطرابلسيين جيلا بعد جيل فى العلوم الاسلامية والعربية مما ساعد على ربط الدين الاسلامى

(١) الزاوى : نفس المصدر ص ١٦٦ •

(٢) الزاوى : نفس المصدر ص ١٦٠ •

والتعليم الدينى بالبيئة وبالمجتمع وبالحياء وأدى الى ظهور الزوايا والمدارس الدينية التى تؤدى رسالتها فى هذا المجال .

ثم ظهرت الزوايا السنوسية بظهور الطريقة الصوفية التى تحمل نفس الاسم والمنتسبة الى عالم من علماء الدين من أصل جزائرى هو محمد ابن على السنوسى وكان ظهور هذه الزوايا لخدمة الطريقة التى ابتدعها صاحبها والتى رأى أنها تحقق أهدافه الدينية والدينية بمعنى أنه اتجه بالزوايا وبالطريقة اتجاها دينيا فى مظهره سياسيا فى حقيقته حتى صدق عليه القول بأن الطريقة السنوسية دين ودولة .

ومن الانصاف للحقيقة أن نذكر بعض حقائق الطريقة الصوفية المعروفة باسم السنوسية ومؤسسها قبل أن نتكلم عن الزوايا كمؤسسات تعليمية قامت بدور لا يمكن انكاره . فقد كانت أحوال العالم الاسلامى فى القرن التاسع عشر الميلادى سيئة وتتجه الى التحلل بسبب تفتت القوى الاسلامية وانحلال وضعف الامبراطورية العثمانية التى كانت تسيطر على كل البلاد العربية الاسلامية أمام أطماع الدول الأوروبية الاستعمارية .

وفى مقابل هذه التحديات الاستعمارية قامت بعض الحركات الدينية فى العالم الاسلامى فى نشوة دينية عمت البلاد الاسلامية فى القرن التاسع عشر كرد فعل للتغلغل الأوروبى الاستعمارى فى أنحاء متفرقة من العالم الاسلامى .

فقد ظهرت الحركة الوهابية فى نجد بالجزيرة العربية ، والدعوة السنوسية فى ليبيا ، والثورة الدينية المهديّة فى السودان . الى جانب فكرة الجامعة الاسلامية التى تزعمها جمال الدين الأفغانى واتخذ مصر مركزا للدعوة لها ، بالاضافة الى الطرق الصوفية التى قامت فى الشمال الأفريقى مثل الطريقة التيجانية والطريقة الشاذلية . الخ .

ولسنا بصدد الحديث عن الأحداث التاريخية لكل حركة من هذه الحركات ولكننا سنتناول الطريقة السنوسية كحركة دينية سياسية

اتخذت ليبيا مقرا لها ومستقرا وابتدعت من وسائل الاعلان والتعليم ما يمكن أن يكون نظاما تعليميا ينتسب الى هذه الحركة والى مؤسسها محمد بن علي السنوسى وخلفائه من بعده .

ولد محمد على السنوسى ببلدة مستغانم بالجزائر عام ١٢٠٢ هـ الموافق ٢٢ - ١٢ - ١٧٨٧ م على الأرجح من أسرة أرجع أصولها السنوسيون الى البيت النبوى الشريف وقد درس وتعلم بالجزائر ثم التحق بجامع القرويين بمدينة فاس بالمغرب الأقصى . وقد عاش في تلك الفترة التى شهدت محاولات الاستعمار للسيطرة على أقاليم الشمال الافريقى . فقد كانت تلك الأقاليم تعيش عصر تدهور مما جعل الجزائر فريسة سهلة للاستعمار الفرنسى فيما بعد . اذ أنها كانت أولى البلاد الاسلامية فى بلاد المغرب خضوعا للاستعمار الأوروبى بعد تجربة الفرنسيين الفاشلة فى مصر فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى .

وقد قام محمد بن علي السنوسى برحلات كثيرة فى أنحاء من العالم الاسلامى ، فقد بدأ رحلته الأولى من فاس بالمغرب الأقصى عام ١٢٣٢ هـ / ١٨٢٠ م . ومر بليبيا بعد ثلاث سنوات حيث عرف أحوالها حيث كانت ولاية عثمانية لا يتعدى نفوذ الحكم العثمانى فيها السواحل والمدن ولا ينتشر التعليم فيها فى غيرهما ، وهو تعليم خامل ضعيف ، ثم واصل رحلته الى مصر فالحجاز ثم عاد ثانية ، وأخيرا استقر به المقام بالجبل الأخضر فى برقة حيث أسس أول زاوية له فى ليبيا أسماها الزاوية البيضاء وكان ذلك عام ١٢٥٧ هـ / ١٨٤٣ م .

« وبناء هذه الزاوية يبدأ الدور الأول من الدعوة السنوسية فى ليبيا وكانت تلك الدعوة تقوم على أنه لا نجاة للعالم الاسلامى مما يعاينه من أزمات شديدة الا بعودة أهله للاسلام الصحيح الذى كفل لهم العزة يوم أن كانوا خير مسلمين محافظين على عقيدتهم متمسكين بتعاليمها . على هذا الأساس قام يدعو القبائل فى برقة ويبشر بينها بحركته التى تنادى بضرورة العمل بالقرآن الكريم والسنة المحمدية الشريفة ، وعدم الاكتفاء بالأذكار والأوراد والاعتماد على مجرد التلاوة والذكر

دون العمل الجدى ومراعاة أحكام الشريعة الاسلامية فى الأعمال الخاصة
والعامّة كما كان العهد فى أيام الرسول والخلفاء الراشدين من بعده « (١)

ومعنى هذا أن صاحب الدعوة السنوسية كان يرى ضرورة قيام
الحكم فى البلاد الاسلامية على أسس اسلامية شرعية صحيحة فى ظل
امام عادل يجمع الزعامة الدينية والزعامة السياسية جمعا فعليا ،
وبذلك تصبح الطريقة دينا ودولة ويصبح هو رجل دين وسياسة
وحكم ..

مركز الحياة فى السنوسية هو الزاوية التى كانت تعتبر معهد علم
ومركز اصلاح ومحكمة للتقاضى وفض الخصومات ومدرسة لتحفيظ
القرآن الكريم وتربية الرجال واعداد الدعاة للطريقة وحارسا لحفظ
البلاد من غارات الأعداء حيث كانت كل زاوية تضم مسجدا للصلاة
ومدرسة قرآنية كما يلحق بها مضيضة خاصة لاستقبال الضيوف للقيام
بواجب الضيافة طيلة ثلاثة أيام كما جرى به العرف عند العرب من أهل
البلاد من غارات الأعداء حيث كانت كل زاوية تضم مسجدا للصلاة
للأساتذة والطلاب والاخوان والمريدين والخدم وعائلاتهم •

وعندما كان صاحب الحركة يبعث بأحد الشيوخ لانشاء زاوية
جديدة كان ينتظر من ذلك الشيخ أن يجعل من الزاوية وأراضيها وسكانها
جالية حية منتجة ، وتتم عملية انشاء الزاوية بتخصيص قطعة من أرض
القبيلة التى تنشأ الزاوية فى وطنها تخصص لمصلحة الزاوية ثم تقام الأبنية
اللازمة للزاوية على أن يقوم الرجال بأنفسهم بالعمل •

والأرض المحيطة بالزاوية كان يقوم بالعناية بها واستثمارها الاخوان
سواء أكانوا من أهل القبيلة نفسها أم من غيرهم ولو انها كانت تعتبر
ملكا للقبيلة التى تقوم الزاوية فى وطنها ومن هنا كانت الزاوية مركزا
للوحة القبيلة وهذه قيمتها السياسية •

ومع أن الاخوان كانت تخصص لهم قطع من أراضي الزاوية

(١) مصطفى بعيو : دراسات فى التاريخ اللوبى - ص ٣٦ •

يستغلونها فانه لم يكن باستطاعتهم التصرف فيها بالبيع ، وأما واردات الزاوية فكان يخصص جانب منها للصرف على مركز الزاوية والباقي يرسل الى مركز الدعوة السنوسية في الزاوية البيضاء أو زاوية الجغبوب .

وشيخ الزاوية كان يعينه رئيس الدعوة والطريقة السنوسية وكان يراعى في اختياره رغبات أهل القبيلة نفسها ، على أن لا يتعارض ذلك مع رأى صاحب الطريقة ، لأن شيخ الزاوية هو صاحب الحل والعقد فيها فهو الذى يعلم أو يشرف على التعليم وهو الذى يحل الخصومات وهو الذى يحفظ النظام وهو الذى يعنى بالقوافل وقد يطلب منه تنظيم الدفاع عن الزاوية في حالة الاعتداء لذلك كان مركزه هاما وكان يجب أن يتسع باحترام الجميع ليتمكن من القيام بهذه المهمات ويضطلع بأعباء المسئوليات الجسام .

ومما يسترعى الانتباه هو مواقع هذه الزوايا العديدة ، وخاصة في برقة حيث أن صاحب الطريقة اهتم بأن تكون الزوايا في مواقع ذات قيمة تجارية وادارية وحرية ومن هنا نرى أن هذه الزوايا تقوم عند ملتقى الطرق وفي أماكن يسهل الدفاع عنها طبيعيا ويمكن منها الاشراف على رقعة من الأرض تجاورها . « ومن الانصاف للحقيقة والتاريخ أن الفضل كل الفضل في امداد الدعوة السنوسية بأسباب الحياة والقوة انما يرجع الى البرقاويين لأنهم كانوا يمدون القائمين بها بزكاة مزروعاتهم وحيواناتهم وبتبرعاتهم وصدقاتهم وهداياهم ، وهى من الكثرة بحيث وجد فيها القائمون بهذه الدعوة ما فيه الكفاية وفوق الكفاية (١) .

وبحكم هذا الوضع تم ربط الزوايا برباط متصل بالمراسلات والمتابعة . وكل من ينتسب لهذه الزوايا كانوا يعرفون بالاخوان « وهم من أخذوا الطريقة السنوسية وتمسكوا بوردها » (٢) وهؤلاء الاخوان ينقسمون الى ثلاثة أقسام أو طبقات هى :

(١) طبقة العلماء التى تقوم بالقاء الدروس العلمية في المعهد الجغبوبى

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية ص ١٠٦ .

(٢) رحلة الحشائشى الى ليبيا - ص ١٧٤ .

وتتكون من هذه الطبقة هيئة استشارية تعرف باسم (مجلس الاخوان)
ومقر هذه الهيئة بالقرب من الامام السنوسى •

(٢) طبقة مشايخ الزوايا وغالبهم يكون من الطبقة الأولى •

(٣) الطبقة الاحتياطية وهى التى تتكون عادة من صغار خريجي المعهد السنوسى ومن حفظة القرآن ومن مهاجرى البلاد الاسلاميه ومن يتجردون عن أعمالهم الخاصة للاتحاق بخدمة صاحب الطريقة ، وتقوم هذه الطبقة الثالثة بأعمال ذات بال ولها أهميتها فى الحقل الاجتماعى ، وكان العضو من هذه الطبقة يوفد الى الخارج حاملا رسالة الحركة السنوسية ، ويوفد البعض منهم لاجراء الصلح بين المختصمين والبعض منهم يقوم بجلب المؤن والبضائع من الزوايا السنوسية أو من الأسواق الخارجية والبعض منهم يقوم بأعمال شيخ أى زاوية عندما يكون شيخها خارج عمله » (١)

وقد انتشرت الزوايا فى طول البلاد وعرضها طوال الفترة التى عاشها محمد بن على السنوسى فى ليبيا والتى بلغت حوالى عشر سنوات وبلغ عدد هذه الزوايا ٢١ زاوية معظمها فى الواحات جعل رئاستها فى الزاوية البيضاء الأم حيث كان يقيم السنوسى أغلب الأوقات حتى سنة ١٢٧٣ هـ / ١٨٥٦ م • وقد اتجهت جهوده فى الفترة الأولى من نشاطه بليبيا الى بناء زوايا وتشييد مراكز للتغلغل فى القبائل ودعوتهم اليها والى التعليم بها وبذلك أصبح لكل قبيلة زاوية أو أكثر يرسلون اليها أولادهم لحفظ القرآن وتعليم مبادئ العلوم الدينية واللغوية والمتفوقون منهم يواصلون الدراسة العالية بالزاوية البيضاء الأم ، الى أن تم انشاء زاوية الجغبوب سنة ١٢٧٣ هـ سنة ١٨٥٦ م وانتقلت الرئاسة العامة اليها • وكانت « الحكومة المصرية قد أباحت للسيد السنوسى أن يبنى بالجغبوب — التى هى من أملاكها — زاوية اكراما له لأنه دينى ويريد نشر الدعوة

(١) محمد الطيب الاشهب : عمر المختار — ص ٣٥ •

الاسلامية في تلك الصحارى البعيدة عن مراكز العلم والثقافة ، وقد أعانتها الحكومة المصرية اذ ذاك على بناء الزاوية » (١) •

يعتبر انشاء زاوية الجغبوب تطورا هائلا في تاريخ الحركة السنوسية وتاريخ التعليم الدينى في ليبيا • وتقع مدينة الجغبوب على الحدود الشرقية من ليبيا مع مصر ، وكانت واحة غير ذات بال حتى اختارها السنوسى مقرا لرئاسة الزوايا وقيادة الحركة وبث الدعوة السنوسية ، وهذا المكان ملتقى القوافل وممر للمسافرين • وقد سميت « زاوية الأستاذ نسبة الى الأستاذ السيد محمد بن على السنوسى ، وهى واحة صغيرة تقع الى الجنوب من طبرق بنحو ٢٨ كيلومتر وتقع على حدود سيوة الغربية ، وتحيط بها صحراء قاحلة قاتلة » (٢) •

وجاء انشاء زاوية الجغبوب بمثابة المعهد العالى الذى يلتحق به الاخوان السنوسيون لاعدادهم اعدادا عاليا وتخرج العلماء الأكفاء منهم واعداد الدعاة وكانت هذه الزاوية مزودة بمكتبة شاملة كما كان يقوم بالتدريس فى هذه الزاوية مجموعة من العلماء المتصلعين فى الفقه واللغة والعلوم العقلية والنقلية « تحت اشراف السنوسى نفسه الذى يضع برامج التعليم ويقرها » (٣) •

كان يشرف على ادارة الزاوية الفرعية كل من :

- ١) شيخ الزاوية : ويعين من قبل صاحب الحركة السنوسية نفسه •
- ٢) وكيل الزاوية : ويدير الزاوية فى غياب الشيخ •
- ٣) مجلس ادارة الزاوية : ويضم شيوخ وأعيان القبيلة والأراضى المجاورة •

وشيخ الزاوية هو المسئول عن الزاوية ومجلس ادارتها ، وفى اقامة الشعائر الدينية بها وتسيير حركة التعليم فيها والاشراف على كل شئ من فض المنازعات والفصل فى الخصومات •

(١) الزاوى : معجم البلدان الليبية - ص ١٠٦ •

(٢) الزاوى : نفس المصدر ص ١٠٣ •

(٣) محمد الطيب الاشهب : برقة العربية - ص ٤٦ •

وكانت موارد الصرف على الزوايا تتكون من :

- ١) الهبات والتبرعات والأوقاف •
- ٢) الشراء من أموال الأوقاف •
- ٣) احياء الأراضي البور واصلاح الآبار الخربة وتجديدها •

وتنظم لائحة التعليمات للزوايا انشاءها على النحو التالي : —

- ١) تبنى الزوايا على ربوة عالية مختارة تشرف على ما حولها ، وتعتبر قطعة الأرض التي تقام عليها والمساحة المتفق عليها من جهاتها الأربعة وقفا •
- ٢) تقوم القبيلة أو القبائل صاحبة الشأن ببناء المسجد والمدرسة وبيت الشيخ •
- ٣) الحرم المتفق على تخطيطه حول الزاوية يكون حرما آمنا لمن دخله واستجار به ولا يجوز فيه أى لون من ألوان العبث أو الاعتداء أو التهديد به •
- ٤) كسوة شيخ الزاوية وثمان سلاحه وفرسه ونفقات زواجه تكون من موارد الزاوية •
- ٥) لشيخ الزاوية الحق فى تعيين معلم الصبية والمؤذن للصلاة ، وعدد من العمال والخدم حسب الضرورة وتكون أجورهم من موارد الزاوية •
- ٦) وجوب احضار الطعام للضيوف وأن يحتفظ الشيخ بما يكفى لنفقات الزاوية سنويا من مجموع الواردات وارسال الباقي الى المركز الرئيسى ولشيخ الزاوية أن يحتفظ بالعشر من هذه الواردات للنفقة على أسرته وأقاربه ، حيث يحرم عليهم أن يكونوا ضيوفا على الزاوية •
- ٧) لكل زاوية منطقة لها حدود تنتهى بسلطتها عندها •
- ٨) على شيوخ الزوايا الاجتماع الدورى فى مؤتمرات لمدرسة شئون زواياهم •

وكان التعليم فى ظل الطريقة السنوسية فى الزوايا — كما أعلنها السنوسية يسير على النحو التالى :

أولاً : « التنفيذ العملى لأحكام الاسلام ومبادئه : عن طريق تربية المريدين والاخوان واعداد الدعاة وتدريبهم على حمل السلاح وحياة التقشف ليكونوا جنوداً قادرين على الدفاع عن العقيدة، كما قام هذا النظام بالتنشئة العملية على التزام الفضيلة واجتناب الرذيلة » (١) • حيث كانت الزوايا وما يحيط بها حرماً مقدساً لا يجرؤ أى انسان على انتهاك حرمة أو العبث حوله أو ارتكاب أى محذور فيه الى جانب القدوة الحسنة التى يجدها المواطنون فى الزوايا والمشرفين عليها •• وكان هذا التدريب يشمل شئون الدين كما يشمل شئون الدنيا بالدعوة لفلاحة الأرض والقروسية والتدريب على حمل السلاح وغيرها والمشاركة فى ذلك كله •

ثانياً : اتباع نظام تعليمى يسير على النحو التالى :

- (١) مدارس لتحفيظ القرآن الكريم وتلقين مبادئ الدين واللغة •
- (٢) مسجداً لأداء الفرائض ووعظ الناس واجتماع الاخوان للذكر وتلاوة القرآن الكريم جماعة — وهو ما يسمى بالحزب — وقراءة الأوراد دون شطح أو تمايل وانما بأدب وخشوع •
- (٣) يلتحق الطلاب الممتازون من حفظة القرآن الكريم بالزوايا التى تعتبر معاهد علم عليا مثل الزاوية البيضاء وزاوية الجغبوب ويلحق بهذه الزوايا مكتبة كبيرة ينتفع بها المدرسون والطلاب •
- (٤) كانت العلوم التى تدرس فى الزوايا تشمل العلوم الاسلامية من تفسير للقرآن الكريم وحديث وفقه وأصول فقه والفرائض والتصوف والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة والأدب والعروض وغيرها كما كان يتم تدريب الطلاب على تعلم بعض الحرف والصناعات مثل صناعة البارود والأسلحة •

(١) محمد الطيب الأشهب : السنوسى الكبير — ص ٣٠ •

(٥) كانت زاوية الجغبوب جامعة دينية عالية يقوم بالتدريس فيها

أقدر العلماء وأشهرهم •

من هذا الاستعراض للحركة السنوسية ونظام الزوايا السنوسية

يمكن استخلاص بعض الحقائق التالية :

أولاً : استفاد محمد بن على السنوسى فى دعوته من أخطاء أصحاب

الحركات الدينية السابقة له فلم يلجأ منذ البداية للعنف — كما

فعل الوهابيون — ولكنه اتخذ الدين شعارا ووسيلة يحقق بها

أهدافه المعلنة وغير المعلنة •

ثانياً : اختار مواقع زواياه بصورة تجعل منها قلاعاً دفاعية وحصونا

حرية ذات اكتفاء ذاتى مما يوضح هدفه الحقيقى ويكشف عن

نواياه الساعية الى تأسيس دولة يترأسها هو •

ثالثاً : كان النظام الذى اتبعه فى زواياه يجعل من كل الاخوان والقبائل

الموجودة فى أراضى الزوايا يدينون بالولاء لصاحب الطريقة ،

وكان نجاحه فى فض الخلافات بين القبائل أول دعائم نجاح

هذا النظام •

رابعاً : كان السنوسى يطمع فى انتشار نفوذه فى غير ليبيا ، لذلك رأيناه

أنشأ زوايا كثيرة كان منها « ٦ زوايا بالحجاز ، ٩ زوايا بمصر •

١ زاوية بتونس » (١) •

خامساً : كان التعليم الذى ابتدعه فى زواياه ذا طابع تقليدى كما كان

الحال فى السابق ، ولم يستفد من العلم الحديث وأسلوب

التعليم العصرى الذى وجد له طريقا الى بعض البلاد العربية

وأولها مصر •

سادساً : لم يكن للتعليم فى الطريقة السنوسية سلم تعليمى يتدرج فيه

الطلاب من أولى درجاته ، وهذا عيب واضح طالما نبحت عن

دور الزاوية التعليمى •

(١) محمد الطيب الأشهب : السنوسى الكبير — ص ٣٣ •

الكتاتيب

ورث الحكم التركي في ليبيا في مجال التعليم نظاما تعليميا كان قائما منذ زمن طويل ومنتشرا في أنحاء البلاد الاسلامية ، هذا النظام هو ما يعرف باسم الكتاتيب وهي أولى درجات السلم التعليمي الديني ، حيث تفضى هذه الكتاتيب الى الزوايا أو ما قد يسمى بالمدارس القرآنية ، ثم يمضى المتعلم بعد هذه الزوايا الى الحلقات التي تنعقد حول بعض الشيوخ في بعض المساجد والمعاهد ، ومن أراد الاستزادة يرحل الى الجامع الأزهر في مصر أو الى جامع الزيتونة بتونس ليبلغ من العلم المبلغ الذي يؤهله لتولى بعض مناصب التدريس أو القضاء •

ويتبين من هذا أن الكتاتيب تبدأ مع الطفل أولى مراحل تعلمه فيتعلم القراءة والكتابة « وحتى هذه كانت بدائية جدا ، وكان التعليم مستندا الى القرآن الكريم » (١) • وكانت هذه الكتاتيب منتشرة في كثير من المدن والقرى حيث يتوفر عدد من السكان وكان يقوم بالتعليم في هذه الكتاتيب معلم يعرف باسم الفقيه أو « الخوجه الذي كان يتقاضى عن عمله ما يأتيه به تلاميذه كل يوم خميس » (٢) • من أشياء مادية عينية •

وكان التلاميذ ينتظمون في الكتاتيب طالما توفر هذا المعلم أو الفقيه الذي كان هو بدوره يعمل على جمع مجموعة من الأطفال وكل من هؤلاء الصبية « يحضر معه لوحا من (الاردواز) حيث يسجلون عليها آيات من القرآن الكريم ، وكانوا يجلسون على حصير مفروش على الأرض • وبإشارة من الفقيه — الذي يحفظ النظام بعضا طويلا من الجريد التي يستخدمها غالبا — يردد الأطفال بصورة جماعية في نعمة غنائية رتيبة مقاطع من الكتاب الديني المقدس » (٣) • أى القرآن الكريم ••

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania, P. 9.

(2) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 84.

(3) Steele Greige : History of Education in Tripolitania, P. 9.

لم يهتم الحكم التركي عندما سيطر على ليبيا بهذا النوع من التعليم شأنه شأن الأنواع الأخرى من التعليم ، وكل ما كان يقوم به الحكم في الولاية هو تسجيل هذه الكتابات وحتى عملية التسجيل اقتصر فقط على المدن الرئيسية كطرابلس وبنغازى أما الكتابات في القرى والمناطق الأخرى البعيدة عن طرابلس وبنغازى فلم يلتفت إليها ولا حتى بتسجيل أعدادها .

وأمانا احصائية بعدد الكتابات بمدينة بنغازى فقط تبين أن عدد هذه الكتابات عام ١٢٨٤ هـ ١٨٨٣ م — أى فى السنوات الأخيرة من الحكم التركى — بلغ ٨ كتابات فقط عدد تلاميذها غير مستقر ، وهذا يؤكد أن هذه الكتابات كانت تقوم بخدمتها التعليمية بجهود فردية أهلية يتولى التلاميذ أنفسهم وأهلهم الصراف على عملية تعليمهم التى لم تكن تتعدى دفع أو تقديم أشياء مادية أو عينية للفقير الذى كان يجعل من منزله أو من المسجد مقرا لتعليم هؤلاء التلاميذ .••

وقد حاول الوالى المقيم بمركز الولاية — أى طرابلس — أن يستحث ناظر المعارف فى استانبول لتقديم المساعدة لهذه الكتابات ، فكانت الرسالة التى بعث بها فى أغسطس ١٨٩١ م الموافق رجب ١٢٩٢ هـ متضمنة بيانا بالكتابات « المعمورة والخراب الموجودين بنفس طرابلس الغرب والتى يبلغ عددها ١٥ كتابا » (١) •• وتبين من هذه الرسالة وهذا البيان ما يلى :

عدد

- (١) يوجد ٦ كتابا معمورة ويقرأ فيها الصبيان أى يتم فيها التعليم .
 - (٢) يوجد ٣ كتابا معمورة ولا يقرا فيها الصبية أى خالية من التعليم
 - (٣) يوجد ٤ كتابا خراب ويقرأ فيها الصبية أى يتم فيها التعليم .
 - (٤) يوجد ٢ كتابا خراب ولا يقرا فيها الصبية أى خالية من التعليم .
- ومعنى هذا أن الكتابات الموجودة بنفس مدينة طرابلس الغرب والبالغ عددها ١٥ كتابا لم تكن كلها صالحة لعملية التعليم ولكن كان بعضها لا يصلح كمكان للتعليم كما أن بعضها الصالح لىتم فيها التعليم لم ينضم إليه الصبية وبقي خاليا .

(١) دار المحفوظات التاريخية : طرابلس (المعارف) .

وقد جاء في رسالة الوالى الى ناظر المعارف باستانبول قوله « وعند التحقيق على المكاتب المذكورين بمعرفتنا لم نجد لهم شيئا من الاشياء مخصص ومعين ، ولأجل ذلك صار تحرير وتمهيد هذه المضبطة المبين بأعلاها المكاتب المذكورة ، وتقديمها الى حضرة نظارتكم وفي هذا الباب الأمر لمن له الأمر » (١) .

ولكن الدولة فى استانبول كانت سياستها واضحة فى هذا المجال ، فهى لا تساعد على تنفيذ أية مشروعات ولا تقدم أية خدمات لأية ولاية من ولاياتها طالما أن هذه المساعدات أو المشروعات تكلفها أية نفقة ولو كانت بسيطة ذلك أنها ترغب أولا فى الاطمئنان على وصول المبلغ المقرر على الولاية الى مركز الخلافة ، وأما المشروعات التعليمية وغيرها فيجب أن تقوم بجهود أهلية من سكان الولاية أنفسهم وبإشراف فقط من السلطة العثمانية الحاكمة .

ويؤيد هذا الرأى ما جاء فى تقرير بعثة الأمم المتحدة فى ليبيا من أن تركيا « لم تفعل شيئا من أجل نشر التعليم وتركت الكتابيب المنتشرة فى كلا الاقليمين برقة وطرابلس تقوم وحدها بدورها التقليدى » (٢) . وكان التعليم فى هذه الكتابيب وفى المساجد يتم على يد « العلماء الدينين ، وكان قاصرا فقط على تدريس اللغة العربية والدين الاسلامى » (٣) .

ومما يلفت النظر أن بعض الكتابيب وخصوصا فى المدن كانت تقوم بجوار المساجد أو فى نفس المبنى الذى يتخذ مسجدا ومرد ذلك أن المسجد فى الدول الاسلامية ومنذ الفتح العربى الاسلامى كان مقرا للحكم ولتأدية شعائر الدين ولل قضاء بين الناس كما كان مكانا للوعظ والارشاد ومدارسه الكتاب المقدس والأحاديث النبوية .

(١) دار المحفوظات التاريخية - طرابلس : (المعارف) .
(2) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 84.
(3) S. Greige : A Short History of Education in Tripolitania, P. 7.

ولما كانت الكتابات تقوم أساساً على تعليم الصبية وتحفيظهم القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية قراءة وكتابة للاستعانة بها في قراءة الآيات وكتابتها كما أن الفقيه الذي يقوم بتعليم الصبية كان يشغل في الغالب وظيفة قارئ القرآن الكريم في المسجد أو الذي يقوم بإمامة المسلمين في الصلاة بالمسجد .. لذلك وجدت الكتابات في الغالب بجوار المسجد أو في نفس مبنى المسجد ليستطيع الفقيه ممارسة عمله في كلا الجانبين .. في المسجد حيث يؤدي وظيفته المكلف بها بالنسبة للشعائر الدينية ، ومع الصبية حيث يقوم بتحفيظ التلاميذ القرآن الكريم واللغة العربية .

ولم يكن الكتاب مدرسة بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة أو بنفس الصورة التي عليها المدرسة الآن لأن التلاميذ كانوا ينتظمون في هذا الكتاب تلقائياً وبصورة غير منظمة ، بمعنى أن الصبي يلتحق بالكتاب متى أرسله أبوه في أي وقت من العام وفي أي عمر زمني ، ويجتمع الصبية في قاعة واحدة أمام الفقيه وكل منهم يحفظ المقرر له من قبل الفقيه . لذلك قل أن يتفق الصبية مع بعضهم في مقرر واحد ..

وكان كل صبي يحفظ القرآن الكريم كاملاً أي يحيط بالمصحف الشريف احاطة تامة ينتهي التحاقه بالكتاب ليبدأ مرحلة جديدة من حياته التعليمية ولم يكن هناك حد معين يحفظ فيه الصبي القرآن الكريم أي لم يكن هناك عدد من السنوات المقررة ولذلك كانت عملية الحفظ هذه تستند إلى مجهود كل صبي ومقدرته الخاصة .

ولم تكن عملية التعليم في الكتابات تقوم على أي أساس علمي أو تربوي ذلك أن الفقيه كان يقوم فقط بتعليم الصبية كيفية النطق بالآيات ثم يكلفهم بحفظ بعض الآيات ليقوم كل منهم بتسميع ما حفظ أمام الفقيه في اليوم التالي دون أهمية لفهم المعنى أي كان الحفظ يتم آلياً .

مدارس اليهود

كان يعيش في أنحاء البلاد الاسلامية العثمانية طوائف دينية تعيش كأقليات داخل الدولة العثمانية الاسلامية . وكانت السياسة الداخلية المتبعة في الدولة العثمانية تعتبر كل طائفة من الطوائف الدينية والمذهبية — من غير المسلمين — جماعة قائمة بنفسها وكانت تمنح تلك الجماعات امتيازات خاصة في كل ما يتصل الى الشؤون الدينية والمذهبية .

« وقد اعتبرت الدولة العثمانية شؤون التعليم من جملة الأمور المرتبطة بالأديان والمذاهب فحوت جميع الطوائف المسيحية والاسرائيلية حق تأسيس المدارس وادارتها أيضا ، ولهذا السبب أخذت الطوائف المختلفة تؤسس معاهد تعليمية خاصة بها وتدير هذه المعاهد والمدارس كما يروق لها » (١) .

وكانت هذه المعاهد والمدارس الطائفية في بادئ الأمر — من نوع المدارس الدينية حقيقة غير أنها تطورت بعد ذلك بسرعة وتحولت الى معاهد تعليمية عصرية بمعنى الكلمة وكانت هذه المدارس تسير على مناهج خاصة بها تختلف باختلاف الأديان التي تدين بها الجماعات ولا تمت بصلة الى مناهج المدارس والمكاتب التي كانت موجودة في هذا العصر ، بل ان هذه المعاهد والمدارس الطائفية كانت تستلم خططها ومناهجها من المدارس الأجنبية المؤسسة داخل البلاد العثمانية أو من البلاد الأجنبية نفسها وذلك حسب العلاقات الدينية أو المذهبية التي كانت تربط الجماعة بتلك البلاد الأجنبية .

وكانت الحقوق والامتيازات الممنوحة لهذه الطوائف الدينية في التعليم تشمل أيضا لغة التعليم فكان يحق لكل طائفة أن تعلم أبناءها باللغة الشائعة بينها ، ولهذا عاشت الطوائف الدينية وخاصة اليهود في

(١) حولية الثقافة العربية : جامعة الدول العربية السنة الأولى ٤٨/١٩٤٩م

أنحاء الدولة العثمانية في ظل هذه الامتيازات كقوة متماسكة محافظة على نفسها من الزوال أو الذوبان داخل المجتمع الاسلامي في الدولة العثمانية .

ومما يلفت النظر بالنسبة لهذه السياسة التي اتبعتها الدولة العثمانية نحو الطوائف الدينية وخاصة اليهود والمسيحيين أن استفادت هذه الطوائف من الامتيازات الممنوحة لها — في مجال التعليم الذي هو موضوعنا — فظهرت المدارس الحديثة عند هذه الطوائف بينما حرم منه المسلمون الذين حرموا أصلاً من الامتيازات المسموح بها لهذه الطوائف الدينية ، ولذلك فقد سبقت هذه الطوائف ، سبقت الدولة العثمانية الاسلامية في كل أطرافها في ظهور المدارس العصرية ، بينما تخلفت الدولة عن تطوير تعليمها لرعاياها من المسلمين وحرمتهم من الأخذ بالتعليم الحديث في أقطارهم .

وكان في ليبيا — كما كان في غيرها من الأقطار الاسلامية — طائفة يهودية تعيش متمتعة بامتيازاتها في مجال التعليم وفي غيره من المجالات ، فأنشأت هذه الطائفة التي كانت تتركز بصفة خاصة في طرابلس — المدارس — بمساعدة المؤتمر اليهودي العالمي فتم انشاء أول مدرسة حديثة في مدينة طرابلس عام ١٨٠٤ م حيث كانت تدرس فيها اللغة العبرية والفرنسية حتى عام ١٩١١ م ثم أضيفت اللغة الايطالية .

وقد أنشأ بعض رؤساء الطائفة الاسرائيلية بمدينة طرابلس « عام ١٨٧٦ م مدرسة لتدريب الشبان على الأعمال التجارية » (١) هذا الى جانب أن دروس الدين الاسرائيلي كانت تعطى للجماعات اليهودية في مدارس تسمى مدارس التلمود ملحقه بمعابد اليهود .

وكانت بعض مدارس اليهود تقام بجهود اليهود الموجودين في ليبيا أو من قبل الاتحاد العالمي الاسرائيلي ومقره باريس كما هو الحال في المدرسة التي تأسست عام ١٩٠١ م تحت اسم « اليانس اسراييليت (الاتحاد العالمي الاسرائيلي Alliance Israelite Universelle) وهي مقسمة الى

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 85.

قسمين ، قسم للذكور وقسم للإناث وكان المنهج يحتوي على دراسة اللغة العبرية واللغة العربية ، واللغة الفرنسية ، واللغة الإيطالية وتاريخ وعقائد بنى اسرائيل ، والجغرافيا والحساب وأصول مسك الدفاتر والأعمال اليدوية . . وكان يصرف للطلاب فيها ملابس مجانية مرتين في السنة ومن يحوز شهادته بتفوق من الطلاب يرسل لاتمام تعليمه في تونس أو فرنسا ، وقد خصص الاتحاد العالمي الاسرائيلي للصرف على هذه المدرسة ١٦٥٠٠ فرنك فرنسى سنويا ، أى ما يوازي ٨٢٥ جنيه ذهب بواقع الجنيه يساوى ٢٠ فرنك » (١) .

وكان فتح المدرسة يمر بعدة مراحل أو خطوات اذ يتقدم الشخص أو الجهة بطلب لفتح مدرسة الى الوالى المقيم بمركز الولاية وهو طرابلس ، الذى يحوله بدوره الى مدير معارف الولاية الذى يحوله الى مدير البوليس ثم الى مهندس البلدية ثم يحول لمجلس ادارة الولاية الذى يوافق ثم يحول الى مدير المعارف الذى يصدر الترخيص بفتح المدرسة . ولدينا وثائق عدة عن هذا الموضوع عبارة عن تراخيص بفتح مدارس لليهود في ليبيا منها طلب « في عام ١٨٩٢ من أحد اليهود للحصول على ترخيص بفتح مدرسة لتعليم أبناء اليهود داخل المعبد التلمود وتفسير التوراه » (٢) . وطلب في عام ١٩٠١ م من أحد اليهود أيضا يطلب رخصة لتعليم أبناء اليهود في معبدهم باللغة العبرية (٣) . وطلب من الاتحاد العالمي الاسرائيلي « في ٤ فبراير ١٩٠١ م الى الوالى لفتح مدرسة اسرائيلية » (٤) « كما أن أماننا وثيقة بأسماء المعلمين اليهود الذين يعملون بمدرسة مكونة من خمسة صفوف مفتوحة عام ١٨٩٦ م تدرس فيها التوراه والزبور باللغة العبرية ، والقراءة والاملاء والحساب باللغة العربية ، وتاريخ أنبياء بنى اسرائيل باللغة التركية » (٥) . وفي احصائية عن التعليم أوردها محمود ناجى في كتابه طرابلس الغرب (٦) ترجع الى عام ١٩٠٢ تبين أن عدد التلاميذ في المدارس

- (١) محمود ناجى : طرابلس الغرب (تركي) .
 (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) المحفوظات التاريخية بطرابلس - المعارف .
 (٦) محمود ناجى : نفس المصدر .

اليهودية بطرابلس بلغ ٦٥ طالبا و ٦٠ طالبة في تلك السنة وهذه الوثيقة تبين أن اليهود اهتموا بتعليم بناتهم وأنهم يهتمون بعملية التعليم المنتج أى الذى يجعل من اليهودى صاحب مصدر كبير للدخل والثروة ولذلك كانت طائفة اليهود فى ليبيا أول طائفة تفتح مدرسة لتعليم أبنائها الأعمال التجارية .

ومن دراستنا للتعليم فى مدارس اليهود نجد أنهم كانوا أول من أدرك أهمية الاتصال بأوربا ، فبينما كان العرب المسلمون فى ليبيا مفروضاً عليهم العزلة وعدم اتاحة فرص الاتصال بالأوروبيين نجد اليهود يعلمون أبناءهم أهم اللغات الأوروبية وبعض العلوم الحديثة التى تتيح لهم الاستفادة من التقدم الأوروبى ولذلك لا نعجب أن رأينا يهود ليبيا هم حلقة الاتصال بين الليبيين وأوروبا .

مدارس الإرساليات الدينية والجاليات الأوروبية

استفادت الدول الأجنبية من الامتيازات التى منحتها الدولة العثمانية لها فى كل ممتلكاتها ، وأخذت كل دولة من الدول الأوروبية تتطلع الى بسط نفوذها على جزء أو أجزاء من الأقاليم الخاضعة للحكم العثمانى وكان التعليم هو أسلوب من أساليب هذه الدول لنشر ثقافتها ونفوذها ومن ثم تضمن ولاء الأبناء الذين يأخذون من هذه الثقافات بقدر . وكانت هذه وسيلة الدول الأوروبية الطامعة فى بسط سيطرتها .

وقد لعبت المدارس الأجنبية فى العهد العثمانى دورا خطيرا فى البلاد العربية فقد تأسست هذه المدارس فى بادىء الأمر — على أيدى الارساليات الدينية وكانت كل واحدة من هذه الارساليات تعتمد على حماية دولة من الدول الأجنبية وتصبح واسطة لنشر لغة تلك الدولة بجانب تعليم العلوم المختلفة من جهة وتعليم اللغة العربية من جهة أخرى بغية اجتذاب أبناء الشعب العربى وتسهيل التأثير فيهم .

غير أن تأثير هذه المدارس الأجنبية لم يكن ينحصر في الطلاب الذين ينتمون إليها ويدرسون فيها بل انه كثيرا ما كان يتعدى ذلك الى المدارس الطائفية والدينية لأن المدارس الأجنبية كانت تزود تلك المدارس الطائفية بالمعلمين والكتب المدرسية وكانت تواصل التأثير الى درجة توجيه مناهج الدروس وأساليب التدريس المتبعة فيها أيضا وهكذا أصبحت المدارس الأجنبية من الآلات السياسية الفعالة التي تستخدمها الدول لنشر لغتها في البلاد وبسط نفوذها على أهلها •

وبالنسبة لليبيا فقد توافد على مدنها الساحلية بصفة خاصة جماعات من الأوروبيين تتألف غالبا من المالطين والايطاليين واليونانيين •• الخ ، « وحيثما كان من الممكن انشاء كنيسة صغيرة ، فان الاخوان المبشرين — وهم في الغالب الايطاليون — ينشئون مدارس لتعليم الأطفال الطقوس المسيحية وتعليمهم كيف يقرأون ويكتبون وفي هذه المدارس فانهم يتعلمون اللغة الايطالية وبعض أساسيات التعليم العام » (١) •

وكانت الجالية الايطالية في ليبيا أكثر الجاليات الأوروبية عددا وأسرع الى الاهتمام بشئون تعليم أبنائهم واعتمدوا في البداية على نشاط الارساليات الدينية وعندما ازداد عدد الايطاليين المهاجرين الى ليبيا وزاد بالتالي اهتمام الحكومة الايطالية بليبيا كمطمع استعماري افتتحت من المدارس ما يواجه الزيادة في عدد الايطاليين المستقرين في ليبيا وتشجيعا لهم على الاستقرار وتسهيلا للمغامرين الطليان على النزوح من ايطاليا والاقامة في ليبيا •

ويمكن أن نؤرخ لبداية التعليم الايطالي في ليبيا « في عام ١٨١٠ م عندما استقر المبشرون الفرنسيون بطرابلس وافتتحو مدرسة ابتدائية صغيرة للأطفال المسيحيين القليلين في البلاد آنذاك وقد التحق بها أيضا عدد قليل من أطفال الليبيين » (٢) •

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 85.

(2) S. Greige : A short History of Education in Tripolitania P. 8.

وفي عام ١٨٤٦ استطاعت بعثة أخوات الراعي الصالح الكاثوليكية انشاء مدرسة للبنات اجتذبن فيها « بنات من الديانات الثلاث المسيحية والاسلام واليهودية ونجحن في تكوين مجموعة من البنات بلغن ٦٠ تلميذة تعلمن باللغة الايطالية — وهي اللغة المستعملة غالبا عند الأوروبيين بطرابلس — وكانت هذه المدرسة تمول من قبل الارشالية الفرنسيةكانية » (١) . وكانت مديرة هذه المدرسة فرنسية الأصل من « بلدة بجوار مرسليليا تسمى كاييليت Capelette وتعلم المدرسة الموسيقى التي تقوم بها معلمة راهبة بلغارية » (٢) . ولم يقف الامر عند هذا الحد اذ أن ازدياد الجاليات الأوروبية المسيحية في ليبيا قد أدى الى اجراءين : كان الاجراء الأول هو استخدام بعض القسس الذين يعملون ضمن البعثات التبشيرية الكاثوليكية في ليبيا وتفرغهم من العمل الديني لاعدادهم وقيامهم بالتدريس في مدارس البعثات .

وكان الاجراء الثاني هو انشاء مدارس تقام لغرض التعليم ، ولذلك فقد عقد « مجموعة من الآباء الايطالين اجتماعا بطرابلس في عام ١٨٧٦ ودعوا البروفيسور جانيو باجي Gianetto Paggi للحضور الى طرابلس من ليفورنو Livorno لفتح مدرسة ابتدائية للبنين » (٣) لتعليم أبنائهم والاشراف على تنظيم تعليمهم في طرابلس بدلا من ارسالهم الى ايطاليا . وفي عام ١٨٨١ وصل الى طرابلس الآباء الفرنسيكان من اخوان مارس Marist Brothers وأنشأوا مدرسة للبنين « بجوار المبنى الذي كان يستخدم سجنا للرقيق الذين كانوا يجلبون بواسطة القراصنة وكان التعليم يتم باللغة الايطالية والفرنسية ، وقد كان من بين تلاميذ هذه المدرسة عدد من أبناء الضباط الأتراك ، الذين كان عددهم كبير تناقص بعد أن بدأت الصحافة « في طرابلس — الحديث عن احتمالات احتلال طرابلس بواسطة فرنسا أو ايطاليا » (٤) .

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 85.

(2) S. Greige : Ibid, P. 10.

(3) S. Greige : Ibid, P. 10

(4) Ibid, P. 10.

وفي عام ١٨٨٣ عندما زاد عدد تلاميذ المدرسة الابتدائية الايطالين الذين كان يشرف على تعليمهم البروفيسور باجي منذ عام ١٨٧٦ م ، أبلغ القنصل الايطالى فى طرابلس مواطنيه أن وزارة الخارجية الايطالية سترعى هذه المدرسة وتقدم لها الحماية والتدعيم اللازمين لتؤدى رسالتها كما تريد المطامع الاستعمارية الايطالية ، وكانت هذه خطوة أولى تبعتها خطوات أخرى فى عام ١٨٨٨ م بوضع المدرسة الابتدائية للبنين تحت الاشراف المباشر للحكومة الايطالية ومعنى هذا مسؤولية الحكومة الايطالية عن توفير المناهج والمعلمين ورسم السياسة المخططة .

وفي نفس العام أى عام ١٨٨٨ أنشأت الحكومة الايطالية فى طرابلس مدرسة ابتدائية للبنات ومدرسة روضة أطفال كما أنشأت مدرسة ثانوية فنية (صناعية وتجارية) بدأت فى تلك السنة بعدد من الطلاب بلغ ١٦ طالبا ، واستمرت هذه المدرسة الفنية تقبل التلاميذ البنين فقط ولكن فى عام ١٩٠٧ افتتح قسم فى هذه المدرسة للبنات .

ولم يقتصر وجود المدارس الايطالية على طرابلس وحدها اذ أنشئت مدارس ايطالية فى الخمس وبنغازى ودرنة أيضا قامت الحكومة الايطالية بإنشاء بعضها بينما تم انشاء البعض الآخر من أموال جمعت من المستوطنين الطليان المهاجرين الى ليبيا والراغبين فى تعليم أبنائهم فى أماكن اقامتهم الجديدة بدلا من تكبد نفقات ارسالهم الى الوطن الأم — ايطاليا — وقد شجعت الحكومة الايطالية هذه الجهود لانها تتفق مع مخططاتها الاستعمارية .

ولم تقف جهود الطليان فى سبيل تعليم أبنائهم وأبناء الجاليات الأوروبية الأخرى عند هذا الحد بل حاولت اجتذاب الليبيين العرب المسلمين الى هذه المدارس الايطالية ، فافتتحت المدارس التى تتضمن مناهجها تعليم اللغة العربية واللغة الفرنسية الى جانب اللغة الايطالية وذلك عام ١٩٠٤ « حيث بلغ عدد الطلاب العرب المقيدون بالصف الأول — من هذه المدرسة ٥٠ تلميذا وقد استاءت الحكومة التركية لهذا المشروع الطموح ، وأخذت تبذل كل ما تستطيع لكى تثنى العرب

الليبيين عن الالتحاق بهذه المدارس « (١) • ومن بين الاجراءات التي اتبعتها حكومة الولاية لاثناء الليبيين والضباط الأتراك عن ابناءهم بالمدارس الايطالية وقوف رجال الشرطة بمركز الولاية أمام هذه المدارس الى جانب « انشاء مكتب العرفان الذي فتح لينا فس ويتفوق على المدارس الأجنبية في الولاية » (٢) •

وقد تم انشاء عدة انواع من المدارس الايطالية أيضا منها : « مدرسة جيراشي Geraci عام ١٨٧٤ بمدينة طرابلس ومدرسة أخوات ماروللي Marulli عام ١٨٧٨ / ١٨٧٩ م بمدينة طرابلس أيضا ، وفي بنغازي تأسست سنة ١٨٨٥ م مدرسة Rossoni — Piccolo Vincenza وفي عام ١٩٠٣ أسس المجلس الوطني للبعثات التبشيرية الايطالية في الخارج ملجأ لليتامى في طرابلس وأنشأ كذلك مستوصفا بنفس مدينة طرابلس » (٣) •

وفي العام الدراسي ١٩١٠ / ١٩١١ م وهو العام السابق للاحتلال الايطالى للأراضى الليبية ، كانت المدارس الايطالية في ليبيا على النحو الآنى : (٤)

أولا : المدارس التي كانت تحت اشراف الحكومة الايطالية :

أ — بمدينة طرابلس :

كانت بها المدارس الآتية :

- (١) مدرسة أولية — ابتدائية — للبنين مع أقسام اضافية مسائية تأسست عام ١٨٧٦ وكان بها ١٣ معلما في تلك السنة •
- (٢) مدرسة ابتدائية للبنات مع أقسام اضافية للتدريب المهني تأسست بمدينة طرابلس أيضا عام ١٨٧٨ م وكان عدد المعلمين بها ١٢ معلما •

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 85.

(٢) محمود ناجي : طرابلس الغرب (تركى)

(3) Ibid, P. 85.

(4) Ibid, P. 86.

٣) مدرسة فنية تأسست عام ١٨٨٨ مع قسم طبي ومعمل للتحليل ملحق بها ، وعدد المعلمين بها ٩ وكان عدد التلاميذ بها عام ١٩١٠ م ٦٣ تلميذا ٥٧ ولدا ، و ٦ بنات ، وهذا العدد كان يضم الجنسيات الآتية : ٢٠ طالبا من الأتراك ، و ٦ من الفرنسيين ، ٤ طلاب انجليز و ٤ طلاب مالطيين ، و ٣ ألمان ، و ٣ طلاب يونانيين و ٢٣ ايطاليين •

ب — بمدينة الخمس :

١) مدرسة ابتدائية تأسست عام ١٨٩٠ بجهود الطليان كجالية ثم تحولت عام ١٩٠٢ م الى مدرسة تشرف عليها الحكومة الايطالية ويعمل بها ٥ معلمين وفي المساء تتحول الى مدرسة لتعليم الكبار غير المتعلمين •

ج — في بنغازى :

١) مدرسة ابتدائية للبنين تأسست عام ١٨٨٨ م وبها قسم طبي وقسم مسائي للكبار غير المتعلمين ويعمل بها ١٠ معلمين •

وهذه المدارس الحكومية التى تشرف عليها الحكومة الايطالية تتبع المناهج المتبعة بالمدارس القائمة فى ايطاليا • « مع اضافة اللغة العربية فى المدرسة الثانوية ، واللغة الفرنسية واللغة العربية فى المدارس الابتدائية للبنين والبنات وفى عام ١٩١٠/١٩١١ م كان عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس الايطالية بليبيا ٨٤٠ تلميذا يكلفون الحكومة الايطالية ٥٢٧٥ ليرة سنويا ، أكثر من ١٦٠٠٠ ليرة منها تخصص للمدرسة الثانوية وحدها » (١)

(1) S. Greige ; History of Education in Tripolitania, 1948 P. 10.

ثانيا : المدارس التي تقوم على المساعدات : (١)

أ — بمدينة طرابلس :

- (١) مدرسة للأطفال الأيتام أسسها المجلس التبشيري الوطني الايطالى ، وتديرها الأخوات الفرنسكانيات •
- (٢) مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للبعثة الكاثوليكية وتدار بواسطة الاخوان الفرنسكان •
- (٣) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للبعثة الكاثوليكية وتديرها أخوات القديس يوسف •

ب — في مدينة الخمس :

- (١) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للمجلس التبشيري الوطني الايطالى ، وتديرها الأخوات الفرنسكانيات •

ج — في بنغازى :

- (١) مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للارسالية الكاثوليكية ويديرها الآباء الفرنسكان •
- (٢) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للارسالية الكاثوليكية وتديرها أخوات القديس يوسف •

د — في درنة :

- (١) مدرسة ابتدائية تابعة للارسالية الكاثوليكية للبنين ويديرها الآباء الفرنسكان •
- (٢) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للارسالية الكاثوليكية وتديرها الأخوات الفرنسكانيات •

وكانت القوة الأوروبية الوحيدة الأخرى في فتح المدارس في ليبيا هي فرنسا ، فقد كانت المدارس الفرنسية في ليبيا

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 86.

« تصرف عليها الجمعية الكاثوليكية في فرنسا ١٨ ألف فرنك في السنة » (١) . وكانت المدرسة الابتدائية الفرنسية « تضم ٢٠٠ تلميذ و ٤٠٠ تلميذة وكانت اللغة الايطالية لغة تعليم اجبارية بالمدرسة الفرنسية التي كانت تعتبر اللغة الفرنسية هي اللغة الأولى ، والايطالية هي اللغة الثانية واللغة العربية هي اللغة الثالثة . بينما في المدارس الايطالية كانت تعلم أيضا اللغة الفرنسية » (٢) . وكان ذلك عام ١٩١١ م .

وقد أورد كتاب طرابلس الغرب احصائية عن التعليم الأجنبي في ليبيا في عام ١٩٠٢ م « جاء فيها أنه كان بالمدارس الفرنسية — في تلك السنة ١٥٠ تلميذا : ٨٠ ولدا و ٧٠ بنتا وبالمدارس الايطالية ٥٤١ تلميذا : ٢٣١ تلميذا و ٣١٠ تلميذات في المدارس الابتدائية بينما كان بالمدرسة الفنية ٤٦ طالبا » (٣) وفيما يلي احصائية عن التعليم الايطالي في العهد العثماني (٤)

-
- (١) محمود ناجي : كتاب طرابلس الغرب (تركي) .
(٢) S. Greige : History of Education in Tripolitania 1948, P. 10.
(٣) محمود ناجي : نفس المصدر .
(٤) S. Greige : Ibid, P. 12.

السنة	مجموع التلاميذ	مدارس الأطفال	المدارس الابتدائية للبنين		مدارس البنات	الابتدائية	الجملة	اطاليون	آخرون	المدارس الثانوية الصناعية التجارية
			صباحي	مساءلي						
١٨٧١	٥٨٥	٢٠١	?	?	٢٧٨	٢٧٨	٣٨	٦١	٢٢	٦٧٧١
١٨٧١	٥٧٧	٢٠١	٣٥١	٥٨١	٢٧٨	٢٧٨	٥٠	٦١	٣١	٦٧٧١
١٨٧١	٥٦٤	١٧١	٦٠١	?	٦٣١	٦٣١	٥٢	٣٣	٢٩	٦٧٧١
١٨٧١	٨٠٦	١٧١	٥٥١	?	٣٢٤	٣٢٤	٥٠	٦١	٣١	٦٧٧١
١٨٧١	٨٨٥	٥٤١	٥٥١	?	١٠٢	١٠٢	٥٠	٢٥	٢٥	٦٧٧١
١٨٧١	٧٣٤	١٨١	٧٨١	٨٥١	٥٥١	٥٥١	٤٤	٢٤	١٨	٦٧٧١
١٨٧١	٥٥١	٨١١	?	?	?	?	٣٥	٥١	٢٠	٥٦٧١
١٨٧١	٣٥٤	٧٤١	?	?	?	?	٣١	٤١	١٢	٥٦٧١
١٨٧١	٤٣١	٣٤١	?	?	?	?	٤١	٢١	١٠	١٦٧١
١٨٧١	٥٣٥	٤٤١	٣٧٢	٣١١	?	?	٢٠	٢١	٨	١٦٧١
١٨٧١	١٥٥	—	٤٤١	٥٧١	٤٤١	٤٤١	٧١	٨	٩	٦٧٧١
١٨٧١	٤١	—	—	—	—	—	٤١	١٠	٦	٧٧٧١
١٨٧١	٩٥	—	٩٥	—	—	—	—	—	—	٧٧٧١
١٨٧١	٦٠	—	٦٠	—	—	—	—	—	—	٦٨٧١

السنة	مجموع التلاميذ	مدارس الأطفال	المدارس الابتدائية للبنين		مدارس البنات	الجملة	الثانوية الصناعية التجارية		آخرون
			صباحي	مساءلي			ايطاليون	الجملة	
١٩٠٠	٨٦٠	٢٠٧	١٦٠	٣٩١	٣٢٢	١٣	٦١	٢٥	
١٩٠١	٩٨٩	٢٦٩	١٩١	٦٦١	٣٠٢	٣٣	٨١	٢٧	
١٩٠٢	٧٦٧	٢٠٧	٢٤٢	٨٥	٣١٥	٤٣	٤١	٣٢	
١٩٠٣	٩٩٥	٢٥١	٦٢٣	٧٧	٢٨١	٤٣	٦١	٢٧	
١٩٠٤	١٠١١	٣٣٥	٣٦٣	٧٣١	٣٠١	٥٥	٢٥	٣٢	
١٩٠٥	١٦٥١	٧٦٥	٧٣٣	٧٣١	٢٧١	٧٣	٤١	٣٤	
١٩٠٦	٣٠٥١	٢٥١	٣٦٣	٧٩١	٣٠٦	٤٧	١٥	٣٢	
١٩٠٧	٧١١١	٣١١	٥٧٣	٥٢١	٣٣١	٥٥	٩١	٦٣	
١٩٠٨	٦٣٣٩	٢٣٩	٤١٥٣	١٣١	٣٤٠	٥٥	٢٣	٣٢	
١٩٠٩	٦٦٣١	٢٥٢	٤٦٣	٥٣٣	٧٣٣	١٨	٢٥	٤٦	
١٩١٠	٨٣٣١	٢٨٥	٤٣٣	٢٠١	٧٣٣	٦٣	٢٣	٤٥	

ومن مناقشة الاحصائية السابقة التي تبين تطور التعليم الايطالى في ليبيا ابان الحكم العثمانى تتضح الحقائق التالية :

أولا : وجود سلم تعليمى بمراحله المتعددة من رياض الأطفال الى التعليم الابتدائى ، فالتعليم الثانوى ، ومعنى هذا أن أبناء الجاليات الايطالية بصفة خاصة والجاليات الأوروبية وبعض الضباط الأتراك بصفة عامة كانوا يجدون لأبنائهم مراحل التعليم الأساسية والتي يقتضى وجودها حيث هم ليتمكنوا من الاشراف على أبنائهم وتوجيههم •

ثانيا : وجدت مدارس للبنين ومدارس للبنات فى التعليم الابتدائى مما يؤكد رغبة الايطاليين فى توفير فرص التعليم أمام بناتهم أيضا أسوة بأبنائهم وهذه الرغبة مرتبطة بالخطة المرسومة لاستيطانهم فى الأرض الليبية •

ثالثا : وجود مدرسة ثانوية فنية (صناعية وتجارية) فى السلم التعليمى الايطالى دليل على شعور الطليان بأهمية الناحية الفنية والمالية فى السيطرة وبسط النفوذ والمسك بعصب الحياة فى الأرض الجديدة التى يطمحون الى استغلالها واستعمارها لمصلحتهم هم •

رابعا : فتحت أبواب المدرسة الثانوية والمدرسة الفنية لغير الايطاليين الذين أشير اليهم فى الاحصائية بلفظة (آخرون) وكان معظمهم من المالطيين واليهود ، وكان قلة من أبناء الضباط الأتراك وبعض الليبيين - المتأثرين والمجهورين بالتنظيم التعليمى الايطالى - يدخلون المدرسة الثانوية الايطالية •

خامسا : تطور التعليم الايطالى فى ليبيا فى أثناء الحكم العثمانى للبلاد تطورا سريعا يتمشى مع الزيادة المطردة فى عدد الوافدين الطليان الى ليبيا بل ان هذا التطور يدل على التوافد السريع والدائم من الأفراد الايطاليين والأسر الايطالية التى تجد التشجيع من الحكومة الايطالية ليتسنى لها فى النهاية تحقيق أهدافها •

سادسا : تدل السنة الأخيرة فى الاحصائية على تزايد عدد التلاميذ فى مراحل التعليم المختلفة زيادة واضحة •

ونسوق احصائية بعدد التلاميذ المقيدين بالمدارس الايطالية عام ١٩١١ م وهو العام الذي احتلت فيه ايطاليا الاراضى الليبية (١) :

المعلمون	التلاميذ			المدرسة
	المجموع	بنات	بنين	
				طرابلس :
١٠	٦٣	—	٦٣	(١) مدرسة فنية بها متحف للحرف ومعمل للتحليل وقسم طبي ملحق بها
١٣ {	١٢٧	—	١٢٧	(٢) مدرسة ابتدائية للبنين
	١٤٨	—		(٣) مدرسة ليلية للكبار
				(٤) مدرسة ابتدائية للبنات بها قسم اضافي للتدريب المهني
١٢	٣٤٨	٣٤٨	—	(٥) روضة أطفال
٤	٢٦٠	١٢٥	١٣٥	(٦) ملجأ للأيتام تابع للمجلس الايطالى الوطنى
—	٢٢	١١	١١	التبشيرية
				(٧) مدرسة ابتدائية تابعة للبعثة التبشيرية الكاثوليكية للبنين يديرها الاخوان الفرنسيسكان
—	١٦٦	—	١٦٦	(٨) مدرسة اخوات القديس يوسف
—	٣٥٣	٣٥٣	—	

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 86.

المعلمون	التلاميذ			المدرسة
	المجموع	بنات	بنين	
				الخمسة :
٥ {	٦٠	—	٦٠	(١) مدرسة ابتدائية للبنين الكبار
	٩٢	—	٩٢	(٢) مدرسة تعليم الأعمى بها متحف للحرف
—	٧٥	٧٥	—	(٣) مدرسة للبنات تابعة للمجلس الإيطالي الوطني التبشيري
				بنغازى :
١٠ {	١٦٠	—	١٦٠	(١) مدرسة ابتدائية للبنين مع قسم طبي
	١٣٠	—	١٣٠	(٢) مدرسة ليلية للكبار
٢	١٦٦	١٦٦	—	(٣) مدرسة ابتدائية للبنات
—	١٤٠	—	١٤٠	(٤) مدرسة بنات الكاثوليك الفرنسيين
				(٥) مدرسة بنات تابعة للإرسالية الكاثوليكية تديرها أخوات القديس يوسف
—	١٣١	١٣١	—	٠ يوسف
—	٥١	٢٢	٢٩	(٦) معهد مكافحة الرقيق

المعلمون	التلاميذ		المدرسة	المكان
	المجموع	بنات		
—	٤٧	—	٤٧	درنة ١ - مدرسة الارسالية الكاثوليكية الفرنسية للبنين . ٢ - مدرسة الارسالية الكاثوليكية الفرنسية للبنات .
—	٥٠	٥٠	—	
٥٦	٢٥٨٩	١٢٨١	١٣٠٨	المجموع

وبمناقشة الاحصائية السابقة تتضح لنا الحقائق التالية :

أولاً : هذه الاحصائية تشمل المدارس الحكومية - أى المدارس التى تشرف عليها الحكومة الايطالية - كما تشمل مدارس الارساليات التبشيرية .

ثانياً : عدد التلاميذ لا يزيد عن عدد التلميذات الا بمقدار بسيط مما يؤكد الاهتمام بتعليم البنت على قدم المساواة مع الولد .

ثالثاً : بمقارنة أعداد المعلمين بالمدارس المختلفة يتبين أنه لا يوجد تناسب بين عدد التلاميذ وعدد المعلمين فعدد المعلمين أقل مما يلزم لاعداد التلاميذ .

رابعاً : غير مسجل بالاحصائية عدد المعلمين العاملين بمدارس الارساليات التبشيرية الكاثوليكية وذلك لأن القسس - الرهبان والراهبات - يتولون عملية التعليم فى هذه المدارس .

خامساً : يتبين من الاحصائية أن عدد التلاميذ تفصيلاً على النحو الآتى :

أ (المدارس الحكومية :

١ - التلاميذ ٩١٥ تلميذاً .

٢ - التلميذات ٦٣٩ تلميذة .

ب) مدارس الارساليات الكاثوليكية :

١ - البنون ٣٩٣ تلميذاً .

٢ - البنات ٦٤٢ تلميذة .

ومن ذلك يتبين أن مدارس الارساليات كانت تستوعب أعدادا من البنات أكثر من أعداد البنين وذلك بما تنشئه تلك المدارس من أقسام لتدريب البنات على اكتساب مهنة أو المعيشة في كنف هذه المدارس في دار الأيتام أو غيرها من دور العبادة •

سادسا : وجود مدارس لتعليم الكبار في الاحصائية لا يدل على رغبة حقيقية في تعليم الأميين من الليبيين ولكن هذه السياسة مظهر خارجي القصد منه النفاذ الى كسب مودة الليبيين والتأثير فيهم •

الفصل الثالث

المدارس الوطنية الحديثة في العصر العثماني

- المدارس الابتدائية .
- المدارس الرشدية .
- المدارس الاعدادية .
- التعليم الفني والمهني :
 - ١ - مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية .
 - ٢ - المدرسة الزراعية .
 - ٣ - دار المعلمين .
- مؤسسات تعليمية اخرى .
 - تعليم البنات .
 - التعليم العالي .
 - الاشراف على التعليم .

المدارس الوطنية الحديثة في العصر العثماني

نطلق هذا التعبير - تعبير المدارس الوطنية - على المدارس التي يلتحق بها أبناء الليبيين والتي أنشئت في العهد العثماني وسميت باسم المدرسة ، اذ المعروف أن التعليم الحديث لم يعرف طريقه الى ليبيا - بل ولا الى كثير من الولايات العثمانية - الا في أواخر القرن التاسع عشر .

وكما سبق القول فان المدارس المدنية غير العسكرية التي أنشئت في مقر الخلافة والسلطنة العثمانية وفي الولايات كان الهدف من انشائها تخريج الموظفين الذين تحتاج اليهم مختلف مصالح الدولة . وقد اقتصر انشاء المدارس في الولايات - ومنها بالطبع ليبيا - على المدارس الابتدائية والرشدية والاعدادية بينما حرمت من المدارس العليا التي وجدت فقط وبصفة خاصة في مقر السلطنة .

وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر أصبحت تشكيلات المدارس المدنية - الملكية - على النحو الآتي :

- ١ - مدارس ابتدائية : ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .
- ٢ - مدارس رشدية : ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات أيضا .
- ٣ - مدارس اعدادية : ومدة الدراسة بها خمس سنوات .
- ٤ - وجدت مدارس زراعية وصناعية ودور المعلمين .
- ٥ - أنشئت في مقر السلطنة المدارس العليا الآتية : مدرسة الطب ، مدرسة الحقوق ، مدرسة الادارة والسياسة - المعروفة باسم المدرسة الملكية الشاهانية - مدرسة القضاة ، مدرسة التجارة العليا ، مدرسة الزراعة العليا ، دار المعلمين العليا ، مدرسة البيطرة ، مدرسة الهندسة ، مدرسة الصنائع النفيسة (الفنون الجميلة) .

وبالنسبة للتعليم في ليبيا ، فقد وجدت مدارس ابتدائية ومدارس
رشدية ومدارس اعدادية ، واستمر الوضع على هذا الحال حتى
سنة ١٩٠١ حينما أنشئت دار للمعلمين وعام ١٩٠٩ أنشئت مدرسة زراعية
بينما حرمت ليبيا من التعليم العالى . وسناقش كل مرحلة ونوع من
هذه المراحل والأنواع .

المدارس الابتدائية :

كان انشاء هذه المدارس بجهود شعبية خيرية من تبرعات الأهالى
الراغبين في تعليم أبنائهم على « الأصول الجديدة التى ثبتت محاسنها
لدى التجربة - كما هو جار فى دار السعادة ، واستخدموا من طرفهم
معلمين مستعدين وجلبوا من دار السعادة - الآستانة - كتب ورسائل
مفيدة ، وأنشأوا مكاتب - مدارس - ابتدائية جديدة » (١) .

وكانت هذه المدارس تتكون من ثلاثة صفوف بمعنى أن مدة
الدراسة بها ثلاث سنوات يدرس فيها التلاميذ « اللغة العربية ، واللغة
التركية ، والدين الاسلامى ، والتاريخ التركى ، والرياضيات ،
والجغرافيا » (٢) . وكانت هذه المدارس تحت اشراف ادارة الولاية
التي لم تكن تتحمل أية نفقات ، وكان على كل مدينة أو ناحية فى أنحاء
ليبيا ترغب فى انشاء مدرسة لتعليم أبنائها أن تجمع التبرعات ويقام المبنى
ثم يرفع الأهالى طلبا للوالى ليأذن بفتح المدرسة مع تعهدهم بدفع راتب
المعلم الذى يختاره الوالى للقيام بهذه المهمة ، ويقام احتفال لافتتاح هذه
المدرسة . وقد حفلت جريدة طرابلس الغرب ، وهى جريدة الولاية
الرسمية بأخبار افتتاح المدارس - المكاتب - الابتدائية ، وهى تستحث
الأهالى على فتح المدارس من أموالهم « ترقية للمعارف التى هى روح

(١) جريدة طرابلس الغرب - العدد ٦٣ لسنة ١٣ - ١ فبراير ١٨٨١ م .

(٢) S. Greige : History of Education in Tripolitania, (1948) P. 9.

الدولة والملة ، ونرغب من الملحقات الأخرى أيضا أن تقدر قدر المعارف ولزومها فتنبها لها « (١) » .

ولم يكن عدد هذه المدارس كثيرا في البداية اذ اقتصر على مدن طرابلس وبنغازى ولكن بعد أن تم انقلاب الدستور عام ١٩٠٨ وأخذت الحكومة العثمانية تقدم على اصلاحات سريعة وضعت تنظيما وكانت هذه التنظيمات متأثرة بنظم التعليم المتبعة في فرنسا ، ووضعت تعليمات تتبع في مراحل التعليم المختلفة تنظم قبول التلاميذ وتحدد مواصفات المعلمين ومسئولياتهم والمكافآت المقررة لهم والجزاءات المفروضة عليهم والتدابير الصحية اللازمة .

ونسجل فيما يلي شروط العمل والدراسة بالمدارس الابتدائية صادرة عن نظارة المعارف بمقر السلطنة على أن تطبق في جميع ولايات الدولة العثمانية ، وهذه الشروط صادرة باللغة التركية عام ١٩٠٨/١٣٢٧ هـ (٢) مادة (١) يقبل التلاميذ من سن ٧ — ١١ سنة ويمكن الاستثناء لمدة ٣ سنوات في القرى المحرومة من المدارس .

مادة (٢) اذا لم يكن المعلم — الذى يقوم بالتدريس في المدرسة الابتدائية — حاصلًا على شهادة دار المعلمين الابتدائية وعنده كفاءة يصير اختياره من قبل لجنة من مدرسي المدارس (الثانوية) الاعدادية ، فاذا ثبتت أهليته لهذا العمل يتم تعيينه .

مادة (٣) يتحمل المعلم مسؤولية تربية تلاميذه متعاونًا مع زملائه .

مادة (٤) المعلمون الذين يتم تعيينهم بالمدارس الابتدائية يجب أن يحملوا شهادة دار المعلمين أو شهادة الكفاءة مع شهادة حسن الحال (سير وسلوك) .

مادة (٥) يربى المعلمون تلاميذهم على الطاعة لأولى الأمر والوالدين والمعلمين والكبار ، ومواطنيهم من بنى جنسهم وأن يحبوهم

(١) جريدة طرابلس الغرب : العدد ١٣٣٧ السنة ٤٠ ، ٢٦ ، سبتمبر ١٩١٠ م
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس : (وثيقة تركية) المعارف .

في الوطن وفي زملائهم وأن ينهوهم عن الاساءة الى بعضهم البعض ولا يختلطوا مع غير الصالحين من الناس . وهذا بقصد حصول سعادة الوطن متى تحلوا بحسن الأخلاق ، ولذلك يجب على المعلمين اعطاء تلاميذهم دروسا في الأخلاق عدة مرات كل أسبوع واعطائهم أيضا العلم والمعرفة لمنافع الدنيا والآخرة ، وأن يوضح لهم فضل العلم وضرر الجهل وأن يتم كل ذلك بشكل وطريقة تناسب عقول التلاميذ .

مادة (٦) المدرسة ليست بمنزل سكن ولهذا يمنع النوم فيها .
مادة (٧) المعلمون مسئولون عن المبنى المدرسي ، واذا حدث تصدع بالمبنى عليهم اخبار المسؤولين قبل أن يزيد الخطر .
مادة (٨) على المعلم ألا يعطى تلاميذه دروسا خارج المنهج المقرر ولا أكثر مما يطيقونه .

مادة (٩) كل مدرسة تعلق على بابها الخارجي لوحة عليها اسم المدرسة بخط واضح .
مادة (١٠) يحافظ المعلم على الوقت المحدد للتدريس ، عند الحضور والانصراف .

مادة (١١) يحضر المعلمون الى المدرسة كل يوم باستثناء أيام العطلات قبل التلاميذ ويخرجون بعد آخر تلميذ ، واذا لم يكن هناك عذر قهري لا يترك المعلم المدرسة ولا يقابل أصدقاءه أثناء العمل .

مادة (١٢) لا يجوز للمعلمين والمستخدمين ترك مقر العمل لزيارة الأقارب ، أو « تبديل الهواء » الا بعد الحصول على ترخيص بذلك من مدير المعارف .

مادة (١٣) غير مسموح للمعلم الاشتغال بالتجارة أو غير ذلك خارج المدرسة ، ومسموح له فقط بالاشتراك في الانتخاب .

مادة (١٤) يجب على المعلمين أن يتواجدوا في فصول الدراسة قبل بدء الحصة وألا يغادروا الفصول قبل انتهاء الدرس وعليهم الاشراف على التلاميذ أثناء الاستراحة .

مادة (١٥) على المعلمين والمستخدمين في المدرسة ألا يخالطوا التلاميذ في غير الأمور التي تخص وظائفهم ولا يقوموا بحركات غير لائقة وأن لا يدخلوا داخل الفصول ، وألا ينحى المعلم الجاكته والكرافته بل لابد من اللباس الكامل .

مادة (١٦) كل مدرسة يوجد بها سبع سجلات : الأول للأشياء الثابتة الدائمة مثل مصاحف القرآن الكريم ، الخرائط ، المقاعد المفروشات ، الأدوات العلمية ، والثاني دفتر تسجيل التلاميذ وبه معلومات عن كل تلميذ . والسجل الثالث لتسجيل الغياب وترسل خلاصة الغياب (حضور وغياب) الى مدير المعارف كل شهر . والسجل الرابع لتسجيل مصادر الواردات والمصروفات الخاصة بالمدرسة . والسجل الخامس مسودة لتسجيل صور الرسائل وتاريخها ورقمها . والسجل السادس يسجل فيه المفتش ملاحظاته وتوجيهاته . والسجل السابع سجل صحي للتلاميذ .

مادة (١٧) يبعث المعلمون كل ثلاثة شهور تقريراً ضافياً عن أحوال المدرسة عموماً — الى مدير المعارف — وفي آخر العام الدراسي تملأ الجداول بالاحصائيات المطلوبة وترسل .

مادة (١٨) في المدن والقصبات (وهي القرى الكبيرة أو المدن الصغيرة) اذا كانت مدارس الاناث قريبة من مدارس البنين يمنع اختلاط الجنسين حتى في وقت الراحة ، ويجب أن يكون لكل جنس مدرسة وفي القرى يكون للمدرسة مدخلان أحدهما للبنين والآخر للبنات .

مادة (١٩) يحافظ المعلم على حسن المعاملة والمساواة بين تلاميذه ولا يفرق بينهم في المعاملة .

مادة (٢٠) ممنوع قطعياً لأي سبب من الأسباب ضرب التلاميذ أو تعذيبهم جسدياً وألا يلجأ المعلم للفضب الزائد عن الحد وألا يستخدم الألفاظ غير اللائقة وألا يلجأ لتكدير التلاميذ وكل معلم يقوم بذلك يرسل للمحاكم .

- مادة (٢١) غير مصرح للمعلم ترك المدرسة في أوقات العمل لقضاء مصالح شخصية .
- مادة (٢٢) يمنع وضع أشياء التخويف وآلات الضرب مثل تابوت الموتى والفلقة والعصى في المدرسة ولو كان للتخويف .
- مادة (٢٣) لا يقبل بالمدرسة من تعدى السن القانونية .
- مادة (٢٤) التلاميذ الذين يقبلون بالمدارس يجب ألا يكونوا مصابين بأمراض معدية وأن يكون معهم بطاقات تلقيح ضد الجدرى معتمدة من طبيب ومعهم تذكرة عثمانية (شهادة الميلاد) ثم يقيدوا في سجل المدرسة .
- مادة (٢٥) عند انتقال التلميذ من مدرسة الى أخرى أثناء العام الدراسي يعطى علم وخبر (شهادة) يفيد بالصف والدرجات . . الخ
- مادة (٢٦) على التلاميذ المقيدون في المدرسة مداومة الحضور والسعى للتحصيل .
- مادة (٢٧) يمنع على التلاميذ أن يكون معهم آلات جارحة مثل السكاكين أو سجاير أو ملعوبات .

مكافآت وجزاءات

- مادة (٢٨) العقاب البدني البسيط مسموح به كالوقوف على الأرجل أو التكليف بواجبات مدرسية ، وينذر التلاميذ باخطار ثم توبيخ أو حضورهم يوم الجمعة الى المدرسة لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات لقراءة دروسهم تحت اشراف أحد المعلمين .
- مادة (٢٩) يرسل انذار لكل من يهمل أو يعمل ما يضحك التلاميذ ويكررها .
- مادة (٣٠) يوبخ التلاميذ الذين لا يحترمون المعلمين ومستخدمي المدرسة أما الذين يسبون أو يضربون زملاءهم في المدرسة فيحرمون من أجازة يوم الجمعة ويحرمون من مكافآت التشجيع التي حصلوا عليها قبلا وهي عبارة عن شهادات ورقية مكتوبة بثلاث درجات : عفارم — تحسين — امتياز ، وتعطى

للتلاميذ في المواد والسلوك ، أو يمحي اسمه من لوحة الافتخار (الشرف) •

مادة (٣١) عند وقوع جريمة بين التلاميذ يبلغ المعلم الأمر في الحال لولى الأمر ومجلس التدريس والشرطة •

مادة (٣٢) الاخطار أو الانذار عبارة عن نصيحة بعدم التكرار ، والتوبيخ بتعدد السيئات وتذنب التلميذ بوقوفه على رجليه ، وحرمانه من أجازة يوم الجمعة بأن يكتب ساعتين في المدرسة يوم الجمعة من ٧٣٠ — ٩٣٠ •

مادة (٣٣) في الامتحان النهائى من يمرض من التلاميذ أو يكون لديه عذر مقبول ولم يحضر الامتحان كله أو قسما منه عليه مراجعة المدرسة حتى بعد شهر لاجراء امتحان خاص له •

مادة (٣٤) التلميذ الذى يتغيب بلا عذر ٣ أيام في الشهر والذى لا يتم الواجبات المدرسية والذى هو دائما مختلف مع زملائه والذى لا يحافظ على نظافة ملابسه وكتبه ، ترد منه كل المكافآت ، ويحرم منها ••

مادة (٣٥) كل تلميذ مداوم على الحضور ومجتهد ومتعاون مع زملائه يعطى شهادة عفارم أو تحسين أو امتياز •• وكل ٤ عفارم = تحسين ، وكل ٢ تحسين = امتياز ، وكل ٢ امتياز تؤهله لكتابة اسمه في لوحة الافتخار وهذه الشهادات مطبوعة ، أما لوحة الافتخار فتوضع في مكان مناسب من المدرسة ويكتب عليها أسماء المستحقين بخط واضح •

تدابير صحية

لا تباع فواكه أو دندرمه أو ماء مبرد بالثلج في المدارس ، ويسمح للتلاميذ بالتنزه في الأيام التى يكون هواؤها جيدا تحت اشراف المعلم ، وتكنس المدرسة وتنظف كل يوم وتفتح نوافذ الفصل لتغيير الهواء ويعلم التلاميذ عادة عدم البصق على الأرض والتلاميذ الذين يصابون بأمراض معدية يرسلون الى منازلهم ولا يعودون للمدرسة الا بعد انتهاء العدوى

ويمنع اخوته أيضا من دخول المدرسة ويرسل التلميذ الى منزله مع أحد
بوابى المدرسة ويعطى علم (رسالة) لطبيب البلدية •

وظائف البوابين

يقومون بأعمال النظافة واشعال المدفأة ولا يسمح البواب لأحد
بدخول المدرسة الا لمن كان يعمل بها أو من ادارة المعارف •

مادة أخيرة : المعلمون مجبرون لتنفيذ هذه المواد جميعها لأن المقتش عند
زيارته للمدرسة في وقت معين أو مفاجيء يسائل المعلم
ويعاتبه على اهمال أى ناحية •

وكانت هذه التعليمات احدى التنظيمات التى لجأت اليها الحكومة
العثمانية فى مجال التعليم ، ولم تستطع هذه التعليمات ولا التنظيمات
التعليمية الأخرى أن تعيش طويلا فى ليبيا ، اذ أن الاحتلال الايطالى
للأراضى الليبية الذى جرى عام ١٩١١ أى بعد ٣ سنوات من بداية
النهضة التعليمية فى ولايات الدولة العثمانية ، قد أوقف أو جمد كل
نشاط تعليمى تقريبا ••

وبالنسبة للمدارس الابتدائية فقد كانت مدة الدراسة بها ٣ سنوات،
الا أنه كان يوجد صف احتياطى يسبق هذه السنوات الثلاث مهمة هذا
الصف الاحتياطى هى تهيئة التلاميذ للانتظام فى الصف الأول بالمدرسة
الابتدائية ، أى أنه بمثابة مدرسة من صف واحد لسنة دراسية واحدة
أو مدرسة روضة أطفال يسبق المدرسة الابتدائية •

وفى ما يلى خطط الدراسة بالمدارس الابتدائية مؤرخة فى العام
الدراسى ١٣٢٥ - ١٣٢٦ هـ الموافق ١٩٠٧/١٩٠٨ م (١) •

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس : (المعارف) .

خطة الدراسة بالمدارس الابتدائية للبنين :

المواد	الصف الاحتياطي	الصف الاول	الصف الثاني	الصف الثالث
ألف باء	١٢	—	—	—
حساب	٦	٣	٣	٢
حسن خط	٦	١	١	١
قرآن كريم	—	٦	٥	٦
علم حال (دين)	—	٢	٢	٢
قراءة	—	٦	٤	٣
املاء	—	٥	٣	٢
تجويد	—	—	٢	—
تاريخ	—	—	٢	٢
جغرافيا	—	—	١	١
مختصر صرف ونحو	—	—	—	٢
معلومات مدنية	—	—	—	—
واخلاقية	—	—	—	١
معلومات فنية	—	—	—	—
وصحية	—	—	—	١
المجموع	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤

خطة الدراسة بالمدارس الابتدائية للبنات :

الصف الثالث	الصف الثاني	الصف الأول	الصف الاختياطي	المواد
—	—	—	١٢	ألف باء
٢	٣	٣	٦	حساب
١	١	١	٦	حسن خط
٢	٢	٢	٢	أعمال يدوية
٦	٥	٦	—	قرآن كريم
٢	٣	٤	—	علم حال « دين »
٣	٤	٦	—	قراءة
٢	٣	٥	—	املاء
—	٢	—	—	تجويد
٢	٢	—	—	تاريخ
١	١	—	—	جغرافيا
٣	—	—	—	مختصر صرف ونحو
١	—	—	—	معلومات مدنية وأخلاقية
١	—	—	—	معلومات فنية وصحية
٢٦	٢٦	٢٦	٢٦	المجموع

ويلاحظ أن المدرسة التي لا يتوافر بها حجرة للصف الاحتياطي يعلم تلاميذها ألف باء والحساب الذهني والكتابة والأعمال اليدوية لمدة خمسة شهور ثم يدخلون الصف الأول ، أما اذا توفرت حجرة يدخل تلاميذ الصف الاحتياطي المدرسة وينتظمون طول العام .

كما أنه بالنسبة لمدارس البنات يتعلمن خارج ساعات الدروس المقررة الموسيقى ، وينشذن يوميا لمدة ربع ساعة قبل انصرافهن أناشيد وطنية ودينية ملحنة .

المدارس الرشدية :

كان هذا النوع من المدارس الحديثة في العهد العثماني بليبيا مرحلة تعليمية ثانية بعد المدارس الابتدائية . وكانت أول مدرسة من هذا النوع تأسست عام ١٨٥٧ م / ١٢٧٤ هـ في عهد ولاية الوالي العثماني أحمد عزت باشا الأولى . وقد أسس من هذا النوع الرشدي « مدرستان : واحدة في طرابلس والأخرى في بنغازي » (١) وكانت هذه المدرسة عسكرية .

وهذه المدارس الرشدية بدأت أولا عسكرية ثم أنشئت مدارس رشدية مدنية « ملكية » وهي تقبل التلاميذ من سن ٨ الى ١٢ سنة . أى أنها توازي السنوات الأخيرة من المرحلة الابتدائية الحالية وأوائل الاعدادية حيث يكون التلميذ قد رشد أى وعى عملية التعليم التي يخضع لها ، ومن ثم يصير توجيهه التوجيه السليم .

وكانت المدارس الرشدية العسكرية تابعة للقيادة العسكرية في مركز الولاية — مدينة طرابلس — وكل معلمها من ضباط حامية الولاية . وبعض الطلاب يقيمون بالمدارس — قسم داخلي — والبعض الآخر تلاميذ خارجيون أى يقيمون مع ذويهم في منازلهم .

(١) دار المحفوظات التاريخية : طرابلس (المعارف) .

وشروط دخول المدارس الرشدية العسكرية كما يلي :

- مادة (١) اتمام الدراسة بالمدارس — المكاتب — الابتدائية •
- مادة (٢) التلاميذ الذين يقبلون بالقسم الداخلى يكونون من العرب فقط من ملحقات الولاية ومن أهالى بنغازى وأن يكون عمرهم من ٨ الى ١٢ سنة عند قبولهم •
- مادة (٣) يصير قبول التلاميذ بالقسم الداخلى بالمدرسة بعد موافقة الأبوين وبعلم الأب وأن يكون الأب فى قبيلته من أصحاب الشرف والحيثية وأن يكون التلميذ حسن الأخلاق ويثبت ذلك بشهادة من مجلس ادارة القضاء أو المتصرفية المقيم فيها •
- مادة (٤) أن يكون التلميذ حافظا وقارئاً للقرآن الكريم ودارسا بكفاءة للقراءة والكتابة •
- مادة (٥) التلاميذ الراغبون فى الالتحاق بهذه المدرسة عليهم مراجعة ادارة المدرسة اعتبارا من أول شهر شوال الى آخر شهر ذى القعدة •
- مادة (٦) التلاميذ الذين تنطبق عليهم الشروط ، اذا كانوا منتظمين بالمدارس الرشدية المدنية ويرغبون الالتحاق بالمدرسة الرشدية العسكرية وكانوا يعرفون القراءة والكتابة والكلام باللغة التركية يجرى لهم اختبار شخصى من طرف لجنة للتحقق من تركيبتهم واذا تبينت لياقتهم يمكن القبول حتى عمر ١٤ سنة •
- مادة (٧) التلاميذ المقبولون لابد أن يكون معهم تقرير طبى بخلوهم من الأمراض •

مادة (٨) التلميذ الذى يقيم بالقسم الداخلى ويرسب عامين ينضم للجندي لمدة ٤ سنوات فيحرم من أن يصبح ضابطا ويصير

• جنديا كعقاب له على رسوبه « (١) »

وكان خريجوا المدرسة الرشدية العسكرية بطرابلس يذهبون
— بعد انتهاء مدة دراستهم بنجاح في طرابلس — الى استانبول
للاتحاق بالمدرسة العسكرية الشاهانية • وكان التلميذ في هذه
المدرسة الرشدية العسكرية بطرابلس يتقاضى مكافأة سنوية
ومدة الدراسة بهذه المدرسة ٣ سنوات •

وكانت خطة الدراسة بهذه المدرسة الرشدية العسكرية كما يلي :
يدرس تلاميذ الصف الأول الموضوعات الآتية :

« صرف عربي

قواعد فارسي

املاء تركي

لغة فرنسية

حسن خط فرنسي

حسن خط تركي

تاريخ الاسلام

الرسم بالقلم الرصاص

ويدرس تلاميذ الصف الثاني المواد التالية :

نحو عربي

حساب

مختصر الجغرافيا

أدب

لغة فرنسية

تاريخ الاسلام

املاء

حسن خط تركي

حسن خط فرنساوي

(١) دار المحفوظات التاريخية — طرابلس : (المعارف) •

رسم بالقلم الأسود
ويدرس تلاميذ الصف الثالث المواد الآتية :

نحو عربى
مكمل حساب
أصول مسك الدفاتر
مختصر الهندسة
جغرافيا عمومى
نحو عثمانى
قواعد عثمانى
فرنساوى
تاريخ الاسلام
املاء تركى
رسم
أدب

حسن خط فرنسى

عقائد « (١) » •

وهذه الموضوعات أو المواد توضح تأثير التنظيم التعليمى الفرنسى فى التعليم العثمانى ، كما توضح رغبة الحكم العثمانى فى عثمانة الولايات التى يحكمها • فقد امتلأت الدروس باللغة التركية من نحو وقواعد واملاء وخط تركى ، وهكذا دائما شأن المسيطرين على مقدرات الشعوب يفرضون لغتهم وثقافتهم حتى يضمّنوا ولاءهم لسيطرة الحكم •

كما أن شروط الدخول لهذه المدارس يسير على نفس النمط وذلك باختبار التلاميذ المتقدمين للتحقق من معرفتهم للغة التركية مما يصبح على كل تلميذ يرغب دخول هذه المدارس أن يجيد اللغة التركية قراءة وكتابة وحديثا ، كما أن هذه المدارس لا تقبل الا تلاميذا من مستوى

(١) دار المحفوظات التاريخية - طرابلس (المعارف) •

اجتماعى واقتصادى مرتفع ولا تقبل أبناء الشعب الليبى العربى دون استثناء ثم لكى تضمن ولاء هؤلاء التلاميذ الذين سيصيرون ضباطا كانت سلطات الحكم تشجعهم على استكمال دراستهم بالمدرسة العسكرية الشاهانية باستانبول .

أما المدارس الرشدية المدنية « الملكية » فقد تأسست فى ليبيا كما تأسست فى غيرها من ولايات الدولة العثمانية ، استجابة للحاجة الماسة الى اتباع منهج تعليمى جديد يتفق وروح العصر والامام ببعض العلوم العصرية التى لم تكن المعاهد القديمة تعنى بها ، ثم تعليم اللغة التركية التى كانت لغة الادارة فى تلك البلاد ، وقد أنشئ من هذا النوع خمس مدارس فقط فى كل الأراضى الليبية واحدة فى طرابلس والثانية فى مدينة الخمس ، والثالثة فى مدينة بنغازى والرابعة فى درنة ، أما الخامسة فكانت « بمركز عاصمة فزان وهى مدينة مرزق ، والتى كان يقوم بالتعليم فيها مدرس من بلدة ديمتوقة من بلاد الأناضول معين من قبل نظارة المعارف بالآستانة بمعاش شهرى قدره ١٥٠٠ قرش ، وقد تم انشاء مدرسة مرزق هذه عام ١٨٧٧ م / ١٢٩٤ هـ » (١) .

وكانت لغة التعليم فى هذه المدارس اللغة التركية ، كما كان معلموها أيضا ، من العثمانيين ومن أجل هذا — الى جانب بعد البلاد الليبية عن مركز الدولة — كان التعليم فيها مضطربا ، لا يكاد يمضى حتى ينقطع ويتوقف لأن المعلم — كما ذكرت كان تركيا « له معاونون يحضر من الآستانة فيظل يؤدي واجبه عامين أو ثلاثة ، ثم يعود بعدها الى بلاده فيتبطل بذهابه التعليم بالمدرسة وتكاد هذه تظل مغلقة تماما ، حتى يأتى من الآستانة معلم آخر وهكذا » (٢) .

وكانت هذه المدارس تعد طلابها ليشغلوا وظائف الدولة الادارية وعندما يؤدي الطلبة الامتحانات فى نهاية سنوات الدراسة بهذه المدارس

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

(٢) د. محمد فؤاد شكرى: ميلاد دولة ليبيا الحديثة ج ١ مجلد ثان ص ٣٩٨

فانه تحقق « لهم الاجازة والشهادة بأيديهم الى الأفلام والمكاتب السلطانية — دواين الحكومة — ويصلون بذلك الى الرفعة والرفاهية وينالون رأس مال التريبة والسعادة » (١) •

وكان بعض هؤلاء الطلاب — الذين يتخرجون من المدارس الرشدية المدنية — يستكمل تعليمه في الآستانة في مدرسة خاصة أنشأها السلطان عبد الحميد يتلقى فيها أبناء الأسر الكبيرة في بلاد الدولة تعليمهم العالى وكانت تسمى مدرسة العشائر وكانت مدرسة العشائر هذه تعد طلابها لتولى بعض المناصب العسكرية أو المدنية •

وكان منهج الدراسة بهذه المدارس الرشدية المدنية شبيها كل الشبه بمشيلتها العسكرية من حيث تعليم اللغة التركية التى كان التعليم يجرى بها بوجه عام ، وقواعد اللغة العربية التى كانت تدرس فقط لأنها كانت من ضمن القواعد المستعملة فى اللغة التركية ، فكان لا بد من معرفتها لفهم الأدب التركى وانتقان الانشاء باللغة التركية ، وكانت هذه الحالة تحول دون استفادة أبناء الشعب عامة من هذا النوع من التعليم استفادة كبيرة لأن الانتساب اليها كان ينحصر تقريبا — لهذا السبب — فى أولاد الموظفين من جهة وفى أولاد الأعيان الذين يتصلون بالحكم اتصالا وثيقا من جهة أخرى •

وقد تم انشاء أول مدرسة رشدية للبنات بطرابلس فى عام ١٨٩٨ م ، وتفيدنا رسالة موجهة من والى ولاية طرابلس الى قائد الفرقة العسكرية فى ٢٤ صفر سنة ١٣١٦ هـ الموافق أول يوليو سنة ١٨٩٨ م يقول فيها « بما أن فيه أمر قطعى من الارادة السنية بعدم دوام الأطفال المسلمين فى المدارس الأفرنجية ولقد علمنا أن بعض الأمراء العسكرية يبعثوا بناتهم للمدارس الأفرنجية وفى ظل حضرة الخليفة جعلنا فى مركز الولاية

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (رسالة من ناظر المعارف باستانبول الى ولاية طرابلس فى شوال ١٢٨٤ هـ — ١٨٦٧ م) المعارف •

مدرسة للبنات رشدي حديثة وأحضرننا لهم معلمات مقتدرات من استانبول ، ولذلك لم يكن هناك عذر لهؤلاء الآباء • أرجو تنييه الأمراء بهذا الخصوص » (١) •

وتدل هذه الرسالة أن المدرسة لم تكن لتعليم بنات الشعب العربي في ليبيا بل كانت لتعليم بنات الضباط الأتراك العاملين بالقوة العسكرية العثمانية بولاية طرابلس ، وكان عدد البنات اللبيات اللاتي تلقين التعليم بهذه المدرسة قليلا لا يكاد يذكر ، وكان قاصرا على بنات الموظفين أو أعيان طرابلس والذين يتصلون بإدارة الولاية •

وكانت المواد التي تدرس في هذه المدرسة الرشدية هي : (٢)

القرآن الكريم والتجويد

علوم الدين

الأخلاق

التاريخ

حفظ الصحة

الهندسة

الإدارة المنزلية

حسن الخط

عربي

جغرافيا

رسم

حساب

كتابة

فارسي

املاء وقراءة

-
- (١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
 - (٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

وكانت مدرسة البنات الرشدية الموجودة بكل من طرابلس وبنغازى تكون مع المدرسة الابتدائية للبنات مدرسة واحدة تدخل التلميذة هذه المدرسة الموحدة وتبقى فيها ٧ سنوات دراسية • صف احتياطي ، وثلاثة صفوف ابتدائي وثلاثة صفوف رشدى « وكان عدد تلميذات مدرسة البنات بطرابلس عام ١٩٠٨/١٩٠٩ م ٥٤ تلميذة » (١) •

وقد حاول الحكم العثماني في أواخر أيامه بليبيا انشاء بعض المدارس الرشدية والابتدائية فوضع مشروعا بانشاء ٥٨ مدرسة وذلك عام ١٩١١م كان من بينها « مدرسة رشدية بمدينة مصراته عين لها معلم ثان من قبل نظارة المعارف باستانبول » (٢) وذلك في ١٨ رمضان ١٣٢٩ هـ الموافق سبتمبر ١٩١١ م أى قبل دخول الطليان طرابلس الذى تم في شوال من نفس السنة الهجرية أى بعد أقل من شهر •

وتعبير معلم ثان الذى ورد في هذه الوثيقة يفيد أن لكل مدرسة كبيرة معلما أول هو القائم بعمل مدير أو ناظر لهذه المدرسة ، أما المعلم الثانى فهو المعلم الذى يتولى التدريس لفصل من فصول المدرسة أى بعبارة أخرى هو « معلم الفصل » • وكلا الاثنى المعلم الأول والمعلم الثانى يتم تعيينهما من قبل نظارة المعارف بمقر السلطنة وهى استانبول •

المدارس الاعدادية :

كان انشاء هذا النوع من المدارس استكمالا لمراحل التعليم في أنحاء الدولة العثمانية ، وهذه المدارس لا توازى المدارس الاعدادية في وقتنا الحاضر بل انها توازى تقريبا المدارس الثانوية في سلم التعليم الحالى لأنها تستقبل تلاميذها من خريجي المدارس الرشدية •

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

وكانت أول مدرسة من النوع الاعدادي أنشئت في طرابلس هي المدرسة التي أشار إليها ناظر المعارف باستانبول في رسالته الى والي طرابلس في رسالة له مؤرخة في شهر شوال ١٢٨٤ هـ الموافق عام ١٨٦٧م والتي جاء فيها « وفيما هو الواقع اجراء من طرف النظارة العمومية الجلية لأجل المكاتب — المدارس — الاعدادية التي أعطى القرار في تأسيسها مجردا بلا كسل فهي تكون نعمة جلية في حق أطفال الأهالي » (١) .

وكان التلاميذ الذين يستكملون الدراسة بالمدرسة الرشدية ويرغبون في الاستزادة من التعليم يمكنهم الالتحاق بهذه المدرسة الاعدادية ويكون هؤلاء التلاميذ « الخارجين من مكاتبهم — مدارسهم — الرشدية قد طالعوا الدروس التي يصير تدريسها بمكاتب — مدارس — الرشدية ومن ثم يكون أخذهم لدائرة الانتظام في هذه المدارس الاعدادية » (٢) .

كانت المدرسة الاعدادية تتكون من أربعة صفوف يقضى التلاميذ فيها ٤ سنوات دراسية يدرسون أثناءها اللغات الفرنسية والفارسية الى جانب المواد التي تدرس بالمدارس الرشدية « (٣) وانما بتوسع وأكثر تفصيلا وهي المواد التي تعتمد أساسا على اللغة التركية واللغة العربية كمادة مساعدة لها .

ولم تكن هذه المدرسة الاعدادية الوحيدة بطرابلس تقبل كل أبناء الشعب بل كانت تقبل فقط أبناء الضباط الأتراك وأبناء الأعيان الذين كان آباؤهم يرغبون من وراء تعليم أبنائهم الى هذا المستوى ازدياد الالتصاق بالوالي ورجال الادارة والحكم والحامية الأتراك في ليبيا .

وفي عام ١٩٠٩ م زيدت سنوات الدراسة بالمدارس الاعدادية المنشأة في الدولة العثمانية سنة أخرى فأصبحت مدة الدراسة خمس سنوات ، وقد استتبع ذلك تكليف لجنة تربوية من نظارة المعارف العمومية باستانبول بوضع خطة دراسية لهذه المدارس (٤) وهي كما يلي بعد اجراء بعض التعديلات : —

(١) ، (٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
 (3) S. Greige : History of Education in Tripolitania, (1948) P. 9.

(٤) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

الصف الخامس	الصف الرابع	الصف الثالث	الصف الثاني	الصف الاول	المسواد
١	-	١	٢	٢	(١) قرآن كريم وتجويد
١	١	٢	٢	٢	(٢) علوم دينية (فقه)
٢	٢	١	٢	٣	(٣) حساب
٢	١	٢	١	-	(٤) هندسة
٢	٢	١	٣	٣	(٥) علم أنشياء
(كهرباء)	٢	٢	-	-	(٦) معلومات فنية (تاريخ طبيعى)
١	-	٢	-	-	(٧) معلومات (حفظ الصحة)
٢	٢	٢	٢	٢	(٨) جغرافيا
مفصلة خاصة للاقتصادية	٢	٢	٢	٢	(٩) تاريخ
الاقتصادية	٢	٢	٢	٢	
(عمومي - معاصر)	٢	٢	٢	٢	
١	١	٢	٢	٢	
٢	٢	٤	٥	٥	(١٠) لغة عربية
٤	٤	٢	٢	١	(١١) لغة تركية
-	١	١	١	١	(١٢) لغة فرنسية
					(١٣) معلومات مدنية

الصف الخامس	الصف الرابع	الصف الثالث	الصف الثاني	الصف الاول	الموارد
١	—	—	—	—	(١٤) معلومات اقتصادية
١	١	—	—	—	(١٥) معلومات قانونية
—	—	١	—	—	(١٦) تطبيقات : زراعة
—	١	١	—	—	(١٧) تطبيقات : أصول مسك الدفاتر
١	١	—	—	—	(١٨) تطبيقات: حساب تجارى
١	١	—	—	—	(١٩) تطبيقات : هندسة
١	—	—	—	—	(٢٠) تطبيقات : أوراق مخابرات تجارية
٢	٢	٢	٢	٢	(٢١) تطبيقات: عربى (ترجمة ومحادثة)
٢	٢	٢	٢	٢	(٢٢) تطبيقات : رومى
٢	٢	٢	٢	٢	(٢٣) تطبيقات : بلغارى
٢	٢	٢	٢	٢	(٢٤) تطبيقات : أرمنى
١	١	١	١	١	(٢٥) خط رقعة وثلاث رسم وأشغال
١	١	١	١	١	(٢٦)

ويلاحظ على هذه الخطة الموضوعية من قبل نظارة المعارف العمومية باستنابول ما يلي : —

أولا : شمول خطة الدراسة بالمدرسة الاعدادية لكثير من ألوان المعرفة والمعلومات •

ثانيا : احتواء خطة الدراسة للمجالين النظرى والعملى فى المعارف الواجب على تلميذ هذه المدرسة استيعابها •

ثالثا : هذه الخطة موضوعة لهذه المدارس الاعدادية فى جميع أنحاء الولايات العثمانية ولذلك ضمت تطبيقات يمكن إجراؤها فى بلاد الدولة العثمانية بمختلف لغاتها وجنسياتها الأصلية •

التعليم الفنى والمهنى :

نقصد بالتعليم الفنى والمهنى ذلك التعليم الذى تشل فى مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية ، والمدرسة الزراعية ، ودار المعلمين التى أنشئت ثلاثتها بمدينة طرابلس ابان الحكم التركى ، وبالتحديد فى السنوات الأخيرة من هذا الحكم التركى للييا •

ولم يلق هذا التعليم اهتمام الحكم التركى فى لييا شأنه فى ذلك شأن أنواع التعليم الأخرى ، ولعل السبب الأساسى فى هذا أن هذا التعليم لم يكن ليقتبل عليه أبناء الموظفين ورجال الحامية الأتراك ولا حتى أبناء الأعيان اللييين ولذلك ظل مهمل الى أن تنبه له الأهالى بأنفسهم كما سنرى عند الحديث عن مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية •

١ - مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية :

تأسست أول مدرسة للصناعات فى عهد ولاية الوالى أحمد عزت باشا الثانية عام ١٢٩٦ هـ الموافق ١٨٧٩ م ثم تأسست المدرسة الحميدية — نسبة للسلطان عبد الحميد — للفنون والصنائع الاسلامية عام ١٨٩٨ م وقد عين الوالى مديرا لها ضابطا تركيا برتبة « يوزباشى » رغم أن إيرادات ومصاريف هذه المدرسة تأتى من « الأوقاف التى أوقفها عليها أهل الخير من اللييين ومن ضريبة الحلفا ، ومن أثمان اللاجبى — قطع

النخيل — ومن عائدات بلدية طرابلس من ذبح الحيوانات في الجزرة
ومن ايجار أرضية الأسواق ومن ايجار الحوانيت المملوكة للمدرسة ومن
بلديات الدواخل « (١) » .

وقد بدأت مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية بطرابلس تؤدي
رسالتها في عهد ولاية الوالى نامق باشا عام ١٨٩٨ / ١٨٩٩ م وكان انشاء
هذه المدرسة بقصد تعليم الأبناء اليتامى والمساكين والفقراء وتدريبهم
على حرفة من الحرف اليدوية مثل « النجارة ، أعمال المعادن ، والنسيج
والسجاد ، والطباعة والتجليد » (٢) . وكانت هذه المدرسة هي المعهد
التعليمى الوحيد الذى يعلم الصبية بنين وبنات هذه الحرف .

وقد أوضح الوالى فى منشور أصدره الى جميع أنحاء البلاد شروط
القبول بهذه المدرسة والتي يمكن تلخيصها فى النقاط الأساسية التالية :
« (١) أن يكون عمر الصبى من ١١ الى ١٥ سنة عند الدخول .
(٢) أن يكون يتيم الأبوين أو أحدهما .
(٣) أن يكون واضحا أن الغرض من هذه المدرسة ليس اطعام
الصبية وكسوتهم ولكن تعليمهم صنعة تفيدهم » (٣) .

وكانت المدرسة تتكون من ستة صفوف على النحو الآتى : صف
احتياطى وصف أول وصف ثان ، وصف ثالث وصف رابع وصف خامس
هذا الى جانب قسم للبنات « مستقل عن قسم البنين . وكان يقوم بتعليم
البنات فى هذه المدرسة العدد التالى :

- ٣ معلمات للنسيج والسجاد
- ١ معلمة للتعليم العام
- ١ مشرفة « (٤) »

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(2) S. Greige : A short History of Education in Tripolitania, P. 7.
(٣) ، (٤) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

ومن هذا يتبين أن البنات كن يتعلمن فقط حرفة النسيج وصناعة السجاد . وهى الحرف التى تتناسب مع طبيعة تكوينهن ، وكانت هؤلاء المعلمات معينات من قبل نظارة المعارف باستانبول ويتقاضين مرتباتهن من إيرادات المدرسة وقد عرف عددهن من محضر تحقيق أجرى عام ١٩٠٣ م بسبب تعدى بواب المدرسة على المعلمات بالضرب بسبب ضربهن لزوجته المقيمة معه فى المدرسة .

وكان تلاميذ هذه المدرسة يقيمون بها بالقسم الداخلى ولا يتكبدون أية نفقات على الاطلاق لأنها مشروع خيرى إيراداته كثيرة ووفيرة ، بل كان يعطى التلميذ فى نهاية الأسبوع ١٥ قرش (قرش ونصف) كمصاريف شخصية ، وعند تخرجه يعطى مكافأة مقدارها عشرة جنيهات وأحيانا بعض الأدوات لبدأ حياة جديدة وفى بعض الأحيان الأخرى كان يمنح حانوتا كامل العدة والأدوات ، ويزوج من احدى البنات الأيتام اللواتى تضمنهن المدرسة ومن ثم يمكن اتمام العمل الخيرى الذى هدف اليه الواقفون على هذا المشروع الانسانى .

وكان أول مدير لمدرسة الفنون والصنائع الاسلامية ضابط فى الحامية العثمانية بمركز الولاية كما كان مدرسوها أيضا ضابطا فى الحامية ، فكان أحدهم مثلاً يقوم « بتدريب الصبية على آلات فن التبرين العضوى — البدنى — وكان آخر ضابطا فى السرية الرابعة من الفيلق التاسع والخمسين من الفرقة السلطانية ومن أرباب المعرفة والصنعة الذين تخرجوا من مكتب صنائع دار السعادة وكانت دار نسج البسط المخصصة بالاناث التى تحت نظارة صبيحة خانم المجلوبة والمدعوة بصورة مخصوصة قبل أربع سنوات من معلمات البسط فى معمل هرقة السلطانى » (١) .

وقد ازدهرت مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية بطرابلس ازدهارا

(١) جريدة طرابلس الغرب العدد ١١٦٧ السنة ٣٦ ، ٥ تشرين الاول عام ١٩٠٦ م .

لا بأس به خصوصا بعد عام ١٩٠٨ م ، فقد ذكر اثنان من الانجليز قاما برحلة الى طرابلس « عام ١٩١٠ أن مدرسة الفنون والصنائع تؤدي دورا تعليميا وتربويا عظيما » (١) . كما أن مكتب - مدرسة - الفنون والصنائع كان يهتم بالتلاميذ المنضمين اليها ، فمنهم من كان يعين بالمدرسة نفسها بعد تخرجه من المدرسة الصناعية باستانبول فقد أوفدت المدرسة في « ١٠ مارس ١٩٠٩ م أربعة من خريجيها للتدريب والاستزادة من الخبرة العملية بمعامل - مصانع - حركة السلطاني » (٢) .

وكانت المدرسة تقبل تلاميذها من مختلف أنحاء البلاد الليبية ويحدد لكل متصرفية أو لواء عدد معين في كل سنة - وقد بلغ عدد تلاميذها « في عام ١٩١٠ في جميع الصفوف ومن مختلف البلاد - ١٠٤ تلاميذ » (٢) . كما يؤيد ذلك أيضا رسالة مؤرخة في « عام ١٩١١ تفيد بقبول تلميذ واحد من غريان في المدرسة » (٣) في تلك السنة .

ومما هو جدير بالذكر أن فكرة مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية هذه بدأت في عهد ولاية علي رضا باشا الجزائري ، الذي أعلن منشورا الى الناس يدعوهم للتبرع لفتح مدرسة أو اصلاحية لتربية الأطفال الأحداث والمشردين واليتامى وتعليمهم مهنة تفيدهم في حياتهم وكان ذلك عام ١٢٩٠ هـ الموافق عام ١٨٧٤ م وقد أصدر منشورا مماثلا في العام التالي .

وإذا تفحصنا التأثيرات التي تركتها مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا لوجدنا أن تأثيرها قليل « لأننا ما رأينا صناعا أهليا متخرجيا من هذه المدرسة يشتغل على الأسلوب العلمي بل ولا غيره ، حتى ان بعض المتخرجين منها سلكوا طريق الجندية بعد ما جابوا الطرقات أياما عديدة لقلّة ذات اليد ، وعدم مساعدة مدير المدرسة لهم على اعطائهم المخصصات التي خولها لهم

(١،٢،٣) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

قانون المدرسة بعد احرازهم على الشهائد لتكون رأس مال التلميذ يباشر بها الاشتغال خارج المدرسة » (١) .

٢ - المدرسة الزراعية :

كان انشاء هذه المدرسة تلبية للحاجة الماسة لهذه الولاية في أن تصبح المحصولات أكثر وفرة في عهد الانتعاش الذي أصاب الدولة العثمانية في بداية القرن العشرين ولذلك تأسست هذه المدرسة بمدينة طرابلس بضاحية قريبة من المدينة تسمى سيدى المصرى وذلك عام ١٩٠٩ م « على يد الوالى ابراهيم باشا تكلفت مبلغ ٤٥٠٠ جنيه تركى ، وكان بعض تلاميذها يقيمون بالقسم الداخلى والبعض الآخر خارجيون وكان المنهج يشتمل على المواد الزراعية الى جانب تعليم تطبيقى مثل استخراج الزيت وصناعة الجبن ، ورعاية الماشية » (٢) .

وكان معلمو هذه المدرسة الزراعية يأتون لها من تركيا تعينهم نظارة المعارف العمومية باستانبول كما أن أدوات هذه المدرسة كانت تستورد أيضا وكانت تحدد تلاميذها كل سنة من مختلف المتصرفيات ففى عام ١٩١٠/١٩١١ م كتب مدير معارف الولاية « لكل المتصرفيات لترشيح الطلاب على أساس ما يلى : (٣)

عدد ٥ طلاب	(١) متصرفية الخمس
عدد ٣ طلاب	(٢) متصرفية الجبل
عدد ٢ طالب	(٣) متصرفية فزان
عدد ١ طالب	(٤) متصرفية الزاوية
عدد ١ طالب	(٥) متصرفية العجيلات
عدد ١ طالب	(٦) متصرفية زوارة

(١) على المصرانى : ابي قشة وجريدته فى طرابلس الغرب - ص ١٢٢ .
(٢) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948) P. 10.

(٣) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

عدد ١ طالب	(٧) متصرفية ترهونة
عدد ١ طالب	(٨) متصرفية أورفلة
عدد ١ طالب	(٩) متصرفية غريان
عدد ١ طالب	(١٠) متصرفية العزيزية

هذا الى جانب التلاميذ الذين تقبلهم المدرسة من مدينتي طرابلس وبنغازي وتوابعها وهؤلاء لم تحددهم المدرسة .

٣ - دار المعلمين :

كانت دار المعلمين بطرابلس ، ودار المعلمين بينغازي اللتان أنشئتتا في أوائل القرن العشرين من أهم أعمال مدير المعارف الجديد الذي تم تعيينه من قبل نظارة المعارف باستانبول عام ١٨٩٩ م ليكون مسئولا عن التعليم في ولاية طرابلس الغرب — ليبيا — وصار تأسيس هذه المدرسة عام ١٣١٩ هـ الموافق ١٩٠١ م وكانت مدة الدراسة بها سنتين دراسيتين فقط .

وكانت دار المعلمين تقبل كل طالب « يجيد القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ويعرف بعض قواعد اللغة ومبادئ الدين الاسلامي » (١) . وكان تلاميذها — لهذا السبب « كبار السن وقد تخرجت أول دفعة من دار المعلمين بطرابلس عام ١٩٠٣ م وكان عدد الطلاب ٧ فقط » (٢) ولم يكن من بين شروط القبول بدار المعلمين شرط الحصول على شهادات دراسية معينة .

وعندما تقرر انشاء دار المعلمين صار الاعلان عنها حتى يتقدم الطلاب للتسجيل وقد نشرت جريدة طرابلس الغرب هذا الاعلان في ٢٤ شعبان ١٣١٩ هـ الموافق ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٠١ م من مديرية المعارف بالولاية جاء فيه ما يلي :

« بما أنه صار الشروع في قيد الطلبة وقبولهم لدار المعلمين المؤسسة

(1) Annual Report of the U. N. Commissioner in Libya, P. 84.

(2) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

والمفتحة بمركز الولاية في هذه المدة في ظل معارف حضرة حامى الخلافة
الأعظم فكل من يطلب ذلك يقيد ويقبل ، وليان هذا ابتدر لاعلان
الكيفية « (١) » .

وكان منهج الدراسة بدار المعلمين يشتمل على المواد الدراسية الآتية:
العقائد الدينية ، والرياضيات ، واللغة التركية ، واللغة العربية ، واللغة
الفارسية ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والرسم ، والأشياء . وكان بالمدرسة
معلم واحد وقد أسفرت النتائج التى حصلت من دار المعلمين عن ضعف
مستوى الخريجين منها عن القيام بالتدريس ، ولذلك فقد تم تعيين
هؤلاء الخريجين في المدارس الواقعة خارج المدن ، الابتدائية ، بصفة
خاصة ، وكان المعلم بدار المعلمين تركى الأصل .

مؤسسات تعليمية أخرى :

تتمثل أهم هذه المؤسسات التى أنشئت بطرابلس في مدرستين هما :
مدرسة أو مكتب العرفان ، وروضة الأطفال ، الى جانب مدرسة ميزران
الأهلية .

أما مكتب — مدرسة العرفان — فقد أنشئت عام ١٩٠١ م بقصد
اتاحة فرصة تعليم اعدادى — ثانوى بمفهومنا الحالى — للتلاميذ
المسلمين القادرين على دفع نفقات تعليمهم وهم طبعاً من أبناء ضباط
الحامية التركية وأبناء الأعيان ، وكان انشاء هذه المدرسة مقصودا
لينافس — في المستوى التعليمى — مدارس الجاليات الأجنبية
خصوصا المدارس الايطالية والفرنسية .

وقد ضمت مدرسة العرفان هذه قسما رشديا الى جانب القسم
الاعدادى حيث أنها كانت مدرسة أهلية أنشئت وليس لها خطة واضحة
منذ البداية ولذلك كان تأثيرها غير واضح ومما هو معروف عنها أنها

(١) جريدة طرابلس الغرب العدد ٩٦٩ السنة ٣١ .

كانت تحصل على اعانة مالية من ايرادات الولاية ٠٠ وقد تم اجراء أول امتحان لهذه المدرسة في ٥ أغسطس سنة ١٩٠٤ حيث ذكرت جريدة طرابلس الغرب في عددها الصادر في ١٣ جمادى الآخرة عام ١٣٢٢ هـ الموافق ١٢ أغسطس عام ١٩٠٤ ما يلي : « وأسمى نموذج من آثار التكامل والتعالى المتوالية مكتب العرفان الذى افتتح قبل ثلاث سنوات باضافة همم المعارف لحضرة ذى الدولة رجب باشا مصداق الشجاعة مشير الفرقة العثمانية السلطانية واقرن أخيرا بالتصديق الرسمى من نظارة المعارف الجليلة وحصلت الموافقة فى ظل ألطاف الحضرة السنية السلطانية بتأسيس وعلاوة قسمة الرشدى ٠٠ » (١) .

ومما هو جدير بالذكر أن مدرسة العرفان « كان يعمل بها عام ١٩٠٢ م ٧ معلمين وكان عدد تلاميذها ١٠٠ مائة تلميذ كلهم خارجيون ولا يقيمون بالقسم الداخلى » (٢) . وهذا العدد لا بأس به بعد عام واحد من انشائها فقط .

وأما روضة الأطفال فقد تأسست عام ١٩١٠ أى فى العام الذى ينتهى فيه الحكم العثمانى فى ليبيا ليبدأ بعد عام الحكم الايطالى ، ولذلك جاء انشاؤها متأخرا وكانت تسمى حديقة الولدان بمدينة طرابلس .

تعليم البنات :

لم ينل تعليم البنات فى ليبيا أثناء الحكم العثمانى اهتماما كافيا شأن كل الولايات التى كانت خاضعة للدولة العثمانية فقد عاشت البنت طوال العهد العثمانى فريسة مستسلمة للرجل خاضعة فى خنوع لارادته وسلطانه قابعة وراء حجب وأستار فكرة الحریم . تسيطر على أفكارها مفاهيم فى جملتها ساذجة يعمقها فيها جهل مطبق لا نور يبدد كثافة ظلمته .

وبالنسبة لليبيا فيمكن أن نشير الى بعض الجهود البسيطة فى مجال

(١) جريدة طرابلس الغرب : العدد ١٠٧٥ السنة ٣٤ .

(٢) محمود ناجى : كتاب طرابلس الغرب (تركى) .

تعليم البنات منها انشاء مدرسة رشدية للبنات عام ١٨٩٨/١٨٩٩ م كان الهدف منه — كما سبق أن ذكرت — منع بنات ضباط الحامية من الالتحاق بالمدارس الأجنبية وقد أجرى امتحان للبنات في هذه المدرسة الرشدية « في شهر جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ الموافق يوليو سنة ١٩٠٥ م وقد سار البرنامج على النحو الآتي :

كلمة من تلميذة بالسنة الأولى
كلمة من تلميذة بالسنة الخامسة تشكر ولى النعم
سماع موسيقى على البيانو
توزيع المكافآت ثم المحليات والمبردات
وقد تخرجت طالبتان بشهادة هن : مكرم خانم بنت محمد راسخ
افندى وعائشة خانم بنت محمد أغا « (١) »

ومن هذا يتبين أن هذه المدرسة لم تكن مفتوحة لتعليم بنات عامة الشعب العربي في ليبيا ، كما أنه في عام ١٩١٠ في عهد ولاية ابراهيم باشا تأسست جمعية نسائية تحت اسم « جمعية النسوان العثمانية الخيرية نجمة الهلال يكون مركزها بالمدرسة الرشدية للبنات ، والغرض من تأسيسها تهيئة أمهات المستقبل لذا ترى من واجها العمل على تعليم البنات وتربيتهن ومساعدة المحتاجين منهن ومد المساعدات المالية لزواج الفقيرات خدمة للوطن والانسانية ورياسة الجمعية للسيدة حرم والى ولاية طرابلس الغرب « (٢) »

ويحدد منشور انشاء الجمعية الذى صدر مهمة الجمعية تفصيلاً بأنها تؤدي خدمتها في مجالين : أحدهما علاجى تحت اسم الهلال الأحمر ، والثانى رعاية تحت اسم الشفقة وفي المجال الثانى تجمع الجمعية الاشتراكات والتبرعات لتصرف منها فى مساعدة المحتاجين وتعليم البنات « الادارة

-
- (١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

البيتية والحقوق الزوجية ، وحفظ الصحة ، وتربية الأطفال ، والخياطة والنقش ، الطبخ ، الغسالة ، كى الملابس ، النسيج ، وصنع البسط ، رواتب المستخدمين ، التنوير ، والتدفئة » (١) . وقد عبرت حرم الوالى عن هذه الموضوعات فى حفل افتتاح الجمعية الذى تم فى شهر ربيع الأول عام ١٣٢٨ هـ الموافق أبريل عام ١٩١٠ م حيث قالت مخاطبة السيدات عضوات الجمعية « أنه بناء عليه قد أضيفت على دروس مكاتبنا الابتدائية والرشدية الموجودة من قديم للاناث بعض دروس توافق العقائد الاسلامية وآدابنا المليية مع كافة أنواع الأشغال اليدوية . وجلبت معلمة الآن من أوروبا ونرى من المناسب أن نسمى المكاتب المذكورة بمكاتب الاتحاد والترقى والاناث الابتدائية والرشدية » (٢) .

وأضافت حرم الوالى ورئيسة الجمعية قولها فى هذا الصدد الى العضوات « ونعلن لكن بمزيد المفخرة أنه تأسست تحت رياسة العاجزة جمعية غايتها الخدمة لدار الصناعة والمكاتب المراد تأسيسها اعانة للبنات الفقيرات المسكينات معنى ومادة ، وتعليمهن الخياطة وسائر الأعمال اليدوية ليستفدن بهذه الصورة من كدهن فيتداركن رأس المال اللازم وتعليم اليتيمات والفقيرات الصنائع لتكون سببا لتأمين معاشهن وقبلا لمصارف جهازهن فى المستقبل » (٣) .

ومع ذلك ورغم كل ذلك فان هذه الجمعية بمجهوداتها اتى أعلن عنها لم تخدم أعدادا يعتد بها من البنات الوطنيات ، ولم يكن من بين أعضاء مجلس الادارة الستة سوى عضوتين اثنتين فقط من الليبيات وان لم تكونا من عامة الشعب ولم تستمر هذه الجمعية كثيرا اذ أن الاحتلال الايطالى تم بعد حوالى عام واحد من ممارستها لنشاطها .

التعليم العالى :

لم تنشأ فى ليبيا أية مدرسة عليا ، وانما كان من يرغب من الليبيين

-
- (١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
 - (٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .
 - (٣) جريدة طرابلس الغرب العدد ١٣١٥ السنة ٤٠ .

أبان الحكم العثماني — استكمال تعليمه الديني كان يتجه صوب مصر ليلتحق بالجامع الازهر أو تجاه تونس ليستزيد من جامع الزيتونة • ومن أراد الاستزادة من خريجي المدارس العسكرية أو الوطنية الخاضعة للإشراف المباشر من قبل حكام الولاية يتجه صوب الآستانة ليستكمل في معاهدها العالية ما لم يتوفر له في أرض وطنه •

ونحن حين نستعرض المعاهد العالية المقامة في الآستانة انما نستعرضها لأنها تقبل طلابا لبيين الى جانب الطلاب الأتراك والطلاب من بقية الولايات العثمانية العربية وغير العربية ، ولكن يجب أن يكون واضحا منذ البداية أن التعليم العالي لم يكن متاحا لكل اللبيين وانما كان قاصرا فقط على القادرين منهم الى جانب الأتراك المقيمين بليبيا •

١ - مدرسة أبناء العشائر :

وأول مدرسة يمكن أن تتعرض لها هي مدرسة أبناء العشائر التي تأسست عام ١٣٠٨ هـ الموافق ١٨٩٢ م « بمناسبة عيد جلوس السلطان المعظم لتعليم أولاد مشايخ القبائل والعشائر » (١) • والهدف منها هدف استعماري يقوم على أساس استيعاب أبناء رؤساء القبائل والعشائر في أنحاء الولايات العثمانية (واحتوائهم) بالنفوذ العثماني حتى عندما يعودون الى بلادهم ويتولون السلطة يستمرون في ولائهم للعثمانيين •

وكانت مدرسة العشائر عسكرية وداخلية ومدة الدراسة بها خمس سنوات يدرس الطلاب أثناءها المواد التالية :

الصف الأول : قرآن كريم ، اب (الهجاء) علوم دينية ، قراءة تركية ، املاء ، تعليم عسكري •

الصف الثاني : قرآن كريم ، تجويد ، علوم دينية ، قراءة تركية ، نحو وصرف ، املاء ، حسن خط ، تعليم عسكري •

(١) كتاب سالنامه نظارة معارف عمومية (تركى) •

الصف الثالث : قرآن كريم ، تجويد ، علوم دينية ، قراءة تركية ، قصص الأنبياء ، صرف تركي ، املاء ، حسن خط ، حساب ، جغرافيا ، لغة فرنسية ، حسن خط فرنسي ، تعليم عسكري •

الصف الرابع : قرآن كريم ، تجويد ، علوم دينية ، صرف عربي ، نحو تركي ، لغة فارسية ، تاريخ اسلام ، انشاء تركي ، جغرافيا ، حساب ، حسن خط ، معلومات متنوعة ، رسم ، تعليم عسكري •

الصف الخامس : قرآن كريم ، تجويد ، علوم دينية ، نحو عربي ، لغة فارسية ، تاريخ عثمانى ، قواعد عثمانية ، كتابة تركية مع القراءة ، محادثة تركية ، جغرافيا ، حساب وهندسة ، حسن خط ، معلومات متنوعة ، حفظ الصحة ، أصول مسك الدفاتر ، رسم ، تعليم عسكري « (١) » •

وكانت هناك شروط لدخول هذه المدرسة يمكن أن تتبينها من منشور ناظر الداخلية في استانبول — الذي كانت المدرسة تخضع لاشراف نظارته — الى جميع الولايات ومنشوره الى ولاية طرابلس وذلك في شهر رجب عام ١٣٢٤ هـ الموافق ١٩٠٦ م ونص المنشور كالاتي:

- (١) حصة طرابلس تلك السنة ٣ طلاب من الولاية كلهما •
- (٢) يعطى لكل طالب مصاريف سفره لاستانبول وقدرها ٦٠٠ قرش •
- (٣) ألا يكون عمر الطالب عند قبوله أقل من ١٢ سنة وألا يكون أكثر من ١٦ سنة •

(٤) أن تكون صحة الطالب جيدة تتحمل التريية الجسمية وينحمل تبدلات الجو ، وأن يكون قد فحص طبيًا ومعه شهادة بذلك قبل سفره من طرابلس •

(١) كتاب سالنامه نظارة معارف عمومية (تركى) •

(٥) أن يكون الطلاب حسنى الأخلاق والتربية ومن عائلة أصلية وحيثية (برنجى درجة) ومن العرب الرحل وساكنى الخيام ومن أولاد العرب المعروفين ويجب الاعتناء بهذا البند قبل كل شئ لأن الطلاب الذين لا يتصفون بهذه الصفات لا يمكن قبولهم بهذه المدرسة لأنه صدر فرمان عالى لظل الله فى الأرض (السلطان) يؤكد ذلك .

(٦) يرسل هؤلاء الطلاب مع أحد رجال الشرطة الأمناء ويعتد عليه لتوصيلهم الى استانبول .

(٧) الطالب الذى لا تتوفر فيه هذه الشروط ويصل استانبول يعاد ثانية ويتحمل المسئول عن ارساله مصاريف ذهابه وعودته « (١) » .

وأما بقية المدارس أو المعاهد العالية فيمكن أن نستعرضها بإيجاز فيما يلى : —

٢ - المكتب الملكى (المدنى) الشاهانى :

وقد تأسس عام ١٢٧٥ هـ الموافق ١٨٥٨ م لاعداد القائمقامين والمديرين ومدة الدراسة به ثلاث سنوات بعد المدرسة الاعدادية ويقبل ٤٠ طالبا كل سنة معفون من الخدمة العسكرية .

٣ - المكتب السلطانى :

وقد أنشئ عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م لتعليم المسلمين وغير المسلمين وهو داخلى وخارجى ومدة الدراسة به ٣ سنوات ابتدائى ، ٣ سنوات متوسط ، و ٣ سنوات عالى ، وبه قسم فرنسى .

٤ - مكتب الطب :

وقد تأسس عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م أيضا وهو خارجى ويدخله الطلاب الحاصلون على شهادة المدارس الاعدادية (الثانوية) أو

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

ما يعادلها ويؤدى الطالب امتحان قبول وكانت مدة الدراسة به ٦ سنوات
لدراسة الطب و ٣ سنوات لدراسة الصيدلة •
٥ - دار المعلمين :

أنشئت عام ١٢٨٥ هـ الموافق ١٨٦٨ م كذلك وكانت تنقسم الى
ثلاث مراحل : مرحلة ابتدائية ومدة الدراسة بها عامان دراسيان ، ومرحلة
رشدية ومدة الدراسة بها عامان أيضا ، ومرحلة عالية وتنقسم قسمين :
شعبة للآداب ومدة الدراسة بها سنتان وشعبة للفنون ومدة الدراسة
أيضا سنتان •

٦ - دار المعلمات :
تأسست عام ١٢٨٦ هـ الموافق ١٨٦٩ م لاعداد معلمات للمكاتب
الرشدية للاناث ومدة الدراسة بها ٣ سنوات •

٧ - مكتب الحقوق :
وقد أنشئ عام ١٢٩٦ هـ الموافق ١٨٧٩ م للحصول على موظفين
للعديلة ووكلاء دعاوى (محامين) وكانت مدة الدراسة ٤ سنوات •
٨ - مكتب التجارة :

تأسس عام ١٣٠٢ هـ الموافق ١٨٨٥ م وكان مرتبطا بنظارة التجارة
والأشغال ، ثم ألحق بنظارة المعارف في نفس السنة وكانت مدة الدراسة
٣ سنوات •
٩ - دار الفنون (الجامعة) :

وقد تأسست عام ١٣١٦ هـ الموافق ١٨٩٨ م « وتقبل كل سنة ٣٠
 طالبا ومدة الدراسة بها حسب شعبها ، فشعبة العلوم الدينية ٤ سنوات ،
 وشعبة العلوم الرياضية والطبيعية ٣ سنوات وشعبة الآداب
٣ سنوات » •

١٠ - المدارس العسكرية :
وهى تشمل : مكتب حربية شاهانية ، ومكتب

(١) كتاب سالنامه نظارة معارف عمومية (تركى) •

فنون طيبة شاهانية ، ومهندسخانة برى همايوني ، ومكتب حربية شاهانية اعدادية ، ومكتب اعدادى طبى شاهانى ، ومكاتب رشدية عسكرية ومكتب بحرية شاهانية ومكتب بحرية ماكنة عمليات ، ومكتب رشدى بحرية ، ومنشأ كتاب عسكرى •

وهذه المكاتب العسكرية أو المدارس العسكرية لم يكن بها من الليبيين الا عدد لا يكاد يذكر لأن ولاية طرابلس الغرب لم تكن فى نظر المسؤولين العثمانيين ولاية مهمة تدر دخلا على السلطنة ولذلك لم ينل أبناؤها حظهم من التعليم الواجب من الحكم العثمانى •

ومع ذلك فان هذه المعاهد العسكرية كانت تعتبر بالمقارنة مع بقية المعاهد العليا الموجودة بمقر الدولة وعاصمة الخلافة • كانت تعتبر أكثر المجالات المتوفرة لأبناء الشعب العربى فى ليبيا ، حيث كانت الحكومة التركية تشجع الليبيين وغيرهم من العرب فى بقية الولايات العربية — على التعليم العسكرى حتى يكونوا جنودها المخلصين الذين يدينون بالولاء لها ، ولا حاجة لنا الى القول بأن هؤلاء الذين كانوا يتمون تعليمهم فى المدارس العسكرية أو غيرها باستانبول كانوا من أبناء الأعيان المتصلين برجال الحكم الأتراك فى مركز الولاية •

ومن الجدير بالذكر أن المدارس العسكرية كانت تتأثر بالثقافات الأجنبية فى برامجها فقد كانت المدارس الحربية مثلا تهتم باللغة الألمانية والتنظيم الألمانى بصفة خاصة ، بينما كانت المدارس والمعاهد البحرية تجعل اللغة الانجليزية والنظام العسكرى البحرى الانجليزى موضع عناية خاصة • ومع ذلك فقد كان للغة الفرنسية مكان بارز فى برامج المدارس العسكرية بصفة عامة •

الإشراف على التعليم :

رأينا من استعراض مراحل التعليم فى ليبيا فى العهد العثمانى أن الشعب العربى فى ليبيا كان يبذل من جهوده وأمواله الشئ الكثير من

أجل بناء المدارس وتهيئتها لتعليم أبنائه وكان دور الحكام الأتراك هو عملية الاشراف فقط واختيار المعلمين لتضمن ولاء المواطنين وسييرهم في الخط الذي تراه الحكومة العثمانية .

وقد سبق أن ذكرت أن الوالى كان يشرف على التعليم الى عام ١٨٩٩ م حين عين من قبل نظارة المعارف باستانبول موظف مسئول عن التعليم فى ليبيا سمي مدير المعارف ثم تشكل مجلس لمعارف الولاية عام ١٩٠٩ م وكان تشكيله على النحو الآتى :

- (١) الوالى رئيسا
- (٢) مدير المعارف وكيلا
- (٣) ٤ من أعضاء مجلس الادارة أعضاء
- (٤) مدير دار المعلمين عضوا
- (٥) معلمان من المدارس الرشدية أعضاء
- (٦) معلمان من المدارس الابتدائية أعضاء
- (٧) ٢ من المفتشين يختارهم مدير المعارف أعضاء « (١)

وعضوية هذا المجلس فخرية أى بدون أجر نظير العضوية فيما عدا الأعضاء الذين يفدون من الأقاليم لحضور الاجتماعات فيحصلون على مكافأة مبيت . وهذا المجلس يجتمع مرتين فى السنة وتستمر الجلسة الواحدة منعقدة لمدة شهر ، ويصير اجتماعه بناء على أمر من الوالى ، وللوالى الحق فى ضم من يراه من المختصين لحضور الجلسات .

وكان لكل متصرفية مجلس تعليم يتكون على النحو التالى :

- (١) معلم المدرسة الابتدائية عضو
- (٢) باشكاتب المحكمة الشرعية عضو
- (٣) محاسب البنك الزراعى عضو
- (٤) مدير المال عضو
- (٥) مفتى القضاء عضو

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

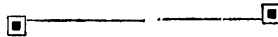
التعليم فى فزان :

لم يكن هناك اهتمام بهذا الاقليم يوازى الاهتمام بكل من طرابلس وبرقة ، وذلك بسبب فقر فزان وبسبب أنه صحراوى تماما « وأن سكانه مختلطين جنسيا : جزء منهم مستقر ، وجزء آخر رحل ، ومستوى معيشتهم منخفض بسبب النقص الواضح فى مصادر الثروة بالاقليم» (١)

وتبعاً لذلك وبالنسبة لبعده الاقليم وخشونة الحياة فيه فقد كان التعليم به قليل الشأن حيث لم يتعد بعض الكتابيب التى تقوم بتعليم المبادئ الأولية فى المعرفة ، ولذلك يمكن أن نقول أن « الغالبية العظمى من السكان ظلوا أميين ، وأن التعليم الذى نالته الأقلية القليلة الباقية لا يتعدى أبدا معرفة القراءة والكتابة ومبادئ الحساب » (٢) •

وإذا كانت بعض المدارس قد قامت فى مرزق وسبها فقد كانت هذه المدارس أولية ، ولم تكن تستمر بها الدراسة طويلا ثم تغلق بسبب عدم توفر المعلمين « وحيث العائلات غير مستقرة ولو بصفة جزئية لعلاج النقص فى هيئة التدريس » (٣) • ولذلك فإن هذه المدارس سرعان ما تغلق أبوابها بعد وقت قصير من افتتاح الدراسة بها • بالإضافة الى أن الحياة فى الاقليم لم تكن تشجع على استقرار المعلمين غير الفزانين لمدة طويلة •

وبسبب عدم استقرار الدراسة فى مدارس فزان ، وعدم استمرار العمل بها لفترة طويلة لم تتوفر احصائيات دقيقة عن عدد المدارس وعدد التلاميذ المنتظمين بها ، ولا عدد المعلمين الذين كانوا يعملون بها •



(1) U.N. : General Assembly document A/1387, P. 3.

(2) Ibid P. 20.

(3) Ibid P. 21.

الباب الثاني

العصر الايطالى

١٩١١ — ١٩٤٣ م

الفصل الرابع

العصر الايطالى الاول

١٩١١ — ١٩٢٣ م

- احتلال ايطاليا للأراضى الليبية .
- مقاومة الليبيين للفتوى الايطالى .
- التعليم فى هذا العصر :
- مقدمة .
- أولا - التعليم الوطنى او المدارس العربية .
- ثانيا - المدارس العربية الايطالية .
- ثالثا - التعليم فى المدارس الايطالية .
- رابعا - مدارس اليهود والبعثات التبشيرية الكاثوليكية .

احتلال إيطاليا للأراضي الليبية :

وقع الغزو الإيطالي للأراضي الليبية في أوائل أكتوبر من عام ١٩١١ م ولم يكن هذا الغزو عفويا أو جاء مفاجئا لكل المهتمين بأمر ليبيا سواء كان هؤلاء الأتراك الذين كانوا يسيطون سيادتهم على ليبيا أو كانت الدول الأوروبية المتسابقة لاستعمار أراضي فيما وراء البحار ، أو حتى الشعب الليبي الذي عاش المأساة من بداية تديرها حتى وقوعها ومن ثم قاومها .

لم يكن الغزو الإيطالي لليبيا اذن شيئا بعيد الاحتمال في ظروف كالتى عاشتها ليبيا تحت الحكم العثماني وفي ظروف دولية هيأت لايطاليا هذه المغامرة الاستعمارية البغيضة ، ولكن كان لهذا الغزو مقدمات ساعدت عليه وأدت الى حدوثه في النهاية وتتمثل هذه المقدمات فيما يلي :

- أولا : سياسة الحكم العثماني في ليبيا .
 - ثانيا : التسابق الاستعماري الأوروبي وأطماع إيطاليا في أفريقيا .
- فلنناقش كل جانب نقاشا موضوعيا مدعما بالأدلة والحقائق الدامغة .

اولا :

لقد أصبح واضحا مسئولية الحكم العثماني عن حدوث الاحتلال الإيطالي لليبيا منذ سيطر العثمانيون على مقدرات الأمور في هذه البلاد وخصوصا في القرن التاسع عشر فلم تلق الولاية أى عناية أو اهتمام من جانب السلطات الحكومية في الآستانة التى لم تعامل ليبيا معاملة الولايات العثمانية الأخرى التى كانت تتمتع بامتيازات خاصة تجعلها صاحبة حكومة محلية واستقلال داخلى - كما كانت الحال في الجزائر وتونس ومصر - بل كانت الحكومة العثمانية تعتبر ليبيا مستعمرة بمعنى الكلمة .

وكانت هذه النظرة من جانب الحكومة العثمانية تجاه ليبيا تتمثل فيما اتخذته هذه الحكومة من اجراءات مثل جباية الضرائب من الأهلين عن طريق القسوة والظلم ، ومثل اهمال الشؤون الصحية والتعليمية في البلاد ،

كما أن الحكومة العثمانية لم تهتم بإنشاء جيش محلي من الليبيين ولم تعمل على توفير وسائل الدفاع عن البلاد بشكل يساعدها على مقاومة أى غزو لأراضيها •

ومهما قيل عن أن الحكومة العثمانية كانت تعاني انقسامات داخلية أو تواجه حركات استقلالية من قبل بعض الوطنيين فى الولايات المترامية البعيدة عن مركز الدولة ومقرها ، فانها أى الحكومة العثمانية كانت تعتبر ولاية ليبيا من الولايات التى لا تفيد الدولة فائدة مالية يعتد بها ، ولذلك فمن الواجب الاقتصاد فى الانفاق على هذه الولاية • بل يجب عدم اراقة دم جندى تركى واحد فى سبيل حماية هذه الولاية أو الدفاع عنها ضد مطامع الدول الأجنبية •

وحقيقة أن الحكومة العثمانية كانت سلطتها وسيادتها تشمل كل الأراضى الليبية اسما الا أن السلطة الفعلية لم تتعد الساحل • وحقيقة أخرى تؤكد أن معظم سكان ليبيا يعيشون على الساحل أى فى المدن والقرى الموجودة فى الشريط الساحلى الأكثر خصبا وتوفيرا للحياة • الا أن المناطق الداخلية كانت محكومة بأهل البلاد عن طريق زعماء القبائل فى طرابلس وفزان وعن طريق السنوسيين فى برقة ، مع اعتراف اسنى بالتبعية لتركيا •

لقد حاولت الطريقة السنوسية اقامة دولة فى برقة يكون جوهرها الدين الاسلامى حتى يمكنها جمع القبائل المتنافرة وقد نجحت فى ذلك نجاحا لم يبارها فيه أى طريقة أخرى من الطرق الصوفية الدينية المنتشرة فى أنحاء البلاد الاسلامية وعندما تهيأ لها هذا التجمع المرتبط بنظامها الدينى والسياسى المتمثل فى الزوايا والاخوان ، حاولت أن تحصل على اعتراف رسمى بها وكان أول اعتراف بها من قبل السلطان عبد المجيد الأول عام ١٨٥٦ م أعفى أملاك الزوايا السنوسية من الضرائب ، وسمح للسنوسية بجمع ضرائب دينية من أتباعها ثم اعتبار الزوايا حسى يلجأ الناس اليه •

ولم يكن هذا اعترافا باستقلال داخلي لأنه في المناطق التي توجد فيها الزوايا السنوسية كان يوجد قائمقامون ومدبرون من قبل الدولة العثمانية ويرتفع العلم التركي حتى في الجغبوب والكفرة مقر السنوسية وتقام الدعوة للخليفة العثماني على المنابر في المساجد ويعترف السنوسيون بالخلافة العثمانية . ولكن هذا الاعتراف كان يؤمن تحصيل الضرائب من داخل البلاد لصالح الحكومة العثمانية ، كما أنه يضمن استتباب الأمن في أنحاء هذه البلاد المحاطة بأطماع استعمارية نتيجة للتوغل الأوروبي في أفريقيا .

الا أن الدولة العثمانية لم تكن تشجع ما كانت تقوم به السنوسية من وقوف ضد تقدم الفرنسيين بعد احتلالهم للجزائر ولأجزاء من غرب أفريقيا — نحو وسط أفريقيا الى الحدود الليبية ذلك أن فرنسا بعد أن احتلت الجزائر عام ١٨٣٠ م وتونس عام ١٨٨١ م وبعض أجزاء الساحل الغربي لافريقيا توغلت صوب وسط أفريقيا . وكان هذا في نظر السنوسيين — الذين مدوا نفوذهم الديني الى كثير من بلاد غرب ووسط أفريقيا — اعتداء من دولة أجنبية غير مسلمة على بلاد مسلمة ترتبط ببلادهم بروابط الدين والجوار ولذلك دخلوا في مناوشات وحروب مع الفرنسيين لم تسفر عن نتيجة حاسمة نظرا لتفوق الفرنسيين الحربي . الا أن هذه الحرب لم تلق تأييدا من قبل الدولة العثمانية صاحبة السيادة الرسمية على ليبيا مخافة أن تتورط في هذه الحرب .

حتى اذا حدثت الثورة التركية ضد السلطان عبدالحميد عام ١٩٠٨ م ، ورأى فيها الليبيون كما رأى فيها اخوانهم العرب في الولايات العربية الأخرى أملا يحقق ما كانوا يبعثون من اصلاح على يد العناصر الثورية التي أمسكت بزمام الأمور في الدولة . الا أن الأمل خاب عندما اتضحت نيات جمعية الاتحاد والترقي نحو الأمة العربية بفرض عمليات التتريك على هذه الولايات العربية ولما أظهرته هذه الجمعية من رغبة في اهمال أمور ولاية ليبيا مما أدى في النهاية الى وقوعها في أيدي الايطاليين .

وقد ظهر هذا الاهمال المتعمد جليا بالنسبة لولاية ليبيا في عدة أمور ساعدت على سهولة وقوعها في أيدي الطليان • ويمكن أن نحدد هذه الأمور فيما يلي :

أولا : أدارت الدولة العثمانية في عهد جمعية الاتحاد والترقى ظهرها للولايات العربية خصوصا في الشمال الافريقي وبعد أن أصبحت ليبيا هى الولاية الوحيدة التى تدين بالتبعية للدولة وهى ولاية فقيرة لا تدر أموالا طائلة على الدولة صاحبة السيادة ولذلك لم تفعل شيئا ضد الأطماع الايطالية الواضحة بل ان رئيس الحكومة ابراهيم حقى باشا - الذى كان يعمل سفيرا لبلاده فى ايطاليا وزوجته ايطالية - متهم بالتواطؤ مع الطليان لتسليمهم الولاية •

ثانيا : طالب أهل الولاية أكثر من مرة بتطبيق التجنيد الاجبارى عليهم وتوفير الأسلحة لهم ، ومع أن الوالى العثمانى الفريق رجب باشا قد حاول عام ١٩٠٦ أن يدخل التدريبات العسكرية فى صفوف الأهالى الا أنه عندما عين وزيرا للحرية بعد ثورة الاتحاديين فى تركيا توقفت هذه التدريبات بل جمعت الأسلحة من الأهالى بحجة الخوف من استعمالها للثورة ضد الدولة • ونقل ما يوجد بمخازن الولاية من أسلحة احتياطية الى استانبول •

ثالثا : انتهز ابراهيم حقى باشا فرصة اندلاع ثورة فى اليمن ضد الدولة فسحب معظم كنانب الحامية العثمانية الموجودة بالولاية وتركت بدون قوات كافية للدفاع عنها ضد الطامعين فيها كما أن الدولة لم تهتم باصلاح الاستحكامات الحربية ومراكز الدفاع بالبلاد ولم تقم بمدّها بالمدافع والذخائر اللازمة لأداء مهمتها •

رابعا : عمدت وزارة ابراهيم حقى باشا - المتواطئة مع الطليان - الى سحب الموظفين الأكفاء والقواد العثمانيين أمثال الفريق رجب باشا وغيره من العمل بولاية ليبيا - ثم ما لبثت هذه الوزارة أن استجابت لرغبات الطليان فسحبت من ليبيا أيضا

واليها ابراهيم باشا بحجة أنه يسىء معاملة الطليان العاملين في ليبيا ويعاكس نشاط بنك روما المشبوه في طرابلس ، وبقيت ليبيا دون وال حتى حدث الغزو الايطالى لها .

خامسا : أهملت الدولة العثمانية شئون ليبيا الاقتصادية في وقت عانت فيه البلاد القحط مما جعل الأهالى عرضة للمجاعة والمرض يفتكان بهم ، وقد مات من الناس عدد كبير دون أن تحرك الحكومة ساكنا وكانت حالة الناس السيئة هذه متمدة من قبل الوزارة التركية حتى لا يستطيع الناس مقاومة الغزو الايطالى .

سادسا : كان بعض الولاة عوناً للطليان ومشروعاتهم الاستعمارية في ليبيا ، من أمثال هؤلاء حسن حسنى الذى عين عام ١٩٠٣ م واليا على طرابلس « وكان طوع ارادة الايطاليين ومنفذا لجميع مطالبهم ، وفي زمنه تطاولت الصحف الايطالية بالشتيم على الطرابلسيين المعارضين للسياسة الايطالية ، وأخذت تغرى الحكومة الايطالية بالاسراع باحتلال طرابلس فاجتمع الناس ليؤلفوا مظاهرة يحتجون فيها على ما نشره الصحف الايطالية فمنعهم حسنى باشا « (١) .

هذه أهم العوامل التى سهلت على الطليان غزو ليبيا واحتلالها عام ١٩١١ ، وهى عوامل تؤكد مسؤولية الحكومة العثمانية مسئولية كاملة عن هذا الغزو وتثبت أن سياسة الحكم العثمانى في ليبيا لم تكن حكيمة ولا سليمة بالنسبة لليبيين وبلادهم حتى أن الليبيين عندما حدث الغزو الايطالى لبلادهم شعروا بأن مستعمرا سلم مستعمرته — بلادهم — لمستعمر آخر وأن الخاسر في هذه القضية هو الشعب الليبى الذى اتقل من استعمار تركى الى استعمار ايطالى .

(١) الزاوى : ولاة طرابلس ص ٢٧٩ .

ثانيا - التسابق الاستعماري الأوروبي واطماع ايطاليا فى افريقيا :

تحققت الوحدة الايطالية عام ١٨٧٠ م ولم يكن قيام الوحدة الايطالية فى حد ذاته نهاية للمشكلات الاقتصادية والسياسية فى شبه الجزيرة الايطالية ذلك أنه بمجرد قيام الوحدة الايطالية اتجهت الحكومة الايطالية الى معالجة القضايا الداخلية ولكنها كانت تراقب تسابق الدول الأوروبية للحصول على مستعمرات لها وراء البحار خصوصا فى القارة الافريقية البكر ، وقد ساءها خروجها من مؤتمر برلين الذى عقد عام ١٨٧٨ م لبحث التوسع الاستعماري الأوروبي — صفر اليدين دون أن تحصل على غنيمة تجعلها على قدم المساواة مع الدول الأخرى فى امتلاك المستعمرات .

وكانت افريقيا هى المجال الذى اتجهت اليه أنظار الايطاليين لامتلاك مستعمرات فيها بعد أن فشلت أو أدركت عدم قدرتها فى التوسع فى البحر الادرياتيكي وكان اهتمامها منصبا على الساحل الأفريقي المطل على البحر المتوسط على أمل استعادة مجد الامبراطورية الرومانية القديمة وكانت تونس بالذات هى مركز الاهتمام الأول . وان كانت ليبيا تنال أيضا اهتمام بعض الايطاليين كمجال حيوى للاستعمار . وكان احتلال فرنسا لتونس عام ١٨٨١ م ضربة موجهة لأطماع ايطاليا فى تونس مما أساء العلاقة بين فرنسا وايطاليا لدرجة جعلت الطليان يتجهون صوب دول وسط أوروبا ويتناسون العداء التقليدى مع النمسا بل ويدخلون فى تحالف مع النمسا وألمانيا كان الفضل فى ابرامه لبسمارك المستشار الألماني الذى كان من المحبذين لفرنسا لى تحتل تونس فتتصرف عن التفكير فى اقليمي الألزاس واللورين وقد كسب بسمارك ايطاليا الى جانبه مع النمسا فى تحالف ثلاثي .

اتجه الطليان لامتلاك أراض جديدة فى شرق أفريقيا ، وقد شجعهم الانجليز على ذلك حتى يقفوا معهم فى وجه التقدم الفرنسى الزاحف من وسط القارة نحو شرقها . فامتلكت ميناءى عصب ومصوع فيما يعرف

بأقليم أريتريا وقد أغراهم ما صادفوه من نجاح في هذا المجال فأرادوا التوسع في الأراضي المجاورة فاصطدموا بالأحباش الذين أنزلوا بالظليان هزيمة كبيرة في عدوة في عام ١٨٩٦ م كانت تيجتها انحسار النشاط الاستعماري الايطالى في شرق افريقيا وبقائه محصورا في الشاطئ الشرقى دون محاولة التوسع الى الداخل .

وكان الفشل الذى منى به الظليان في شرق القارة الافريقية سببا في أن يعيدوا التفكير في امتلاك أراض جديدة في الشمال الأفريقي وخصوصا في ولاية طرابلس الغرب وهى الولاية الوحيدة التى بقيت خاضعة للدولة العثمانية في شمال أفريقيا . وكان مما شجعهم على هذا الاتجاه : —
أولا : أن الدول الأوروبية أرادت أن يكون لاطاليا مجال خارجي تنصرف اليه وتحقق فيه أطماعها ، فألمانيا والنمسا ترحبان بهذا حتى لا تطالب ايطاليا بمنطقتي ترنتينو وتريستا اللتين تحتلهمما النمسا لتنتقص من الوحدة الايطالية، وانجلترا ترحب أيضا باتجاه ايطاليا الاستعماري لأنها مشغولة بالمسألة المصرية ولأنها كانت تطمع في احتلال قبرص دون معارضة أحد ، وكانت روسيا مشغولة بأمورها الداخلية ، أما فرنسا فقد سارعت بتأييد ايطاليا في هذه الخطوة بعد أن تم تحسين العلاقات بينهما وتم التفاهم بينهما على أن تطلق يد فرنسا في مراكش وتطلق يد ايطاليا في ليبيا . أما تركيا فلم يكن أى من الدول الأوروبية يعمل لها حسابا لأنها كانت في نظرهم رجل أوروبا المريض وتتسابق الدول الأوروبية لاقتسام ممتلكاتها .

ثانيا : المشكلات السياسية والاقتصادية والسكانية التى كانت تعانها ايطاليا، فقد أرادت الحكومة الايطالية التخلص من الثورات التى كانت تندلع بين حين وآخر في الأقاليم الايطالية وأدى ازدهام السكان الى البطالة والفقر والجوع ، بينما تكدست الأموال عند بعض الأثرياء . لهذا كان علاج ازدهام السكان واستثمار رؤوس الأموال الايطالية دافعا لاقدام ايطاليا على احتلال ليبيا .

ثالثا : تصور الطليان أن الأراضى الليبية ذات خير وفير وتبشر باتنتاج كبير اذا أحسن استغلالها واستندوا في ذلك على جواسيسهم ومبعوثهم الذين كانوا يجوبون البلاد بحجة البحث العلمى ولكنهم كانوا يبعثون بتقاريرهم الى حكومتهم عن أحوال البلاد . شجعت الحكومة الايطالية على اشاعة صورة مشرقة ومبالغ فيها للأراضى الليبية واتتاجها بين الايطالين لينزح منهم الكثيرون الى ليبيا لتعميرها كما كانوا يطلقون عليهم .

رابعا : وجود سياسيين ايطالين يرسمون سياسة ايطاليا الاستعمارية ويتحمسون لها أمثال السنيور كرسبى Crispi رئيس الوزارة الايطالية فى المدة من ١٨٨٧ الى ١٨٩١ م ثم عودته للحكم من ١٨٩٣ الى ١٨٩٦ م حيث سقط بسبب الفشل فى الحرب ضد الحبشة ومثل « السنيور جوليتى Giolitti الذى تولى الوزارة من عام ١٨٩٢ الى عام ١٨٩٣ م ثم عاد للحكم مرة أخرى عام ١٩١١ م حيث تم الغزو الايطالى لليبيا فى عهد وزارته » (١) .

خامسا : شعور الايطالين بالنقص لتخلفهم عن تكوين مستعمرات لهم فى الوقت الذى تسابقت فيه الدول الأوروبية على امتلاك أراض جديدة فيما وراء البحار وقد ساعد شعور الايطالين بالنقص هذا وبأنهم لا يزالون فى مصاف الدول الصغيرة على اندفاع الايطالين فى مغامرتهم لغزو ليبيا واحتلالها . ومنذ تحددت أطماع ايطاليا فى الأراضى الليبية اتبعت الحكومات الايطالية المتعاقبة على الحكم من الأساليب المتتوية ما يساعدها فى النهاية على هذه البلاد . ومن هذه الاساليب :

أولا : التأثير فى موقف الدولة العثمانية عن طريق التأكيد العلنى بأن لا مطمع لايطاليا فى ليبيا سوى أن يسودها الأمن ليمارس الايطاليون نشاطهم المشروع فيها ، وعن طريق شراء أصوات رجال الدولة العثمانية

(١) خليفة المنتصر : ليبيا قبل المحنة وبعدها - ص ١٠ .

أمثال الصدر الاعظم ابراهيم حقى باشا وغيرهم ممن تسلموا أموالا
ايطالية وساهموا فى تسليم ليبيا لقمة سائغة لايطاليا •

ثانيا : فتح المدارس الايطالية المجانية فى طرابلس وبرقة لنشر ثقافتها
بين الأهالى ، الى جانب المستشفيات والملاجىء الصحية التى كان مظهرها
تقديم الخدمات الانسانية وجوهرها التأثير فى الناس لمصلحة ايطاليا
الى جانب نشاط الجماعات التبشيرية الايطالية فى هذا المجال •

ثالثا : ارسال البعثات تحت ستار البحث العلمى ولكنها كانت فى
الواقع تقوم بدراسة علمية عملية عن أراضى البلاد وتضع المصورت
والخرائط لها ، أى أن نشاطها كان لخدمة الغرض الاستعمارى لايطاليا
وليس لخدمة العلم كما كانوا يدعون •

رابعا : انشاء بنك دى روما Banco di Roma الذى تأسس فى طرابلس
عام ١٩٠٥ م وأصبح له فروع فى أنحاء من البلاد ، وكان هذا البنك يقدم
القروض للمزارعين الليبيين ويشترى الأراضى الزراعية من المواطنين
بأثمان مغرية ويستولى على الأراضى التى اقترض أصحابها نقودا من
البنك وتأخروا فى سدادها ثم أنه كان يمول عمليات الدعاية الايطالية
بين الأهالى •

خامسا : تهيئة الازهان سواء فى ايطاليا ذاتها أو عند الشعوب
الأوروبية لفكرة استيلاء ايطاليا على ليبيا وقد استخدمت فى ذلك
السفراء والصحف حتى بات الشباب الايطالى يتغنى بطرابلس الجميلة
ويمنى نفسه بيوم امتلاكها واحتلالها وقد ذكرت جريدة الترقى التى
تصدر فى طرابلس فى عددها الصادر بتاريخ ١٨ أغسطس ١٩١١ م تحت
عنوان « ايطاليا فى طرابلس الغرب : واقتنا هذا الأسبوع عدة جرائد
ايطالية وقد نشرت كل منها مقالتها الافتتاحية تحت هذا العنوان وكلها
تحث الحكومة والشعب الايطالى بصراحة وبلا حياء على احتلال طرابلس
الغرب وبنغازى واجلاء الحكومة العثمانية من هاتين المملكتين قبل أن

تتقوى « (١) » •• وأوضح المحرر أسفه لهذه الأفكار التي أوردتها محررو الصحف الإيطالية ودعموها بالوقائع التاريخية وبأن تركيا لا وجود لها تاريخيا في ليبيا ، واستكثر المحرر أن يصدر هذا الكلام من أناس أبناءهم يعيشون ويثرون في ليبيا ويتمتعون بخيراتها •

سادسا : قيام القنصلية الإيطالية في كل من طرابلس وبنغازي بدور كبير كمركز للنشاط السياسي والدعاية الإيطالية والتأثير في المواطنين والتجسس على أهل البلاد ومراكز الدفاع عنها ووسائله وقد استطاعت دعاية الإيطاليين التأثير في بعض ذوى النفوس الضعيفة من الليبيين فكانوا لها عوناً في مشروعاتها الاستعمارية •

اتبعت إيطاليا هذه الأساليب حتى إذا أتمت استعدادها وصلحت أحوالها الداخلية وقويت جاليتها في ليبيا وزاد عددها وجاءت الظروف التي تجعل الاحتلال أمرا لا مفر عنه ، أقدمت إيطاليا على ارسال جيوشها الى هذه البلاد لاحتلالها •

وفي ٢٣ سبتمبر عام ١٩١١ م قدم سفير إيطاليا في الآستانة للباب العالي التقرير التالي : ان دولتي استخبرت بصورة سرية أن الضباط ورجال جمعية الاتحاد والترقي الجهلة المتعصبين عرضوا للخطر الشديد أمن الرعايا الإيطاليين بتحريضهم أهالي طرابلس الغرب وبنغازي ضدهم •• « (٢) » وأضاف التقرير أن وصول السفن التركية المحملة بالجنود والذخيرة أمر لا يمكن السكوت عليه •

وفي ٢٨ سبتمبر من نفس العام وجهت إيطاليا انذارا للباب العالي بواسطة السفير الإيطالي لدى الباب العالي ومدة الانذار ٢٤ ساعة ليوافق على احتلال إيطاليا لولاية ليبيا ، وقد أجاب الباب العالي على هذا الانذار كما أجاب على التقرير السابق اجابات متخاذلة تستجدي فيها السلم والصلح مع إيطاليا ، ولما كانت نية الإيطاليين مبيتة من قبل

(١) جريدة الترقى : العدد ٢٠٣ السنة الخامسة (دار المحفوظات التاريخية)

(٢) عزيز سامح : الاتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية - ص ٢١٤ •

لاحتلال ليبيا وأنها اتخذت من هذه الانذارات وسيلة اعلامية فقد أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا يوم ٢٩ سبتمبر عام ١٩١١ م وبدأ الأسطول الإيطالي ضرب مدينة طرابلس في ٣ أكتوبر ١٩١١ م وبدأ به الغزو الطائش البربرى الإيطالى للأراضى الليبية •

مقاومة الليبيين للغزو الإيطالى :

لسنا هنا فى مجال سرد الوقائع التاريخية والمعارك الحربية التى خاضها الشعب العربى فى ليبيا ضد الغزو الوحشى الإيطالى لبلاده لأن هذا ليس موضوعنا ولكننا سنشير هنا اشارات سريعة حتى نعطى هنا الشعب حقه من التقدير بسبب ثباته بقوته وامكانياته القليلة أمام جحافل الغزو البربرى المدعم بأحدث الأسلحة فى ذلك الوقت •

لم يكن هذا الغزو مفاجئاً لأبناء ليبيا ، اذ أنهم أدركوا قبل وقوعه بسنوات الأطماع الإيطالية فى بلادهم ، وقام زعماء منهم يبنهون أهلهم الى الأغراض الاستعمارية والخطيرة التى كان يرمى اليها مثلاً بنك دى روما وبعثات التبشير والمدارس الإيطالية ، والدعاية الإيطالية كما أنهم كانوا دائمى الاتصال بالسلطات العثمانية سواء فى مركز الولاية أو فى مقر الدولة والخلافة لتوضيح مقاصد الإيطاليين ويطالبون بتسليح البلاد وامداد الأهالى بالأسلحة والذخائر وارسال قوات نظامية كافية للدفاع عن البلاد ضد الخطر المنتظر ولكن ذهبت جهودهم ونداءاتهم أدراج الرياح « فقد أبرق أعيان وزعماء طرابلس الى الصدر الأعظم ابراهيم حقى باشا يعلمونه أنهم عازمون على رد كل هجوم وطلبوا ارسال وسائل تحصينات طرابلس المهمة والذخائر الحربية والبحرية وأطعمة لمدة عام ، والدخول مع الإيطاليين فى محادثات لمنحهم امتيازات فى طرابلس وأنهم سيدافعون عن وطنهم حتى آخر نقطة من دمائهم » (١) •

(١) عزيز سامح : الأتراك العثمانيون فى افريقيا الشمالية - ص ٢٢١ •

أرسلت هذه البرقية في ١٥ سبتمبر ١٩١١ • ولكنها أرسلت لمن ؟ • •
لابراهيم حتى باشا المتآمر مع الايطاليين !! وعلى هذا لم يصل ليبيا ما طلبه
زعماؤها في برقيتهم وطال انتظارهم حتى وقع الغزو الايطالى فقاموا
يدافعون عن وطنهم دفاعا مستميتا ويقاتلون بكل ما تصل اليه أيديهم ولم
يرهبهم ما أظهره الغزاة من وحشية فاقت كل تصور •

لقد كان الايطاليون يقدرّون كل التقدير ما سوف يلقونه من مقاومة
على أيدي المواطنين العرب الليبيين • ولقد فكر الايطاليون عام ١٩٠٨ ،
١٩٠٩ انتهاز فرصة الثورة التي قام بها حزب الاتحاد والترقى في تركيا
لتنفيذ ماآربهم باحتلال ليبيا ، الا أن أحد جواسيسهم قد نبه رئيس الوزارة
الايطالية آنذاك - جوليتى - الى أنه من الخطأ أن يحسب حساب القوات
التركية القليلة والمبعثرة في أنحاء ليبيا فقط ، بل يجب عليه « أن يحسب
حساب الشعب العربى الذى يمتاز بصفات حرية جريئة خصوصا قبائل
الرحل فى الدواخل المتعودة على حياة الصحراء الصعبة والتي تحمل السلاح
بصورة مستمرة » هذا فى طرابلس أما فى برقة فانه « توجد تنظيمات
عسكرية حقيقية ترجع رئاستها الى سنوسى الكفرة والجغبوب » (١) ومن
ثم صرف رئيس الوزارة الايطالية النظر مؤقتا عن احتلال ليبيا •

وعلى هذا فان الشعب العربى فى ليبيا دافع عن بلاده دفاعا مجيدا ضد
العدوان البربرى الايطالى الذى استولى على المدن الساحلية طرابلس
والخمس وبنغازى ودرنة فى شهر أكتوبر سنة ١٩١١ ، ولم يكن هذا
الاستيلاء سهلا وانما قاومه الليبيون مقاومة عنيفة ، وقد حاول الطليان
ارهاب الليبيين بوحشيتهم ليكفوا عن المقاومة دون جدوى فما كان من
ايطاليا الا اعلان السيادة على طرابلس وبرقة فى ٦ نوفمبر ١٩١١ م مما
جعل الثوار العرب الليبيين فى نظرها عصاة يستحقون الاعدام •

حقيقة اشتركت القوات التركية القليلة العدد فى مقاومة الغزو الايطالى
ولكن هذه القوات كانت مبعثرة هنا وهناك وكانت تجهيزاتها الحربية

(١) خليفة المنتصر : ليبيا قبل المحنة وبعدها - ص ١١ •

وتدريباتها العسكرية ضعيفة وقليلة بحيث حمل المواطنون العرب اللييون عبء القتال وحدهم مع المساعدات المادية والمعنوية التي لقوها من قبل الدول العربية والاسلامية وخصوصا مصر وتونس اللتين قامتا بدور كبير في مد المجاهدين بالمتطوعين والاسلحة والمؤن ، وبمراكز لتجمع المساعدات من الدول العربية والاسلامية الأخرى .

ولتحديد مواقف الشعب العربي في ليبيا ضد الغز الايطالى فانه يجب أن نتناول مواقف النضال في كل من طرابلس وبرقة . ذلك أن الوضع في كلا الاقليمين كان يختلف بعض الشيء كل منهما عن الآخر ، ففي طرابلس مركز الولاية ومقر الحكم - حمل زعماء القبائل ورؤساء البلاد الوطنيون عبء تنظيم مواطنيهم لمقاومة الغزو . ومن هؤلاء الزعماء بشير السعداوى بالخمس وفرحات بك في الزاوية ، وسليمان البارونى في الجبل الغربى ، ورمضان السويحلى في مصراتة ، وعبد النبى بلخير في أورفلة (بنى وليد) وأحمد المريض في ترهونة وغيرهم كثير ممن تزعموا الجهاد ووقفوا على رأس قبائلهم يواجهون الغزو الايطالى لبلادهم .

وقد حاول هؤلاء الزعماء تنظيم صفوفهم في كتلة واحدة فنشكلت حكومة برئاسة سليمان البارونى لم تلبث أن انتهت أمرها برحيله الى تركيا في أواخر عام ١٩١٣ م ، ثم اعلان الجمهورية الطرابلسية التى أسهم في وجودها المجاهد العربى المصرى عبدالرحمن عزام ، والتى ضمت الزعماء الأربعة لرئاستها وهم : سليمان البارونى ، ورمضان السويحلى ، وأحمد المريض ، وعبد النبى بلخير ، وقد أعلنت في ١٨ نوفمبر عام ١٩١٨ واعترفت بها ايطاليا وتفاوضت معها وعقدت معها صلحا في ٢١ ابريل ١٩١٩ م عرف بصلح بنيادم (بنى آدم) كانت ايطاليا ترمى من ورائه الى نزع سلاح العرب بينما استفاد منه اللييون في اعتراف ايطاليا بحكومتهم بعد أن تخلت عنهم تركيا في صلحها مع ايطاليا الذى عرف بصلح أوشى (لوزان) في ١٨ أكتوبر عام ١٩١٢ م .

ذلك أن الحكومة التركية بعد أن أظهرت خنوعها أمام الانذار الايطالى أرادت أن تتخلص من الصدام مع الايطاليين ولذلك حاولت أن توسط

بعض الدول الأوروبية ليتم صلح بينها وبين ايطاليا، وقد تم عقد هذا الصلح في عام ١٩١٢ - كما أشرنا - ونص على أن تسحب تركيا جنودها من ليبيا ومنح السلطان العثماني أهل ليبيا الاستقلال الداخلي . بينما أعلن ملك ايطاليا لليبيين أن بلادهم خاضعة خضوعا تاما للسيادة الايطالية وقد انسحبت على الفور القوات التركية .

وقد رفض العرب الليبيون هذا الصلح ولكنهم استفادوا منه في تشكيل حكومة محلية لتنظيم المقاومة ضد الغزو الايطالي وقد بذلت مجهودات في تشكيل هذه الحكومة كما سبق ذكره - أخذت على عاتقها القيام بهذه المهمة ونجحت في الحاق الهزائم بالجيش الايطالية وأحسنت ادارة البلاد الداخلية رغم حداثة عهدا بمثل هذا العمل ، وساعدها على ذلك قيام الحرب العالمية الأولى وانشغال ايطاليا بالاشتراك فيها ومساعدات الغواصات الألمانية للمجاهدين بالأسلحة هذا الى جانب ما بذله متطوعو البلاد الاسلامية من مساهمة فعالة باستمرار للمقاومة وتنظيم الادارة وعلى رأسهم عبد الرحمن عزام باشا وصالح حرب باشا ومحمود عبد الواحد بك وكثير من المجاهدين الذين استشهدوا في هذه المعارك ومن بينهم ابراهيم عوض المصرى .

على أن تتبع حوادث المعركة والجهاد ضد الغزو « لا يخلو من بعض المآخذ لانشغال الأهالي في اختلافات وخصومات داخلية أعطت الفرصة للايطاليين وكان أهمها النزاع بين السنوسيين ورمضان بك السويحلي وأتباعه في مصراته وهى وان رجعت في أصولها الى اختلاف في الرأي الا أنها سرعان ما تطورت واتخذت شكل التعصب القبلي» (١) هذا الى جانب الخلافات بين زعماء الجهاد في طرابلس مثل الخلاف بين رمضان السويحلي في مصراته وعبد النبي بلخير في أورفلة وغيرهم ، أضرت هذه الخلافات بالجهاد ومكنت الايطاليين من تدعيم مراكزهم التي حصلوا عليها وأخذوا يتوسعون من مواقعهم التي حصلوا عليها من قبل .

(١) مصطفى بعيو : في تاريخ ليبيا - ص ١٢٤ .

وفي برقة كان الموقف يختلف بعض الشيء عن مثيله في طرابلس وذلك أن الشعب العربي هناك تحمل أيضا عبء مواجهة الغزو الايطالي ، الا أنه كان أكثر تنظيما وأكثر استعدادا بسبب وجود السنوسية في تلك البلاد ، وقد كانت السنوسية منذ نشأتها في اقليم برقة تعمل على انشاء دولة •• وقد سبق أن ذكرت أن تركيا اعترفت بهذه الطريقة الدينية وأعطتها بعض الامتيازات • وقد بذلت السنوسية جهودا كبيرة في تنظيم المجتمع العربي في برقة في وحدات ادارية ودينية وسياسية هي الزوايا التي انتشرت في كل أجزاء برقة وبين قبائلها جميعا كما حرصت على تسليح أبناء القبائل وتدريبهم وقد مارس العرب تحت قيادة السنوسية الحرب بمقاومة التوغل الفرنسي في أفريقيا • هذا الى جانب أن بعض القوات التركية بقيت في برقة لتساند أهلها في مقاومة الطليان وكان يقود هذه القوات بعد انسحاب الأتراك من طرابلس ومعظم قواتهم من برقة كان يقود القوة الباقية في برقة عزيز المصرى باشا •

وبعد صلح أوشي (لوزان) في أكتوبر ١٩١٢ م الذي أقر انسحاب القوات التركية من ليبيا ، زار أنور باشا القائد التركي المنسحب زار السيد أحمد الشريف زعيم السنوسية في مقره بالجغبوب وأبلغه « اسناد أمر الأمة الليبية الى سيادته واخباره بأن الخليفة منح الأمة الطرابلسية (الليبية) استقلالها تاركا لها الحق في أن تقرر مصيرها وتدافع عن نفسها » (١) • ويمكن اعتبار هذا التبليغ بمثابة بداية لاستقلال الادارة السنوسية في برقة ومن ذلك الحين صارت مراسلات السنوسية تختم بخاتم الحكومة السنوسية •

وقد استطاعت ايطاليا احتلال الأجزاء الساحلية من برقة بينما بقيت المناطق الداخلية تحت اشراف السنوسية ، واتخذت الحرب ضد الطليان شكل حرب عصابات وتحمل المجاهدون عبء الدفاع عن بلادهم وقد صادفتهم عقبات شديدة منها انسحاب القوات التركية بقيادة عزيز المصرى بأمر من الحكومة التركية ، ومنها أنه عند قيام الحرب العالمية الأولى

(١) د. نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال - ص ٨٤ •

وانضمام إيطاليا الى الحلفاء أغلقت السلطات البريطانية التي فرضت حمايتها على مصر الحدود في وجه المؤن والامدادات من مصر الى برقة هذا الى جانب انحباس الأمطار ووقوع القحط في البلاد بالاضافة الى فشل حملة سنوسية ضد حدود مصر الغربية بتحريض من ضباط أترك وألمان بقصد فتح جبهة ثانية أمام الجيش الانجليزي في مصر ، مما اضطر في النهاية الى تنازل السيد أحمد الشريف عن القيادة السياسية والعسكرية في برقة الى السيد محمد ادريس المهدي الذي أدرك خطورة الأمر وأنه من الأفضل التفاوض مع الانجليز والايطاليين لاقرار السلام في برقة ، وقد تم عقد عدة اتفاقات عام ١٩١٧ ، ١٩١٩ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، أقرت عدة امتيازات سياسية لايطاليا وأمنت حدود مصر الغربية •

وبالنسبة لبرقة فقد استفادت من هذه الاتفاقات في الحصول على المؤن وفي الاعتراف الرسمي بحكومتها من قبل الانجليز والايطاليين الى جانب القانون الأساسي الذي أعطى لليبيين بعض الحقوق المدنية مثل تأمينهم في عبادتهم وملكيتهم الفردية وانشاء المدارس واحترام لغة البلاد ، الى جانب انتخاب مجلس نيابي في ١٩٢١ استمر حتى مارس ١٩٢٣ عندما تولى الفاشست مقاليد الأمور في ايطاليا وألغيت جميع الاتفاقات التي عقدت مع الليبيين •

وبناء على هذه الاتفاقات توقف الجهاد في برقة وذلك أن ايطاليا كان يهملها هذا بسبب ما بذلته من جهود انهكتها في الحرب العالمية الأولى ، ورأت أن تغير من أسلوب الحرب الوحشية ضد الليبيين الى اتباع سياسة المهادنة مع المجاهدين الليبيين ومحاولة الوقعة بين هؤلاء المجاهدين ليصير لها في النهاية السيطرة على المتنازعين وقد نجحت في هذا نجاحا دفع الليبيين المخلصين الى محاولة جمع شتات المتخاصمين وايقاف المنازعات بين الزعماء في طرابلس وبينهم وبين السنوسية في برقة وبالفعل تم عقد عدة اجتماعات لهذا الغرض انتهت بموافقة معظم زعماء طرابلس على مبايعة الأمير محمد ادريس المهدي السنوسي أميراً على برقة وطرابلس لتقوم حكومة موحدة تمارس الجهاد ضد الايطاليين وقد قبل الأمير المبايعة في نوفمبر سنة ١٩٢٢ •

أما فزان فقد استطاع الطليان احتلال عاصمتها مرزق عام ١٩١٤ م ، ولكنهم سرعان ما تركوها بسبب مقاومة أهلها العنيدة وانشغال الايطاليين أنفسهم في الحرب العالمية الأولى ولكنها كانت مسرحا لحروب بين المتنازعين من الليبيين أنفسهم حتى سيطر عليها السنوسيون .

ويمكن اعتبار الجهاد ضد الطليان في طرابلس وبرقة متصلا من عام ١٩١١ الى عام ١٩١٧ م ، ثم توقف الى عام ١٩٢٣ وفترة التوقف هذه كانت فترة هدنة واتفاقات بين الايطاليين والليبيين وهي الاتفاقات التي أقرت بعض الأمور التي أشرنا اليها سابقا والتي تمنح الليبيين بعض الحقوق وتضمن لهم الأمن وممارسة حياتهم مع وجود الاحتلال الايطالي ، ولكن حدث في ايطاليا ذاتها أن استولى على مقاليد الحكم الحزب الفاشستي في شهر أكتوبر سنة ١٩٢٢ م وكان وصول الفاشست الى الحكم نذيرا ببدء الجهاد من جديد في ليبيا ضد الايطاليين لأن الفاشست ألغوا جميع الاتفاقات السابقة مع الليبيين وكان أن سافر الى مصر الامير محمد ادريس في ديسمبر ١٩٢٢ م تاركا أمر الجهاد واستأنف الليبيون مقاومتهم ضد الاحتلال الايطالي .

التعليم في هذا العصر :

من الطبيعي أن يكون التعليم صورة لأحداث هذا العصر الايطالي الأول في ليبيا ، ومن الطبيعي أن تكون السياسة التعليمية للغزاة نابعة من سياستهم نحو « المستعمرة » تلك السياسة التي عبر عنها أحد السياسيين الايطاليين بقوله : لقد امتلكتنا مستعمرة فقيرة فقرا واضحا وليس من سياستنا استبدال الوطنيين بالطليان ولكن جعل الوطنيين يندمجون في خططنا الاقتصادية وبالنسبة للمدارس فيجب أن نصل الى الأسرة من خلال التلاميذ ويجب أن نتخلل القبائل بالتعليم » (١) .

وعبر ايطالي آخر عن وجه آخر لهذه السياسة التعليمية فقال « لقد كانت المدارس القليلة التي أنشئت في المدينة - طرابلس - وبعض المراكز

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948), P. 18.

الأخرى التي احتلتها قواتنا كانت لمجرد تعليم الأطفال الايطاليين وبعض العرب كدليل أمام الوطنيين على اتجاهنا التعليمي السلمى « (١) » .
ومن هذا تتضح السياسة التعليمية لاطاليا في ليبيا تلك السياسة التي لا تخرج عن كونها سياسة مستعمر يريد تدعيم استعمار له لأرض جديدة يقاومه أهلها . فقد توقف النشاط التعليمي عند دخول الايطاليين للأراضي الليبية بسبب انشغال الأهالي بمقاومة الغزو الى جانب ما صاحب الجهاد من جو ارهاب ووحشية عطل كل نشاط وكل مظاهر الحياة في المناطق التي احتلها الايطاليون .

وقد أخذ الايطاليون يعملون منذ اللحظة الأولى التي وطئت فيها أقدامهم أرض ليبيا للسيطرة على البلاد بطريقتين استعماريتين هما تشجيع الهجرة من ايطاليا الى ليبيا . وطينة الثقافة والتعليم حتى تضمن ايطاليا خضوع الليبيين وقبولهم لادعاء الاحتلال الايطالي بأنه جاء لتمدين الشعب الليبي والتقدم به . وعلى هذا فقد توقفت جميع الجهود التعليمية التي بدأت في ليبيا في عصر الحكم العثماني توقفا تاما في المناطق التي احتلها الايطاليون والتي تتمثل في المدن الساحلية ، أما بقية البلاد فقد تأثر التعليم فيها أيضا بدخول الايطاليين الأراضي الليبية بانشغال المواطنين بأمر الجهاد الا أن الكتابات بقيت تؤدي دورا تعليميا محدودا وحتى الزوايا السنوسية سرعان ما تعرضت للاهمال والتدهور نتيجة انصراف القائمين عليها الى تنظيم حركة الجهاد .

ولم تكن هناك سياسة تعليمية في بداية عهد الاحتلال لتعليم المواطنين الليبيين وحتى التعليم الابتدائي وتعليم الكتابات لم يسلموا من التدخل وفرض السيطرة من جانب المستعمرين الا أن سلطات الاحتلال في ليبيا اتخذت بعض الاجراءات التعليمية في أوائل عام ١٩١٢ هي :
أولا : بدء قيد التلاميذ بالمدارس في المناطق التي تم احتلالها حتى يوم ١٢/٢/١٩١٢ وذلك بقصد ايهام المواطنين بحرصهم على تعليم أبنائهم لتمدينهم .

(١) Ibid .

ثانيا : استخدام المعلمين الايطاليين واستكمال النقص فى المعلمين باستخدام الضباط وصف الضباط من قوات الاحتلال الذين يمكنهم القيام بالتعليم . وهذه الخطوة تهدف الى السيطرة على التعليم بوجود المعلم الايطالى لتعليم المواطنين الليبيين .

ثالثا : صارت تبعية التعليم فى ليبيا لوزارة الحرب الايطالية فى روما ، وهذه التبعية تحكم على التعليم بالسير فى الخط الذى تراه سلطات الاحتلال العسكرى الايطالى دون النظر الى المبادئ التربوية والانسانية المرتبطة بالتعليم .

رابعا : «وفى سبتمبر ١٩١٢ افتتحت سلطات الاحتلال معسكرا تعليميا للأطفال الذين ذهب أهلهم ضحية المذابح التى قام بها الطليان فى منطقتى المنشية والهانى - بطرابلس - حيث يتلقى هؤلاء الأطفال تعليما أوليا يتمثل فى القراءة والكتابة باللغتين الايطالية والعربية الى جانب بعض التدريب المهنى فى ورش مدرسة الفنون والصنائع بعد أن مارست نشاطها » (١) .

ولكن الفشل الذريع كان من نصيب هذه الخطة التى تمثلت فى هذه الاجراءات ولم تخف على المواطنين فى المناطق المحتلة من البلاد الأهداف الاستعمارية التى ترمى اليها والتى ربما كان أقلها الحيلولة بين هؤلاء المواطنين وبين مجرد شعورهم بأنهم مواطنون عرب ليبيون .

وتنتيجة لذلك قررت وزارة المستعمرات - عقب معاهدة لوزان فى أكتوبر ١٩١٢ م - عمل دراسة عن التعليم فى ليبيا للتعرف على وجهات نظر المواطنين الليبيين ، وكانت نتيجة هذه الدراسة « صدور مرسوم ملكى برقم ٥٦ فى ١٥ يناير عام ١٩١٤ م نص على ما يلى » (٢) :

(1) Annual Report of the U.N. Commission in Libya, P. 87.

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس .

١ - انشاء مدارس عربية ايطالية ألحقت ادارتها بوزارة المعارف
ووزارة المستعمرات الايطالية في روما وهذه المدارس ابتدائية ومدة
الدراسة بها ثلاث سنوات •

٢ - كان منهج الدراسة بهذه المدارس يشتمل على المواد الدراسية
الآتية :

- اللغة العربية والدين •
- اللغة الايطالية •
- الحساب الأولى (مبادئ الحساب) •
- معلومات أولية في الزراعة •
- الأناشيد والمحفوظات •
- معلومات عامة عن ايطاليا وافريقيا •
- مبادئ عامة في الصحة •
- التربية البدنية •

٣) اقتصر عمل المعلم العربي على تدريس اللغة العربية والدين فقط
وتركت جميع المواد الأخرى للمعلم الايطالي وهذا يؤكد أن المعلم العربي
كان مساعدا فقط للمعلم الايطالي في تربية أبناء المواطنين العرب ! •

ولما رأت سلطات الاحتلال انصراف الاهالي عن هذه المدارس لعدم
اطمئنانهم الى ذلك النوع من التعليم الذي كانت توفره لهم السلطات
الايطالية ولم يلمسوا أهميته في حياتهم •• ولعل عدم اطمئنان الليبيين الى
التعليم الذي أوجدته سلطات الاحتلال الايطالي يرجع الى عدة عوامل
لعل أهمها الشك في أهداف التعليم في ذلك الوقت وعدم الرغبة في
التعامل مع المحتلين والخوف على أبنائهم من تأثرهم بأخلاق ومبادئ
لا يرضى عنها الآباء والخوف من ضعف تأثير الدين الاسلامي في نفوس
أبنائهم •• لذلك انصرف الكثيرون منهم الى الكتاتيب والمساجد
والمدارس القرآنية ••

لما رأت سلطات الاحتلال هذا الانصراف من جانب الأهالي الى
الكتاتيب استصدرت مرسوما ملكيا آخر برقم ٢٥٠ في عام ١٩١٥ (١)
للسيطرة على الكتاتيب والمدارس القرآنية وكانت بنوده كالآتي :

١ - تنظيم الكتاتيب وصرف مكافآت مالية للفقهاء - معلمى
الكتاتيب - من الأوقاف • ومن خزينة المستعمرة •

٢ - تصرف الأموال على هذه الكتاتيب اذا توفرت فيها الشروط
الآتية : (٢)

(أ) أن يتجاوز عدد التلاميذ فى الكتاب الواحد خمسة وعشرين
تلميذا تتراوح أعمارهم بين ٥ - ١٤ سنة •

(ب) أن يتضمن برنامج الكتاب مقررات فى اللغة العربية ومبادئ
الرياضيات الى جانب المقررات الدينية •

(ج) يخضع الكتاب لرقابة المفتش الايطالى ومتابعته له •

وهكذا أخضعت السلطات الايطالية جميع النشاط التعليمى لرقابتها
بقصد التأثير فى حياة الناس وتوجيهها لمصلحة الاستعمار، ومصصلحة الاستعمار
لا تعمل أبدا من أجل تقدم المستعمرين فى المستعمرة ولا تمدينهم وهذا
أمر طبيعى ، اذن فكل نشاط تعليمى توفره سلطات استعمارية انما هدفه
تمكين هذه السلطات من رقاب الناس والسيطرة على مقدراتهم •

الا أن التعليم لاقى تفهقرا واضطرابا بسبب الحرب العالمية الأولى
واشتراك ايطاليا فيها الا أن « وزارة المستعمرات الايطالية استصدرت
قرارا بمرسوم ملكى تحت رقم ١٢٨٣ بتاريخ ١٦ يوليو ١٩١٧ نص على أن
يستخدم ريع الأوقاف فى انشاء مدرسة ثقافية اسلامية - تؤسس فى تاريخ

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

(2) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 87.

لاحق - ليتفق هذا مع رغبة المواطنين المسلمين « (١) الذين ساءهم ما تفرضه سلطات الاحتلال من قيود على تعليمهم الديني في حين يستولى الايطاليون على أموال الوقف .

فكان صدور المرسوم الملكي برقم ٤٦٩ بتاريخ ١١ مارس ١٩١٧ (٢) والذي تضمن القانونين الأساسيين اللذين وضعا لطرابلس وبرقة ، واللذين منحا بعض الحقوق للمواطنين وقد تمثلت هذه الحقوق في عدة أمور كما اتخذت عدة اجراءات من قبل السلطات الايطالية . . يمكن أن نعدد هذه الحقوق وتلك الاجراءات فيما يلي :

(١) تأمين حرية التعليم لليبيين وجعل التعليم الابتدائي الزاميا للبنين .

(٢) استخدام اللغة العربية في التعليم وتدریس اللغة الايطالية بعد الفرقة الثالثة الابتدائية .

(٣) احترام تعليم العقيدة الاسلامية واعادة فتح الزوايا والكتاتيب .

(٤) فصل ادارة التعليم في ليبيا عن وزارة الحرب والمستعمرات ووزارة المعارف الايطالية وانشاء ادارة محلية للتعليم في ليبيا لتكون حرة في توجيه التعليم توجيها استعماريًا مباشرًا ، مع تشكيل لجنة استشارية تعليمية من شخصيات عربية تثق بها الادارة الايطالية .

(٥) حرمان مدرسة انفضون والصنائع الاسلامية من المساعدات المالية الحكومية واعتمادها فقط على أوقافها الخاصة .

ورغم أن هذا المرسوم أعطى بعض الحقوق للمواطنين الا أنها كانت منقوصة ولم تأخذ طريقها للوجود الحقيقي ولم تمارس من قبل أهل البلاد لأن سيف الاحتلال مسلط على كل عمل وطني بناء .

(١) Ibid, P. 88.

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس .

وبناء على اعتراف إيطاليا بالجمهورية في طرابلس وبالامارة السنوسية في برقة فقد صدر قانونان برقم ٩٣١ وبرقم ٢٤٠١ لعام ١٩١٩ (١) ترتبت عليهما الاجراءات التعليمية التالية :

(١) تأكيد حرية التعليم الخاص مع الاكتفاء فيه بالاشراف العام من جانب السلطات الحاكمة •

(٢) توفير تعليم ابتدائي الزامى محدود تماما من أجل أبناء المسلمين الذكور وحدهم •

(٣) استخدام اللغة العربية في التعليم بالمدارس الابتدائية والثانوية •

(٤) تعليم اللغة الايطالية في جميع الصفوف فيما عدا الثلاثة صفوف

الأولى الابتدائية حيث يكون تعليمها اختياريا في هذه الصفوف الأولى •

(٥) ابتعاد المناهج الدراسية عما قد يسيء الى العقيدة الاسلامية •

(٦) انشاء مرحلة تعليمية ثانوية ذات مرحلتين •

أ - مرحلة عامة ومدة الدراسة بها ثلاث سنوات •

ب - مرحلة خاصة ومدة الدراسة بها سنتان وهي تتكون من شعبتين

الشعبة الأولى فنية ، والشعبة الثانية عامة ، وتعد تلاميذها للتعليم العالي •

وفي بداية العام الدراسي ١٩٢٠/١٩١٩ وصل الى طرابلس المدير المكلف

بالاشراف على التعليم بحيث يكون خاضعا للحاكم العام الايطالى في

طرابلس ، بعد أن تم تنظيم المدارس الايطالية والمدارس الايطالية

العربية •

وفي سبيل جذب الناس - المواطنين - الى التعليم الذى تشرف عليه

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

سلطات الاحتلال في ليبيا • اعترفت بالمدارس الآتية كمدارس رسمية مع محاولة انشاء ما لم يكن موجودا منها وهي :

- ١ - الكتاتيب والزوايا •
- ٢ - المدارس الوسطى (الثانوية) •
- ٣ - المدارس الزراعية والصناعية •
- ٤ - المدارس الابتدائية •
- ٥ - مدارس عليا (جامعة) •
- ٦ - مدارس لتعليم البنات •

فهل تم اجتذاب كل المواطنين لهذه المدارس ؟ • وهل مارست هذه المدارس نشاطها الطبيعي أو العادي في تعليم أبناء البلاد ؟ • ان الاجابة عن هذين السؤالين يجعلنا نتعرض لمناقشة الفرص التعليمية المتاحة لأبناء البلاد في هذه الأنواع من المدارس وعلى هذا فستكون مناقشتنا شاملة للتقسيم التالي :

- ١ - المدارس العربية أو التعليم الوطني •
- ٢ - المدارس العربية الايطالية •
- ٣ - المدارس الايطالية •
- ٤ - مدارس اليهود والبعثات التبشيرية الكاثوليكية •

وفي مناقشة كل قسم من هذه الأقسام سنتناول دراسة الفرص التعليمية المتاحة لليبيين بناء على موقف السلطات المحتلة وسياستها في مجال التعليم •

اولا : التعليم الوطني أو المدارس العربية :

يحتوى هذا القسم من المدارس تلك المؤسسات التعليمية التي يتعلم فيها أبناء البلاد وحدهم وكانت قائمة قبل مجيء الايطاليين الى البلاد أو استحدثها الايطاليون في قوانين التعليم التي سبق الاشارة اليها •

فمن المعروف أنه كان في ليبيا قبل الاحتلال الايطالى تعليم اسلامى

دينى له مؤسساته القائمة على نشر الثقافة الاسلامية والتي تمثلت فى الكتابيب والزوايا والمساجد وكان الراغبون من أبناء البلاد فى التزود من هذه الثقافة الدينية يرحلون الى مصر والالتحاق بالجامع الأزهر كما يرحلون الى تونس للدراسة بجامع الزيتونة • والى جانب هذا التعليم الدينى كان يتوفر تنظيم تعليمى عصرى أو حديث أشرفت عليه سلطات الحكم العثمانية وتمثل فى المدارس الابتدائية والرشدية والاعدادية ، وكانت هناك مدارس رشدية واعدادية عسكرية بخلاف مثلتها المدنية ، ثم كان هناك دار للمعلمين ومدرسة صناعية هى الفنون والصنائع الاسلامية والمدرسة الزراعية بسيدي المصرى •

•• كل هذه المؤسسات وجدت قبل مجيء الطليان الى أرض ليبيا ، ولم يكن من الطبيعى أن يبقى المستعمر على هذه الانواع من التعليم ولذلك فقد توقف كل نشاط تعليمى بوقوع الغزو -وكما سبق أن ذكرنا- لانشغال المواطنين بمقاومة الغزو من ناحية ولرغبة الطليان فى وضع نظام تعليمى يتفق مع أهدافهم الاستعمارية •

وقد أوضحت القوانين الصادرة من قبل ملك ايطاليا النظام التعليمى الذى حاولت سلطات الاحتلال الايطالى فى ليبيا توفيره لليبيين • ويمكن توضيح السياسة التعليمية التى اختطتها سلطات الاحتلال بالنسبة للمدارس العربية فيما يلى :

أولا : السماح باستمرار التعليم فى الكتابيب والمدارس القرآنية بطريقتها التقليدية ولكن تحت اشراف السلطات التعليمية وأن لا يمنح الكتاب أية مساعدة مالية الا اذا كان عدد تلاميذه أكثر من ٢٥ تلميذا « وأن يكون المنهج المتبع به قريب الشبه بالمنهج الموضوع للمدارس الابتدائية الحكومية التى تتكون من ثلاث سنوات فى المدن الصغيرة ومن خمس سنوات فى المدن الكبيرة » (١) •

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 88.

ثانيا : عدم التدخل في النشاط التعليمي الذي تمارسه الزوايا السنوسية بصفة خاصة وبقية الزوايا بصفة عامة ، طالما أن هذه الزوايا لا تمارس أى نشاط عسكري أو يحتفظ المنتسبون اليها بأسلحتهم وبهذا استمرت هذه الزوايا تؤدي دورها التعليمي التقليدي وهو التعليم الديني الذي كان قائما بها منذ وجودها على الأرض اليبسية .

ثالثا : أوجدت سلطات الاحتلال مدارس ابتدائية جديدة مدة الدراسة بها ثلاث سنوات في القرى والمدن الصغيرة وخمس سنوات في المدن الكبيرة وهي المدارس التي جعل فيها تعليم اللغة الايطالية وبقية المواد الدراسية بنفس اللغة اجباريا بعد السنة الثالثة واختياريا في السنوات الثلاث الأولى ، واختير معلموها من الليبيين الذين تثق فيهم سلطات الاحتلال مع وجود معلم ايطالي بمثابة مدير ويرأس المعلمين العرب الذين يعتبرون مساعدين له . وكانت هذه المدارس تعطى شهادة تتيح لحاملها دخول المدارس الثانوية العربية المقرر انشاؤها .

وكانت المدارس الابتدائية القائمة بممارسة وظيفتها التعليمية في العام الدراسي ١٩١٤/١٩١٥ م « في اقليم طرابلس توجد في المراكز التالية : مدرستان بمدينة طرابلس ، ومدرسة واحدة بكل من جنزور والزاوية ، العجيلات ، زليطن ، مصراتة ، سرت ، بني وليد ، القصبات ، غريان ، يفرن ، جادو ، وكان بها حوالي ٨٠٠ تلميذ . وفي برقة توجد هذه المدارس في المراكز التالية : مدرستان في بنغازي ومدرسة في كل من البركة ، المرج ، درنة ، طبرق . وكان بها حوالي ٥٠٠ تلميذ » (١) .

رابعا : نصت القوانين الأساسية بالنسبة لاقليم طرابلس وبرقة على

(1) Ibid P. 88.

انشاء مدارس ثانوية يتعلم بها أبناء المواطنين العرب ، وأن يتم تأسيس هذه المدارس في مدينتى طرابلس وبنغازى فقط ، على أن تكون لغة التعليم هى اللغة الايطالية حيث يتعلم بها الطلاب مواد الدراسة : التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية والرياضية . فيما عدا اللغة العربية والدين الاسلامى . ومدة الدراسة خمس سنوات والدراسة فى السنوات الثلاث الأولى عامة وفى السنتين الأخيرتين يتخصص الطلاب فى احدى شعبتين : شعبة مهنية ، وشعبة علمية لاعداد الطلاب للدراسة العالية . الا أن هذه المدارس الثانوية لم تتح لها فرصة الوجود ولم تقدم خدمات تعليمية لأبناء الليبيين .

خامسا :

وبالنسبة للتعليم الفنى الزراعى والصناعى فلقد توقف نشاط المدرسة الزراعية التى قامت بمنطقة سيدى المصرى بالقرب من مدينة طرابلس وبقيت البلاد دون مدرسة زراعية حتى سنة ١٩٢٦م . أما مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية بمدينة طرابلس والتى كانت قائمة منذ عام ١٨٩٨ م فقد أغلقتها سلطات الاحتلال عام ١٩١١ وأعلنت عن افتتاحها مرة أخرى فى عام ١٩١٣ م بعد أن امتدت الى مناهجها وتنظيماتها أيدي الاستعمار الايطالى ، فقد أذاعت سلطات الاحتلال عن اعادة فتح هذه المدرسة بواسطة منشورات مكتوبة باللغتين العربية والايطالية . . يقول أحد هذه المنشورات ما يلى :

تفتح مدرسة الفنون والصنائع الكائنة بطرابلس بتاريخ ١٥ من شهر سبتمبر القادم ١٩١٣ الفرقة الاسلامية للصبيان وهى تحتوى على فروع للصنائع الآتية :

- معمل لنسج الحرير .
- معمل لنسج الصوف والقطن .
- معمل للخياطة .
- معمل للمصنوعات الجلدية .

— معمل للنجارة •
— ورشة للحدادين الميكانيكيين •
— التمرين في فن البناء •
وعلاوة على ذلك فإن المدرسة تعطى الدروس المشروحة أدناه
لجميع الفروع السابق ذكرها بصفة عمومية وهي :

— تعليم اللغة الايطالية والحسابات ومبادئ العلوم المدنية
والوطنية •

— تعليم اللغة العربية وقراءة القرآن الشريف •

— تعليم فن الرسم والموسيقى •

— وتقصد المدرسة بذلك أن تعطى للتلاميذ حقوق التربية
والعلوم المدنية والدينية لجعل عمال ماهرين في الصنائع
السابق ذكرها والتي تضاف عليها فيما بعد مع تقدم الوقت •
— وبعد مرور أربع سنوات تمضى بالمواظبة واكتساب العلوم
تعطى المدرسة شهادة الكفاءة لمن يكون مستحقا لها وتعطى
أيضا شهادة دالة على اتقان الصنعة في نهاية الثلاث سنين
التالية •

— وللدخول في الفرقة الاسلامية للصبيان بمدرسة الفنون
والصنائع الكائنة بطرابلس يلزم اتباع الشروط الآتية :

— أولا : قبول والد التلميذ أو من يقوم مقامه (أى موافقته) •

— ثانيا : يكون التلميذ مسلم الدين •

— ثالثا : تقديم شهادة حسن السلوك •

— رابعا : كشف طبي دال على سلامة البنية •

تحريرا بطرابلس الغرب في ٢١ أغسطس ١٩١٣

الكوميساريو الوزاري : لويجي أندريوني (مهندس) (١)

(١) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس (المعارف) .

سادسا : وأما بالنسبة لاعداد المعلمين فلم يكن من سياسة الاحتلال الايطالى انشاء معاهد لتأدية هذه المهمة ، بل ان دار المعلمين التى وجدت فى بداية القرن العشرين بطرابلس قد اختفت من مسرح النشاط التعليمى فى ليبيا تحت الاحتلال الايطالى لان الاستعمار الايطالى لم يكن ليثق بالمعلم العربى ولادراك السلطات المحتلة بخطورة وظيفة المعلم ، ولذلك فقد كان يتوفر فى كل مدرسة معلم ايطالى يساعده معلم عربى يختار من بين الليبيين المتعاونين مع الطليان رغبة أو رهبة .

سابعا : ومع ذلك فقد حاول بعض الوطنيين المخلصين المساهمة فى تعليم أبنائهم فقد وجدت بمدينة طرابلس - مدرستان حرتان - أخذتا تعلمان مبادئ المعارف الحديثة باللغة العربية مع اهتمامهما الزائد بتدريس القراءة والدين والقواعد والنحو والتاريخ ، وهما مدرستا الحزب الوطنى والعرفان وكان أساتذتهما يلقون علومهم غالبا بلا أى مقابل مالى وجلهم من علماء وأدباء البلد من ذوى المكانة المحترمة « (٢) » .

ثامنا : أما للتعليم العالى فقد نصت القوانين الأساسية التى منحتها ايطاليا لاقليمى طرابلس وبرقة على انشاء هذا النوع من التعليم ولكن كيف ينسجم هذا مع السياسة الاستعمارية سياسة طليانة الشعب العربى فى ليبيا ، نعم تنص القوانين على ما نصت لكن عندما يأتى دور التنفيذ تضيق القوانين ونصوصها . . وتوجه سلطات الاستعمار الراغبين فى الاستزادة الى روما ! .

تاسعا : أما تعليم البنات فى ليبيا فقد أحجم الآباء عن تعليم بناتهم بعدما رأوه من وحشية المحتلين وسوء سلوكهم الخلقى الذى يتنافى مع الشرائع الاسلامية والتقاليد العربية ، وقد حاول الايطاليون انشاء

(٢) محمد بن مسعود : كذاك معى فى طرابلس وتونس - ص ١٥٤ .

مدارس لتعليم البنت الليبية . فنصت القوانين الاساسية كذلك على انشاء مدارس تعلم البنات العربيات المسلمات العلوم المنزلية الى جانب العلوم العادية التي تعطى للبنين ، وقد اقترح أن تكون مدة الدراسة بهذه المدارس خمس سنوات ، السنة الأولى اعدادى أو تمهيدى والأربع سنوات التالية دراسة عادية للتعليم العام . وكان هذا التعليم أيضا مجرد نصوص قوانين لم تر النور .

ثانيا - المدارس العربية - الايطالية :

يختلف هذا النوع من المدارس عن النوع السابق المماثل في أنه يقبل تلاميذ من الليبيين والايطاليين على السواء ، وهى فكرة استعمارية قصد بها التأثير في المواطنين العرب عن طريق اختلاط أبناءهم مع أبناء الايطاليين فى مدرسة واحدة ، وجاء انشاء هذا النوع من المدارس كمرحلة تدريجية لجذب التلاميذ العرب الى التزود من الثقافة الايطالية ، ولتعليم التلاميذ الايطاليين اللغة العربية تعليما يساعدهم على فهم ظروف البلاد وأحوالها وبالتالي يمكنهم من الاختلاط مع زملائهم العرب والتأثير فيهم .

وكانت هذه المدارس توازى المرحلة الابتدائية التى أوجدها الايطاليون للتلاميذ العرب فقط . . . وذلك أن مدة الدراسة بها كانت خمس سنوات . « وكما فعل الأتراك من قبل جعلت ادارة هذه المدارس للايطاليين وتدرسي مبادئ العلوم العصرية بلغتهم واختص فيها المعلمون العرب بتدرسي الأوليات من أصول لغتهم ودينهم » (١) لأبناء البلاد فقط . . . وكانت المواد الدراسية المقررة فى هذه المدرسة تشمل القرآن الكريم واللغة العربية - لأبناء العرب يتم تعليمهم القرآن الكريم والدين الاسلامى - وبقية المواد تدرس باللغة الايطالية وهذه المواد هى : « اللغة الايطالية ، الرياضيات وتشمل العمليات الحسابية والنظام المترى ، والمعلومات العامة ، وبعض المعلومات عن ايطاليا وليبيا ، والرسم والكتابة والزراعة والأعمال اليدوية ، والثقافة الطبيعية » (٢) .

(١) محمد بن مسعود : المصدر السابق ص ١٥٣ .

(2) Annual Report of the U.N. Comn:issioner in Libya, P. 88.

وواضح من دراسة هذه المواد الدراسية السياسية الاستعمارية التي تهدف الى طليئة المواطنين العرب واظهار التمدن الايطالى وأخذهم بأساليب العلم الحديث •• وهم بذلك يسعون الى اقتناع الليبيين بالتفوق الايطالى وأنه يجب عليهم - على اللييين - الخضوع ليستفيدوا من هذا التقدم « وأن يفخروا ويثقوا بدولتهم الجديدة - ايطاليا - كما يتعلمون لغتها تعليما جيدا » (١) ، الا أن هذا النوع من المدارس الذى تقرر انشاؤه فى المدن الكبيرة مثل طرابلس وبنغازى لم يجد التشجيع الكافى من قبل المواطنين اللييين ولهذا سرعان ما اختفى بصورته التى قررت له من قبل سلطات الاحتلال •

ثالثا - المدارس الايطالية :

وجدت المدارس الايطالية فى ليبيا قبل الغزو الايطالى للبلاد بزمن طويل ، وذلك لتعليم أبناء الجالية الايطالية التى توافدت على البلاد بأعداد متزايدة منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين • ومن الطبيعى أن تستمر هذه المدارس بعد وقوع الاحتلال بل وأن تتدعم وكانت هذه المدارس تسير على نفس النسق المتبع فى المدارس الموجودة بايطاليا • وقد أقر المرسوم الملكى رقم ٥٦ بتاريخ ١٥ يناير ١٩١٤ م (٢) تنظيم المدارس ذات النسق الايطالى • وقد تمثل نظام التعليم بمراحله ذات النسق الايطالى فى المدارس التالية :

- (١) مدارس رياض الأطفال •
- (٢) مدارس ابتدائية •
- (٣) مدارس ثانوية وفنية •

أما مدارس رياض الأطفال فكانت تضم تلاميذها من سن ٣ الى سن ٦ سنوات ولم يكن لهذه المدارس منهج موضوع الا أن المعلمات اللائى كن يقمن بالاشراف على تربية الأطفال بهذه المدارس كن يتبعن الطرق التربوية التى ابتدعتها الدكتورة الايطالية المعروفة فى عالم التربية - ماريا منتسورى

(١) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948) P. 17.

(٢) دار المحفوظات التاريخية بطرابلس •

الى جانب طريقة العالم الألماني فروبل صاحب رياض الأطفال • ولم يكن هذا غريبا لأن الأطفال يحملون الجنسية الإيطالية ، وكان عدد هذه المدارس في ليبيا عام ١٩٢١ ثلاثا بطرابلس ، وواحدة في بنغازى وواحدة في درنة •

وكانت المدارس الابتدائية هي الأخرى صورة من مثلتها في إيطاليا وكان يلتحق بها الأطفال من سن ٦ الى ١٠ سنوات • أى أنه لا يلتحق بها الا كل طفل كان عمره ست سنوات حتى ولو لم يكن قد انتظم في رياض الأطفال وكانت مدة الدراسة بهذه المدارس خمس سنوات (مع ملاحظة أن المدارس الابتدائية العربية والمدارس الابتدائية العربية الإيطالية كانت مدة الدراسة بها أيضا خمس سنوات ؟) • وتنقسم فترة الدراسة الى قسمين : القسم الأول ومدة الدراسة به ثلاث سنوات ، والقسم الثانى ومدة الدراسة به سنتان دراستان فقط • والسبب في ذلك أن بعض الأطفال كان يكتفى بدراسة القسم الأول فقط ليتفرغ للمساعدة في المنزل أو كسب المال لزيادة دخل الأسرة ولذلك كانت المدرسة تعطى شهادة لمن ينجح بعد انتهاء القسم الأول وكان المعلم يعمل بنظام معلم الفصل أى يبدأ مع فصل بالسنة الأولى ويستمر معه سنة بعد أخرى حتى نهاية السنة الخامسة ، ثم يبدأ ثانية مع مجموعة أخرى من التلاميذ في السنة الأولى •

وكان عدد المدارس الابتدائية الإيطالية في العام الدراسى ١٩٢٠/١٩٢١ كما يلي :

(١) في طرابلس : ٧ مدارس ابتدائية : مدرستان للبنين ، ومدرستان للبنات وثلاث مدارس مختلطة •

(٢) في بنغازى : ٣ مدارس ابتدائية : مدرسة للبنين ، وأخرى للبنات، وثلاثة مختلطة •

(٣) في درنة : مدرسة واحدة مختلطة « (١) •

وكان المنهج بهذه المدارس هو نفس المنهج المطبق في مثلتها بإيطاليا وليس به تغيير يذكر ، مع العلم بأن هذه المدارس كانت تسمح لبعض العرب المتصقين بسلطات الاحتلال والمشيعين للثقافة الإيطالية كما كانت تسمح لليهود بدخول هذه المدارس الابتدائية ولرياض الأطفال أيضا وان كانت الأعداد التي سجلت بهذه المدارس من العرب واليهود في هذه الفترة لا تكاد تذكر .

وبالنسبة للمدارس الثانوية والفنية فلم تكن موجودة بطرابلس حتى نهاية الحرب العالمية الأولى تقريبا لأن الآباء الإيطاليين الذين كانوا يعيشون في ليبيا كانوا يرسلون أبناءهم لاستكمال تعليمهم الثانوي والفني والعالي في إيطاليا ذاتها ولكن مرسوما ملكيا برقم ٢١٥٥ في ١٦ فبراير عام ١٩١٧ م صدر بتأسيس أول مدرسة ثانوية - وكانت فنية في ليبيا بمدينة طرابلس - ثم تلتها مدرسة في بنغازي . ومدة الدراسة بها خمس سنوات : « كانت السنوات الثلاث الأولى اعدادية أو تمهيدية والسنتان الأخيرتين للتدريب الفنى والمهنى وكانت الدبلوما التى تعطى فى نهاية التدريب الفنى والمهنى تسمح للطالب بدخول الصف الثالث فى المعاهد الفنية والتجارية بالمملكة - إيطاليا - التى تحتاج الى امتحانات قبول ، ومنذ عام ١٩٢١ م أصبح فى استطاعة الطلاب الحاصلين على الدبلوم الفنى والتجارى من طرابلس دخول جامعة بوكوني Bocconi University بميلانو » (١) .

ولم يكن هذا التعليم الثانوى الفنى فقط هو الموجود بطرابلس وانما تم أيضا انشاء قسم للتربية الرياضية جمنيزيوم Gymnasium وكان هناك قسم مماثل فى بنغازى كذلك . وكان الهدف من جعل هذه المدرسة الثانوية تجارية فنية هو أن سلطات الاحتلال رأت أن ليبيا تحتاج فى تمجيرها من قبل الإيطاليين الى ذوى المهن الفنية ولذلك وجدت هذه المدارس التى كان يدخلها أبناء الإيطاليين وان كانت سلطات الاحتلال سمحت لبعض الطلاب العرب واليهود بدخول هذه المدرسة « ولم يكن هذا التعليم

(1) Ibid, P. 92.

اجباريا ولكنه لم يكن حرا تماما - حيث يتحتم دخول طلاب من أبناء
الجمالية الايطالية بما يكفي لتنفيذ السياسة الاستعمارية الايطالية -
وكان على التلميذ قبل التحاقه بهذه المدرسة اجتياز امتحان قبول « (١) »
وكان الهدف من هذه المدرسة تخريج فنيين وتجاريين عمليين للسيطرة على
الناحية الاقتصادية في البلاد .

وبعد أن استعرضنا المدارس العربية والمدارس الايطالية في ليبيا أمامنا
الآن احصائية عن عدد التلاميذ وتطورهم ابتداء من العام الدراسي ١٩١١م
وهو العام الذي دخل فيه الطليان الاراضى الليبية الى العام الدراسي
١٩٢١ م « (٢) » .

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania, (1948) P. 21.

(2) Ibid, P. 21.

أنواع المدارس	١٩٢١	١٩٢٠	١٩١٩	١٩١٨	١٩١٧	١٩١٦	١٩١٥	١٩١٤	١٩١٣	١٩١٢	١٩١١
المدارس الإيطالية الابتدائية	٢٣٦٣	٢٣١٩	٢٣٦٨	٢٢٦٦	٢٠٧٦	٢٢٣١	٢١٣٧	١١٤٧	١٧٢١	١٩٠٨	٣٧٣
المدارس الابتدائية العربية	٦١١	٥٧١	٥٥٨	٧٧٩	٥٠٦	٤٢٢	٢٨٧	٧٢٥	١٠٣١	٣١٣	٩٩
المدارس التجارية والفنية	٢٤٣	٢١٥	١٩٧	١٧٩	١٨٦	١٨٣	١٥٩	١٢٤	١١٥	١٠٧	١١٩
المدارس الثانوية	٣٤٢	٣٤٢	٢٨٥	٢٨٩	٢٢٦	٢١٥	٢٠١	٢٢٦	١٣٤	٩٩	٥٤
مجموع التلاميذ	٣٥٥٩	٣٤٤٦	٣٣٠٨	٣٢٧٣	٢٩٩٤	٣٠٥١	٢٧٨٤	٣٠٢٢	٣٠٠١	٢٤٢٧	٦٤٥

ومن هذه الاحصائية يتضح ما يأتي :

أولا : التوسع في المدارس الابتدائية الايطالية توسعا دلت عليه الأعداد المتزايدة من التلاميذ الايطاليين ، مما يدل من ناحية أخرى على ازدياد أعداد الايطاليين الوافدين على ليبيا سنة بعد أخرى •

ثانيا : قلة عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية العربية بل عدم تزايد أعدادهم تدريجيا بمرور السنوات مما يؤكد أن مقاومة الليبيين للغزو الايطالي كان لها أثرها في انتظام أبنائهم بالمدارس التي أنشأها لهم الاستعمار الايطالي •

ثالثا : توفير فرص التعليم الثانوي والفضى أمام الطلاب الايطاليين المقيمين بليبيا وأيضا أمام الطلاب اليهود وحرمان الطلاب الليبيين من هذا التعليم ، ولا يعنى دخول بعض الطلاب - وهم عدد قليل - من أبناء الليبيين المتصقين بسلطات الاحتلال أن باب المدارس الثانوية والفنية مفتوح أمام جميع الطلاب العرب •

وفيما يلي احصائية توضح عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس الثانوية والفنية من الايطاليين في ليبيا (١) •

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 91.

العام الدراسي	المدرسة الفنية والتجارية	الجمينيزيوم	توضيحات متصلة بالجمينيزيوم
١٩١١ — ١٩١٢	٥٤	—	
١٩١٢ — ١٩١٣	٩٩	—	
١٩١٣ — ١٩١٤	١٥٤	١٩	
١٩١٤ — ١٩١٥	١٨٨	٣٨	الصفان الأول والثاني مرتبطان بالمدرسة الفنية
١٩١٥ — ١٩١٦	١٧٣	٢٨	» »
١٩١٦ — ١٩١٧	١٩١	٢٤	» »
١٩١٧ — ١٩١٨	٢٢٩	٣٧	فصول الجمينيزيوم الدنيا صارت قسما مستقلا
١٩١٨ — ١٩١٩	١٩٥	٥٤	» »
١٩١٩ — ١٩٢٠	٢١٦	٦٩	قسم خاص مستقل من خمسة صفوف
١٩٢٠ — ١٩٢١	٢٧٠	٧١	»
١٩٢١ — ١٩٢٢	٢٧١	٧٦	»

وبمناقشة هذه الاحصائية يمكن أن نصل الى الحقائق التالية :

(١) تزايد أعداد الطلاب سنة بعد أخرى نتيجة لتزايد المعمرين الايطاليين الذين يأتون أفواجا الى ليبيا ، ونظرا لحاجة البلاد الى الفنيين الذين خطط لهم السيطرة على النشاط الاقتصادي والأعمال الفنية في البلاد .

(٢) بدأ قبول الطلاب في فصول الجمينيزيوم في العام الدراسي ١٩١٣/١٩١٤ م حيث تأسس صف أول ، ثم توالى انشاء الصفوف حتى

العام الدراسي ١٩١٧/١٩١٨ م حيث أصبح الجمنيزيوم معهدا مستقلا
ذا ثلاثة صفوف الى أن كان العام الدراسي ١٩١٩/١٩٢٠ م اكتمل
عدد صفوف المعهد لتصبح خمسة صفوف .

رابعا - مدارس اليهود والبعثات التبشيرية الكاثوليكية :

استمرت مدارس اليهود في أداء رسالتها التعليمية لأبناء الطائفة
اليهودية تلك المدارس التي مارست هذه الرسالة في العهد العثماني
بليبيا ولم تضع سلطات الاحتلال الايطالي أية قيود على هذه المدارس فيما
عدا الاغراءات التي وضعتها السلطات الايطالية أمام اليهود للاحاق
أبنائهم في المدارس التي أنشأتها هذه السلطات وقد رأينا انخراط جماعات
من الطلبة اليهود بالمدارس الثانوية الفنية والتجارية لأن اليهود يتفقون
مع المستعمرين في ادراك أهمية النواحي الفنية والاقتصادية في السيطرة
على مقدرات الأمور في البلاد الى جانب أن السلطات الايطالية « عينت
بعض حاخامات اليهود في المدارس الايطالية لتعليم اللغة العبرية والدين
الموسوى لأبناء اليهود الذين لا يلتحقون بمدارس التلمود » (١) .

وكان عدد تلاميذ المدارس اليهودية في ليبيا في العام الدراسي

١٩٢١ — ١٩٢٢ م على النحو الآتي :

(١) بطرابلس ١٢٦٦ تلميذا وتلميذة .

(٢) في برقة ٢١٨ تلميذا وتلميذة .

الجملة ١٤٨٤ تلميذا وتلميذة .

وكان توزيعهم بالنسبة للبنين والبنات كالاتي :

(١) عدد ١٢١٢ تلميذا من البنين .

(٢) عدد ٢٧٢ تلميذة من البنات .

ومن هذا يتضح اهتمام اليهود — شأنهم في ذلك شأن الايطاليين —
بتعليم بناتهم ، كما يتضح من عدد التلاميذ اليهود الذين ينتظمون في

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 90.

المدارس اليهودية والمدارس الايطالية ، وهو العدد الذى يشكل نسبة لا بأس بها اذا قورنت بعدد أفراد الجالية أو الطائفة اليهودية المقيمة فى ليبيا ، كما يتضح كذلك اهتمام اليهود بالتعليم من عدد المدارس التى أنشأوها لتعليم أبنائهم فى أنحاء متفرقة من البلاد .

وكان عدد المدارس اليهودية القائمة بالعملية التعليمية فى ليبيا فى العام الدراسى ١٩٢١/١٩٢٢ كما يلى :

(أ) فى طرابلس (الاقليم) : توجد مدرسة واحدة فى كل من :

- ١) طرابلس « المدينة » مدرسة ذات عشرة فصول دراسية .
- ٢) طرابلس سوق الجمعة : مدرسة .
- ٣) طرابلس تاجوراء : مدرسة .
- ٤) الخمس : مدرسة .
- ٥) زليطن : مدرسة .
- ٦) مصراته : مدرسة .
- ٧) سرت : مدرسة .
- ٨) زوارة : مدرسة .
- ٩) الزاوية : مدرسة .
- ١٠) جنزور : مدرسة .
- ١١) تجرنة : مدرسة .
- ١٢) يفرن : ثلاث مدارس .

(ب) فى برقة : توجد مدرسة واحدة فى كل من :

- ١) بنغازى : مدرسة .
- ٢) درنة : مدرسة .

ومن هذه الاحصائية لعدد المدارس اليهودية يلاحظ أنها تركزت فى أهم المدن الليبية وكلها تقريبا — فيما عدا اثنتين — تقع على الساحل الطويل الممتد من حدود تونس غربا الى حدود مصر شرقا . وكان وجود

هذه المدارس في هذه المدن دليلا على توزيع الطائفة اليهودية في ليبيا لمباشرة التسلط على شئون البلاد الاقتصادية وممارسة الضغط على الناس بهذه الوسيلة •

أما مدارس البعثات التبشيرية الكاثوليكية فقد استمرت أيضا منذ انشائها في أيام الحكم العثماني لليبيا تمارس نشاطها بل زادت من هذا النشاط في العهد الايطالي حيث ساهمت بدور فعال في مساعدة الغزو الايطالي على دخول البلاد وتهيئة بعض الأذهان لقبول فكرة السيطرة الايطالية على البلاد ولذلك فقد كافأتها السلطات الاستعمارية الايطالية بامدادها بمساعدات مالية الى جانب الهبات المالية التي تصل لهذه المدارس من الهيئات والأفراد الأوروبيين ذوى الميول الاستعمارية • وكانت هذه المدارس تدار بواسطة رهبان وراهبات وينتظم بها أبناء الجاليات الأجنبية مثل الايطاليين والفرنسيين والانجليز المقيمين بالبلاد وكانت مناهجها تشبه شيئا كبيرا تلك المطبقة في المدارس الايطالية الى جانب أن سنوات الدراسة بها تتساوى مع هذه المدارس كذلك ••

« وخلال العام الدراسى ١٩٢١ — ١٩٢٢ وجدت هذه المدارس في المدن الآتية :

أ — في طرابلس :

- ١) مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للبعثة التبشيرية الكاثوليكية وتدار بواسطة اخوان المدارس المسيحية •
- ٢) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للبعثة التبشيرية الكاثوليكية وتدار بواسطة أخوات القديس يوسف •
- ٣) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة لمجلس البعثات التبشيرية وتدار بواسطة الأخوات الفرنسيسكانيات •

ب — في الخمس :

- ١) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة لمجلس البعثات التبشيرية الوطنى وتدار بواسطة الأخوات الفرنسيسكانيات •

ج — في بنغازى :

- (١) مدرسة ابتدائية للبنين تابعة للمقر البابوى وتدار بواسطة اخوان المدارس المسيحية .
- (٢) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للمقر البابوى وتدار بواسطة أخوات القديسة افرىا Ivrea .

د — في درنة :

- (١) مدرسة ابتدائية للبنات تابعة للمجلس التبشيرى تدار بواسطة الأخوات الفرنسكانيات .
- (٢) روضة أطفال تابعة للمجلس التبشيرى تدار بواسطة الأخوات الفرنسكانيات « (١) » .

ومن هذه الاحصائية التى توضح توزيع المدارس التابعة للبعثات التبشيرية يمكن أن تتبين بعض الأمور التى تدل على فلسفة هذه المدارس التعليمية المرتبطة الى حد كبير بفلسفتها الاستعمارية الصليبية التى تمارسها فى كثير من البلاد الاسلامية والأفريقية .. وهذه الأمور هى : —

أولا : توزيع هذه المدارس فى أهم المدن الليبية دليل على تمركز الجاليات الأجنبية بهذه المدن الهامة التى يوجد بها أيضا أكبر تجمعات للسكان الوطنيين الليبيين وبذلك تضمن التأثير فى هذه التجمعات السكانية بما يخدم الأهداف الاستعمارية والصليبية التى تعمل هذه المدارس على تحقيقها حيثما وجدت .

ثانيا : لم تقتصر مهمة هذه المدارس على التعليم فقط ولكنها لى تجذب الوطنيين الليبيين ألحقت بكل مدرسة قسما طبيا لعلاج المرضى مجانا ، وقسما لتعليم البنات الخياطة والتطريز . وهذه الأقسام كانت تستهوى البنات الوطنيات كما كانت معاملة الراهبات الرقيقة — عن قصد — تسهم فى اجتذابهن ..

(1) Ibid, P. 92.

ثالثا : لا تقتصر هذه المدارس على قبول أبناء الجاليات الأوروبية الأجنبية فقط وانما كانت تشجع المواطنين على الحاق أبنائهم وبناتهم بهذه المدارس من باب التأثير في الآباء والأمهات عن طريق أبنائهم وبناتهم تأثيرا استعماريا وللأسف فقد تأثر البعض بالفعل تأثيرا مضادا للروح الوطنية ومنافيا للأمانى القومية ، فكانوا اما سلبيين أمام الغزو الاستعماري أو عوناه ..

رابعا : كانت هذه المدارس في نظر سلطات الاحتلال الايطالى مدارس دينية خاصة .. بمعنى أنها كانت ذات فلسفة خاصة ترضى عنها هذه السلطات وتدعمها ، ولذلك فقد ساعدتها على أداء رسالتها مساعدات مالية الى جانب عدم تدخل من السلطات في شئون هذه المدارس فلم يعين لها مفتش ايطالى يقوم بمتابعتها كما حدث بالنسبة للكتاتيب والمدارس الابتدائية الخاصة بالمواطنين ..
وفيما يلي جدولان احصائيان للمدارس القائمة في ليبيا خلال العام الدراسى ١٩٢١/١٩٢٢ م على اختلاف أنواعها ومراحلها « (١) »

والجدول الأول يوضح عدد التلاميذ المقيدين بالمدارس على اختلاف أنواعها ومراحلها في اقليم طرابلس في هذا العام الدراسى ١٩٢١ — ١٩٢٢ م

(١) Ibid, P. 93.

الديانات		الجنسيات			المقيدون من التلاميذ		نوع المدرسة		
يهود	مسلمون	مسيحيون	أجانب	ليبيون	إيطاليون	المجموع		بنات	أولاد
٥٨	٣	٢٧٨	٤١	٢٦	٢٧٢	٣٣٩	١٢٠	٢١٩	أ - المدارس الإيطالية
٧٨٩	٣١	٩٦٥	١١٢	٧٤٧	٩٢١	١٦٨٥	٩٣٥	٨٥٥	(١) الثانوية
١٢٨	—	٢٥٨	٧٨	١١٣	١٩٥	٣٨٦	٢٣٣	١٥٣	(٢) الابتدائية
٩٥٧	٣٤	٤٩٦	٢٣١	٨٨٦	١٣٨٨	٢٥٥٥	١٢٨٣	١٢٢٢	(٣) رياض الاطفال المجموع
٥٣	٦٦٨	١٣	١	٧٢١	١٢	٧٣٤	١٣٨	٥٩٦	ب - مدارس العرب :
١٥	٧٥٢	١٥٥٩	٢٣٢	١٦٥٧	١٤٥٥	٣٢٣٩	١٤٢١	١٨١٨	(١) الابتدائية وغيرها المجموع
٧٥	٢٥	٦٩٣	١٧٦	١٢٥	٤٩٢	٧٨٨	٤٦١	٣٢٧	ج - المدارس الحرة :
٧٥	٢٥	٦٩٣	١٧٦	١٢٥	٤٩٢	٧٨٨	٤٦١	٣٢٧	(١) مدارس الارسلالات المجموع
١٢٦٦	—	—	—	١٢٦٦	—	١٢٦٦	٢٧٢	٩٩٤	(٢) المدارس اليهودية
—	٧٩٨	—	—	٧٩٨	—	٧٩٨	—	٧٩٨	(٣) المدارس القرآنية المجموع
١٢٦٦	٧٩٨	—	—	٢٥٦٤	—	٢٥٦٤	٢٧٢	١٧٩٢	

نوع المدرسة	المقيدون من التلاميذ		الجنسيات			الديانات	
	أولاد	بنات	المجموع	إيطاليون	ليبيون	أجانب	مسيحيون
احصاء اجمالي : ١ المدارس العامة (ايطالية وعربية) ٢ مدارس الأرساليات التشيرية ٣ مدارس اليهود والمدارس القرآنية للمسلمين	١٨١٨	١٤٢١	٣٢٣٩	١٤٠٠	١٦٠٧	٢٣٢	١٥٠٩
	٣٢٧	٤٦١	٧٨٨	٤٩٢	١٢٠	١٧٦	٦٩٣
	١٧٩٢	٢٧٢	٢٠٦٤	—	٢٠٦٤	—	—
المجموع العام	٣٩٣٧	٢١٥٤	٦٠٩١	١٨٩٢	٣٧٩١	٤٠٨	٢٢٠٢
	٣٣٦٤	١٥٢٥	٧٩٨	١٢٦٦	٧٠٢	٧٠٢	١٠٢٨
	٧٠	٢٥	٦٩٣	١٧٦	١٢٠	١٧٦	٦٩٣
	١٢٦٦	٧٩٨	٢٠٦٤	—	٢٠٦٤	—	—
	٣٣٦٤	١٥٢٥	٦٠٩١	١٨٩٢	٣٧٩١	٤٠٨	٢٢٠٢

والجدول الثاني يمثل احصائية لأنواع المدارس ومراحلها في برقة
في العام الدراسي ١٩٣١/١٩٣٢ م لعدد التلاميذ في كل نوع ومرحلة :

الديانات	الجنسيات			المقيدون من التلاميذ			نوع المدرسة		
	مسلمون	مسيحيون	أجانب	ليبيون	إيطاليون	الجموع		بنات	أولاد
٦	٩	١٢٠	٩	١٥	١١١	١٣٥	٨٣	٥٢	(أ) المدارس الإيطالية العامة
١٧٨	١٨	٤٤٩	٥١	٣٤	٦٦٥	٧٤٥	٤٥٧	٢٨٨	١ - الثانوية
٣١	—	٨٤	١٤	٣	٩٨	١١٥	٤٦	٦٩	٢ - الابتدائية
٣١٥	٢٧	٦٥٣	٧٤	٥٢	٨٦٩	٩٩٥	٥٨٦	٤٠٩	٣ - رياض الأطفال الجموع
—	٦	—	—	٦	—	٦	٦	—	(ب) المدارس العربية العامة :
—	٥٤٥	—	—	٥٤٥	—	٥٤٥	٤٠٨	١٣٧	١ - الثانوية
٣١٥	٥٧٨	٦٥٣	٧٤	٦٠٣	٨٦٩	١٥٤٦	١٠٠٠	٥٤٦	٢ - الابتدائية الجموع
—	٦٥	٥٧	—	٦٥	٧٥	١٣٢	١٢٢	—	٣- مدرسة الفنون والصنائع الجموع
٣١٥	٦٤٣	٧١٠	٧٤	٦٦٨	٩٤٤	١٦٦٨	١١٢٢	٥٤٦	

الديانات		الجنسيات			المقيدون من التلاميذ			نوع المدرسة	
يهود	مسلمون	مسيحيون	أجانب	ليبيون	إيطاليون	المجموع	بنات		أولاد
١٥	٦	١٩٥	١٦	٦٢	١٣٨	٢١٦	٦٨	١٤٨	١ - مدارس البعثات التبشيرية المجموع
١٥	٦	١٩٥	١٦	٦٢	١٣٨	٢١٦	٦٨	١٤٨	
٢١٨	—	—	—	٢١٨	—	٢١٨	٢١٨	—	٢ - مدارس اليهود (التلمود)
—	٥٨٢	—	—	٥٨٢	—	٥٨٢	٥٨٢	—	٣ - المدارس القرآنية
٢١٨	٥٨٢	—	—	٨٠٠	—	٨٠٠	٨٠٠	—	المجموع

الديانات		الجنسيات			المقيدون من التلاميذ			نوع المدرسة
يهود	مسلمون	مسيحيون	أجانب	ليبيون	إيطاليون	الجموع	أولاد	
٣١٥	٦٤٣	٧١٠	٧٤	٦٦٨	٩٤٤	١٦٦٨	١١٢٢	٥٤٦
١٥	٦	١٩٥	١٦	٦٢	١٣٨	٢١٦	٦٨	١٤٨
٢١٨	٥٨٢	—	—	٨٠٥	—	٨٠٥	٨٠٥	—
٥٤٥	١٣٨١	٩٠٥	٩٥	١٥٣٥	١٠٨٢	٢٦٨٤	١٩٩٥	٦٩٤

وبدراسة هذه الاحصائيات يتبين ما يلي :

أولا : هذه الاحصائيات توضح حالة التعليم في ليبيا من خلال عدد التلاميذ ونوعهم بنين أو بنات ، وجنسياتهم: ايطاليون أو لبييون أو أجانب ودياناتهم : مسيحيون أو مسلمون أو يهود ، وهى بهذا توضح تعليم كل فئة أى كل جنسية ومدى تقدمها أو تأخرها فى التعليم كما توضح مقارنة بين تعليم البنت وتعليم الولد وهل هناك تناسب بين الاثنين • كما توضح ما أصابه أصحاب الديانات من التلاميذ من فرص التعليم المتاحة •

ثانيا : تاريخ هذه الاحصائيات العام الدراسى ١٩٢١/١٩٢٢ أى بعد

مرور عشر سنوات تقريبا على وقوع الغزو الايطالى لليبيا • وبعد اعتراف ايطاليا بحكومة الجمهورية فى طرابلس وبالامارة السنوسية فى برقة ومع ذلك فإن عدد التلاميذ فى المدارس التى هم مقيدون بها لا يسكن أن يقبله منصف يقارن بين التعليم المتاح للوطنيين والتعليم المتاح للأيطاليين أو حتى اليهود •• ويمكن ابداء الملاحظات الآتية على هذه الاعداد فيما يلى :

(أ) بلغ عدد التلاميذ الذين ينتمون الى الجنسية الايطالية ويدرسون فى المدارس الايطالية ثلاثة أضعاف تقريبا زملاءهم العرب فى مدارسهم ، وهذا شئ ملفت النظر اذا قارنا بين عدد الجالية الايطالية وعدد المواطنين الليبيين •• وهذا فى حد ذاته كاف لأن ينفى ويشجب الادعاء الايطالى بأنهم احتلوا ليبيا لتمديد وتعليم الشعب الليبى •

(ب) وحتى عدد التلاميذ اليهود يبلغ ضعف التلاميذ العرب كل فى مدارسهم الخاصة بهم ، وليس معنى هذا عدم اهتمام الليبيين بالتعليم ولكن القيود التى وضعت من قبل السلطات الايطالية منعت الكثير من الليبيين من ارسال أبنائهم الى المدارس التى يشرف عليها الايطاليون

مخافة أن يتأثر ابناءؤهم بالعادات والتقاليد والديانة اللاتي تخالف ما يعتقدو اللييون •

(ج) ان وجود أعداد قليلة من المواطنين العرب ملتحقين بالمدارس الايطالية أو مدارس الارساليات التبشيرية لا يعنى اقتناع اللييين كلهم بأهمية التعليم المتاح فى هذه المدارس ولكن هذه القلة من الأطفال دفع بها آباؤهم الى هذه المدارس رغبة فى نيل مغنم من المستعمر الذى رحب بهم ليسانع على خلق مؤيدين له من قبل الشعب اللييى نفسه بل انه كان يرسل البعض منهم الى روما وغيرها من المدن الايطالية للتأثير على معنوياتهم الوطنية •

(د) ان المدارس الثانوية فى ليبيا كانت لخدمة أبناء وبنات الموظفين المدنيين وضباط الجيش الايطالين لمواصلة تعليمهم فى المستعمرة (ليبيا) دون تحمل نفقات ارسالهم الى الوطن الأم (ايطاليا) وتشجيعا للايطالين على الهجرة والبقاء فى ليبيا •

(هـ) أنشئت مدرسة للفنون والصنائع فى بنغازى فى العام الدراسى ١٩٢٠ بتنظيم جديد يختلف عن فكرة هذه المدرسة الاسلامية التى أنشئت على أساسها فى نهاية القرن التاسع عشر ، وقد أتيح للجميع دخولها ايطاليون أو لييون ، وبلغ عدد تلاميذها فى العام الدراسى ١٩٢١/١٩٢٢ م ١٢٢ - كما جاء بالاحصائية - نصفهم تقريبا من الايطالين •

(و) ان عمل مقارنة بين عدد البنات اللييات المتحقات بالمدارس وبين زميلاتهن الايطاليات واليهوديات يوضح أن أعداد البنات الايطاليات واليهوديات فى مدارسهن يوازى تقريبا عدد الأولاد فى مدارسهم ، بينما عدد الأولاد

الليبيين في مدارسهم ثلاثة أضعاف تقريبا عدد بنات وطنهم ، وهذا يوضح خوف المواطن العربي الليبي على بناته من الخروج الى المدارس في جو يسيطر عليه أبناء الاستعمار وبناته الذين يظهرون من الأخلاق والسلوك ما لا يقبله المواطن العربي المسلم ، وقد استمر هذا الخوف الى سنوات قليلة مضت مترسبا في النفوس ، بل ما زال عالقا بنفوس قلة من المواطنين الى الآن •

ثالثا : بمقارنة المجموع الاجمالي لعدد التلاميذ بين اقليمي طرابلس وبرقة نجد أن عدد التلاميذ المقيدون في جميع المدارس على اختلاف أنواعها ومراحلها في طرابلس هو ٦٠٩١ تلميذا وتلميذة من العرب والايطاليين واليهود والأجانب بينما كان عدد التلاميذ في مدارس برقة بأنواعها ومراحلها المتعددة هو ٢٦٨٤ تلميذا وتلميذة من جميع الجنسيات السابق ذكرها • وليس معنى هذا هو تقدم التعليم في طرابلس عنه في برقة ، ولكن عدد السكان في طرابلس أكثر بكثير مما هو في برقة ، ثم ان الاستعمار الايطالي ركز اهتمامه في استعمار ليبيا عن طريق المعمرين الايطاليين على اقليم طرابلس لقربه أكثر الى ايطاليا ولوجود مساحات صالحة للزراعة فيه أكثر ، هذا الى جانب أن الزوايا السنوسية التي كانت أكثر انتشارا في برقة كانت تمارس نشاطا تعليميا وينضم اليها تلاميذ من كل قبيلة من قبائل برقة حيثما توجد زاوية ، ولم يكن معلوما بالضبط عدد هؤلاء التلاميذ حيث لم تبق سجلات أو مكنتبات هذه الزوايا بعيدة عن عبث قوات الاحتلال الايطالي في اغارتها على مواقع المجاهدين •

وقبل أن نختم هذا الحديث عن التعليم في العصر الايطالي الأول في ليبيا من المفيد أن نسجل هنا بعض الملامح البارزة للسياسة التعليمية في ذلك العصر والتي نسوقها في النقاط التالية : —

أولا : محاولة القضاء على اللغة العربية الى جانب القضاء على

سائر المظاهر الوطنية في القطر الليبي وقد ظهر ذلك في التعليم الذي اتضحت فيه محاولة طمس معالم العروبة في البلاد الى جانب أن الايطاليين كانوا يتخذون بعض الاجراءات التي تظهر استهانتهم بالشعائر الدينية الاسلامية كوضع الصليب على المدارس وعلى الكتب والمكاتب الرسمية . وقد حاول الليبيون في تمسكهم بدينهم وثقافتهم أن يحصلوا من الايطاليين في جميع الاتفاقات التي أبرموها معهم على أن يتعهد الطليان بجعل التعليم في طرابلس وبرقة موضع عنايتهم على أساس احترام لغة البلاد وتقاليدها ، الا أن الطليان جريا على عادتهم في نقض عهودهم سرعان ما صاروا ينشئون المدارس التي عنيت فقط بنشر نوع من الثقافة الايطالية التي تخدم أغراضهم الاستعمارية فحسب وأخذوا يدعون لهذه المدارس تارة بالترغيب ، وبالترهيب تارة أخرى .

ثانيا : كان مديرو المدارس التي أنشأها الطليان ويتعلم بها أبناء الشعب العربي الليبي من الطليان ولم يحصل واحد من الليبيين على منصب مدير مدرسة اطلاقا ، بل لم يقف الأمر عند هذا الحد اذ كان المعلم العربي أقل مرتبة من زميله الطلياني ، حيث كان المعلم العربي مساعدا للمعلم الايطالي فقط ويقوم بتعليم تلاميذه أمور دينهم وقواعد لغتهم العربية تحت مراقبة المعلم الايطالي .

ثالثا : لم يتخصص أى مواطن ليبي في الزراعة الحديثة وهو في بلد زراعى فقد أغلقت المدرسة الزراعية التي كانت قائمة في ضاحية سيدى المصرى بطرابلس ولم تفتح ثانية ، ولم يكن يهتم الايطاليين اعداد مواطنين يتقنون استخدام الآلات الحديثة في الزراعة ، وذلك لأنهم يعتمدون على المعمرين الايطاليين الذين أعطوهم الأرض ليقوموا هم بزراعتها لفائدتهم وفائدة ايطاليا .

رابعا : وحتى مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية التي كانت قائمة بمدينة طرابلس منذ عام ١٨٩٨ أغلقت منذ بداية الغزو الايطالى ثم أعيد افتتاحها في العام الدراسى ١٩١٣/١٩١٤ ولكن على نسق ايطالى يسمح

فيه بدخول أبناء الايطاليين في هذه المدرسة التي أصبحت اللغة الايطالية لغة التعليم بها وتعين لها مهندس ايطالى مديرا على رأسها وقد افتتحت مدرسة مماثلة وعلى نفس النسق في بنغازى في العام الدراسى ١٩١٩ — ١٩٢٠ م . مما أبعده هذه المدرسة عن رسالتها الانسانية الأولى التى أنشئت من أجلها .

خامسا : منع الطليان — الا فى حالات استثنائية نادرة — أبناء المواطنين الليبيين بعد انتهاء تعليمهم بالمدارس الابتدائية التى أنشأها لهم الايطاليون منعوهم من أن يلتحقوا بالمدارس الثانوية التى يجرى التعليم فيها باللغة الايطالية ، وعندما أراد الليبيون أن يستكمل أبناءهم تعليمهم فى مصر أو فى تونس ، حاول الطليان تحويل هؤلاء الأبناء الى روما بتشجيعهم باعطائهم أموالا من الأوقاف الاسلامية طالما يذهبون لتلقى العلم فى أية مدرسة بأية مدينة ايطالية .

سادسا : لم يتوفر لليبيين أى تعليم عال ، فيما عدا معهد الجغبوب التابع للنظام الدينى السنوسى فى برقة ، ولم يكن أمام الراغب فى المزيد من التعليم الأعلى الا التوجه الى مصر أو الى تونس وهو أمر لم يكن سهلا أمام هؤلاء المواطنين بسبب القيود التى كانت تضعها السلطات الايطالية أمامهم مخافة أن يكتسبوا روحا مغنوية عالية تدفعهم الى مناوأة السيطرة الايطالية على البلاد .

سابعا : لم تتوفر مناهج تقوم على أسس تربوية وموضوعية فى المدارس التى يتعلم فيها التلاميذ الليبيون حيث أن المناهج التى تطبق فى هذه المدارس يضعها ايطاليون وتشبه الى حد كبير نفس المناهج التى تطبق فى المدارس الايطالية فى المدن الايطالية نفسها . . ولذلك كان التلميذ الليبى يدرس كل شئ عن ايطاليا قبل أن يعرف شيئا عن وطنه ليبيا ، كما كان يتعلم أن ليبيا مستعمرة ايطالية وكل هذه الاجراءات مقصود منها محو الشخصية العربية لليبيا وطينة أفراد الشعب الليبى .

ثامنا : لم تهتم السلطات الايطالية بالتعليم فى فزان الا فى السنوات الأخيرة للحكم الايطالى وقد تمثل فى بناء عدة مدارس « عام ١٩٣٥ فى براك وجديد وبيرجوين — لم تكن مكتملة البناء ، وفى مرزق — حيث

كانت المدرسة عبارة عن حجرتين صغيرتين قليلتي التهوية والاضاءة • وكانت هذه المدارس تشمل فصلين أحدهما للعرب والآخر للطيان « (١) » وان خضع العرب للتعليم الذى فرضته سلطات الاحتلال الايطالى • ومع ذلك ، وبرغم كل ذلك فقد كانت فرص التعليم المتاحة لأبناء الشعب العربى فى ليبيا فى نظر بعض الايطاليين اسرافا وتدليلا لشعب « المستعمرة » وأن السماح للعرب بأى نشاط تعليمى تساهل غير مقبول • ولذلك لم يكد الحزب الفاشستى يصل الى الحكم فى ايطاليا فى أكتوبر ١٩٢٢ حتى اتبعت سياسة متشددة نحو الشعب العربى فى ليبيا ، تأثرت بها جميع نواحى الحياة فى ليبيا ومنها التعليم الذى أعيدت صياغته ليتفق مع فلسفة الحزب الفاشستى نفسه •

ولا يكتمل الحديث عن التعليم فى العهد الايطالى الأول دون الاشارة الى المدرسة العسكرية التى أنشأها المجاهدون فى ناحية « قصر أحمد » بقرب مصراته عام ١٩١٥ واستمرت حتى عام ١٩٢١ م • وقد « نظمت فيها الدراسة العسكرية لتواجه الحاجة الملحة لتدريب الشباب الوطنى الذى كان يواجه عدوا يقذف الشاطئء بالكتائب والطواير المنظمة والمدربة » (٢) •

وقد استطاعت هذه المدرسة تخريج أعداد لا بأس بها من العسكريين الذين تدرنوا على استعمال الاسلحة والتكتيك العسكرى ، كما ألفت فيها محاضرات ودروس فى فنون القتال ، وكانت مدة الدراسة بها عاما يقضيه الشاب فى التدريب النظرى والعملى « لكن الظروف المحيطة بالبلاد ، ومن أجل الضرورة الملحة ، كانت الأفواج تتخرج بسرعة لتأخذ مكانها فى الميدان العلمى » (٣) •

وكانت المدرسة تقبل طلابها من مختلف الجهات ، سواء من مصراته أو زليطن أو طرابلس أو ترهونة أو مسلاتة أو العزيزية أو النواحي الأربعة أو الجبل وغيرها •

(1) U. N. : General Assembly ... document A/1387, P. 21.

(٢) على مصطفى المصراتى : سعدون البطل الشهيد - ص ٦٨ •

(٣) على مصطفى المصراتى : نفس المصدر - ص ٦٩ •

الفصل الخامس العصر الفاشستي

١٩٢٣ / ١٩٤٣ م

- موقف الفاشست الطليان من الليبين .
- تأكيد اللغة الايطالية والتعليم الايطالى فى ليبيا :
- المدارس القائمة فى هذا العصر :
- مقدمة :
- اولا : المدارس العربية
- ثانيا : مدارس اليهود
- ثالثا : مدارس الارساليات الاجنبية والجاليات الاوروبية .
- رابعا : المدارس ذات الطابع الايطالى

موقف الفاشست الطليان من الليبيين :

استولى الحزب الفاشستى على الحكم فى ايطاليا فى أكتوبر ١٩٢٢ م وقد ساعده على ذلك خروج ايطاليا من الحرب العالمية الأولى منهوكة القوى ولم تنل مغنما استعماريًا كما نالت كل من فرنسا وانجلترا . وكان هذا الحزب الذى ظهر قويا . . . يرغب فى السيطرة على دفة الأمور فى ايطاليا بحجة العمل على وحدة البلاد الايطالية وقوتها واعادة مجد الامبراطورية اللاتينية القديمة وتكوين مستعمرات خارجية أسوة بدول الاستعمار الأوروبية الأخرى مثل انجلترا وفرنسا . وقد اتخذ هذا الحزب حزمة من العصى مربوطة مع فأس شعارا له اشارة للاتحاد والقوة .

وكان يتولى قيادة هذا الحزب جندى سابق بالجيش الايطالى اشترك فى الحرب العالمية الأولى ضد النمسا ، ذلك هو بنيتو موسوليني ، وقد وجد من بين زملائه الجنود موافقة على أفكاره التى وجدت كذلك صدى لها عند الايطاليين الذين يشعرون بمركب النقص لعدم فوز ايطاليا بمغانم استعمارية وقد استطاع موسوليني بهذا التأييد أن يزحف الى العاصمة روما ويسقط الحكومة القائمة ويستصدر من الملك عمانويل الثالث ملك ايطاليا تكليفا بأن يؤلف موسوليني وزارة فاشستية اختص هو برئاستها وظل فى هذا المنصب طيلة حياته وحكم ايطاليا حكما دكتاتوريا .

وما كاد الحكم فى ايطاليا يستقر فى يد الفاشست حتى اتجه صوب ليبيا ليجعل منها مستعمرة ايطالية صرفة باعتبارها — فى نظر الفاشست — امتدادا عضويا لشبه الجزيرة الايطالية وعلى ذلك فان ما أبدته الحكومات الايطالية السابقة من محاولات لاقرار السلام فى ربوع البلاد الليبية انما هو فى نظر الحزب الفاشستى تهاون بل ومهانة لايطاليا وأن السياسة التى يجب اتباعها مع الشعب الليبى هى سياسة الشدة بل والابادة اذا لزم الأمر ليحل بالأرض الليبية خمسة ملايين من الطليان المغامرين أو المدفوعين من الحكومة الايطالية ليعمروا — كما

أعلن آنذاك - الأرض التي تحتاج الى سواعدهم وخبراتهم « (١) ،
وهم يهدفون بذلك الاستيلاء على كل الأراضى القابلة والصالحة للزراعة
من أيدي أصحابها .

وقد ظهر موقف الحزب الفاشستي من الليبيين منذ اليوم الأول
لارتقاء موسوليني منصب رئيس الحكومة الايطالية حيث ألغى كل اتفاق
تم بين ايطاليا والمجاهدين الليبيين واتخذ سياسة عسكرية ترمى الى
الاستيلاء على البلاد الليبية بأجمعها ولم تنته سنة ١٩٢٣ م الا والقوات
الايطالية قد احتلت كل المدن الساحلية وأخذت تتوغل في الداخل وقد
حاول المجاهدون الذين فروا الى فزان أن يقفوا في وجه هذا التوسع
دون جدوى ويمكن اعتبار رحيل بشير السعداوى أحد الزعماء البارزين
في طرابلس - ويمكن اعتبار رحيله عن البلاد في عام ١٩٢٤م نهاية للمقاومة
المسلحة المنظمة ضد السيطرة الايطالية .

وكانت سيطرة ايطاليا على طرابلس بمدنها الساحلية والداخلية
خطوة نحو الاتجاه صوب برقة وفزان لتكملة السيطرة على كل البلاد
الليبية .. ففي برقة حيث كانت الامارة السنوسية تقود الليبيين في
جهادهم ضد الطليان انسحب الأمير محمد ادريس الى مصر تاركا أخاه
محمد الرضا يتولى شئون الحركة السنوسية سياسيا ودينيا والسيد عمر
المختار يتولى قيادة حركة الجهاد المسلح ضد الطليان .

قاد عمر المختار الجهاد ضد الطليان في برقة اعتبارا من عام ١٩٢٤ م
وعمر المختار من قبيلة المنفة وقد ولد بالبطنان بشرق الجبل الأخضر ..
وقد حفظ القرآن الكريم وعلوم الدين في الزوايا والمعاهد السنوسية
حتى وصل الى وظيفة شيخ لزاوية القصور بالجبل الأخضر ومن هنا
جاءت ثقة أمير السنوسية به وتقليده القيادة العسكرية في برقة وقد قام
بها خير قيام حتى آخر حياته ولعل مما يؤيد ذلك أن الكفاح المسلح المنظم
ضد الطليان قد انتهى تقريبا باستشهاد عمر المختار .

(١) محمد مصطفى بازامة : العدوان او الحرب بين ايطاليا وتركيا فى ليبيا
ص ١١٢ .

وجاءت محاولات السلطات الايطالية لتضييق الخناق على قيادة حركة الجهاد في برقة بحصولها على اتفاقية مع الحكومة المصرية عام ١٩٢٥ تقضى بتعديل الحدود بين مصر وليبيا بحيث يسمح هذا التعديل بدخول واحة الجغبوب ضمن الأراضي الليبية ثم احتلال الجغبوب في ٨ فبراير ١٩٢٦ م التي كان كثير من المجاهدين يتخذون منها مركزا لتحركاتهم ضد الطليان كما كانت مخزنا للمؤن والأعتدة الى جانب كونها نقطة اتصال مع مصر *

وكانت خطوة ايطاليا الثانية لتضييق الخناق على مجاهدى برقة وحصرمهم فى منطقة الجبل الأخضر هى محاولة استمالة بعض القبائل المقيمة فى منطقة سرت مثل قبائل المغاربة وقد تم تسليم هذه القبائل للطليان فى سرت واجدايية وقد ساء المجاهدين تسليم المغاربة للطليان الذين لا يرعون الا ولا ذمة ، ثم ان هذا التسليم سيؤمن الطليان من هذه الناحية التى تتوسط البلاد ، الى جانب أن سيطرة الطليان على هذه المنطقة الوسطى قد جعل السيطرة الايطالية تمتد من حدود تونس مع ليبيا غربا الى منطقة الجبل الأخضر شرقا *

وكانت الخطوة التالية من قبل السلطات الايطالية فى سبيل حصر جهاد اقليم برقة وفزان هى سعى القوات الايطالية لاحتلال اقليم فزان وقد تم احتلال واحات زله وجالو وأوجله ومرادة عام ١٩٢٨ بعد حرب شديدة وعنيفة أبلى فيها المجاهدون العرب بلاءا حسنا ، كان على أثرها أن تم تعيين بادوليو واليا على طرابلس وبرقة فى شهر يناير ١٩٢٩ م ليبدأ مفاوضات مع المجاهدين بقيادة عمر المختار استمرت طوال عام ١٩٢٩ م وكان الطليان أثناءها يحاولون بذور التفرقة بين المجاهدين أنفسهم ولما تيقن عمر المختار أن الطليان يكسبون الوقت للإيقاع بين العرب أعلن نداءه المشهور بالجهاد فى ٢٠ أكتوبر ١٩٢٩ م ، واتخذ أسلوب الجهاد فى منطقة الجبل الأخضر شكل حرب العصابات مما أنهك قوى الطليان رغم تفوقهم *

واتجه الطليان الى غزو فزان وقد تم لهم احتلال عاصمة فزان وهى

مدينة مرزق في ٢٤ يناير ١٩٣٠ وغات كبرى المدن الفزائية بعد العاصمة مرزق في ٢٥ فبراير من نفس العام على يد غراسياني، وقد لجأ المجاهدون الذين كانوا يتخذون من فزان مركزا لهم الى واحة الكفرة والى تشاد . وقد أدى احتلال الطليان لفزان الى بزوغ نجم غراسياني مما جعل حكومته تصدر أمرا بتعيينه نائبا للوالى فى برقة ليقوم بانهاء الثورة فى الجبل الأخضر . . .

وصل غراسياني الى بنغازى فى ٢٧ مارس ١٩٣٠ م وأخذ يعد العدة لمواجهة المجاهدين برئاسة شيخهم عمر المختار ، فكان أول اجراء اتبعه هو مد الأسلاك الشائكة على طول الحدود المصرية الليبية من البحر المتوسط ولمسافة ٣٠٠ كيلو متر ليمنع وصول الامدادات الى المجاهدين وليمنع انتقال المجاهدين عبر الحدود بحرية ثم شكل محكمة أسماها المحكمة الطائرة لأنها كانت تستخدم الطائرة فى اتصالاتها لمحكمة المجاهدين واصدار الحكم وتنفيذه فورا ثم تنتقل الى مكان آخر وهكذا .

ولما رأى غراسياني أن العرب يمدون المجاهدين بالموثون والامدادات المختلفة فقد أصدر أمره باعتقال الكثيرين جدا من أبناء الشعب رجالا ونساء وشيوخا وأطفالا دون تفرقة وحشرهم فى معتقلات دون توفير متطلبات المعيشة لهم مما أدى الى هلاك الكثيرين . . . وأتبع ذلك بمصادرة الأراضى والمواشى خوفا من وصول الامدادات للمجاهدين ، مما جعل المجاهدين يشعرون فعلا باحكام الحصار حولهم ومع ذلك استمروا فى كفاحهم المشروع ضد الغاصب .

وقبل أن يوجه غراسياني ضربته ضد المجاهدين بقيادة عمر المختار اتجه رأيه لاحتلال واحة الكفرة التى كان قد لجأ اليها — كما ذكرت — مجاهدو فزان ، وتم له احتلالها فى ٢٤ يناير ١٩٣١ م ومن ثم بدأ غراسياني يسعى الى استدراج المجاهدين ليشتبكوا معه فى معركة مكشوفة ، ولكنه لم يستطع واستمر المجاهدون بقيادة عمر المختار يناوشون القوات الايطالية ويهاجمونها هنا وهناك فى أنحاء الجبل الأخضر

حتى وقع عمر المختار في أسر القوات الإيطالية في ١١ سبتمبر ١٩٣١ م وكان وقوع المختار في الأسر نهاية لما لاقاه الإيطاليون على يدي المجاهدين الذين تحت قيادته من آلام وخسائر ولذلك شعر الطليان بالفرح الغامر لوقوع المختار في أسرهم ومن ثم اتخذت الاجراءات السريعة — بواسطة المحكمة الطائرة — لمحاكمته محاكمة صورية ثم الحكم عليه بالاعدام شنقا ، وتنفيذ الحكم في المختار بعد أيام قليلة من أسره أمام بنى وطنه .

ومن الانصاف للجهاد العربي الليبي القول بأن الجهاد استمر ضد الطليان بعد استشهاد عمر المختار ، ولكنه — أى الجهاد — لم يستمر طويلا حتى توقف نهائيا « ولذلك فيمكن اعتبار عام ١٩٣١ هو عام توقف الجهاد ضد الإيطاليين في ليبيا ، وقد اطمأن الطليان لهذه الحقيقة وأخذوا يعملون على تحقيق الفكرة الفاشستية باعتبار ليبيا مستعمرة وامتدادا طبيعيا للأرض الإيطالية ولذلك تتابعت الاجراءات لتحقيق هذه الفكرة » (١) .

وكان استقدام المعمرين الإيطاليين الى ليبيا هو الشغل الشاغل للفاشست حيث يجب أن تكون ليبيا مصدرا رئيسيا للجنس الإيطالى فى أفريقيا وأن يصبح سكان ليبيا ايطاليين يستولون على الأراضى الزراعية والموارد الصناعية والتجارية فى البلاد . . . وتبعاً لذلك فقد اقترن الوجود الإيطالى فى ليبيا بمحاولات القضاء على الشعب العربى فى ليبيا قضاء نهائيا بالاعدام والتقتيل دون مبرر وبالقاء المسالمين فى غياهب السجون حتى يهلكوا ، وتشريد الأبرياء فاضطر الكثيرون الى الهجرة الى الدول الشقيقة المجاورة وخصوصا مصر وسوريا وتونس .

كما اقترن الوجود الإيطالى فى ليبيا بمصادرة أراضى العرب واجبارهم على التنازل عنها مقابل أثمان اسمية وانشاء المستعمرات

(١) محمد الطيب الاشهب : عمر المختار - ص ٧٦ .

الايطالية وجلب الفلاحين الايطاليين المعروفين باخلاصهم للنظام الفاشستي ، كما فتحت ايطاليا أبواب الهجرة الى ليبيا أمام الايطاليين بصفة عامة وزار موسوليني طرابلس في ١٨ مارس ١٩٣٨ م ووعد الناس وعودا معسولة وتوقع العرب خيرا الا أنهم فوجئوا في أوائل ديسمبر عام ١٩٣٨ بصدور قانون الجنسية الذي يجبر العرب على التجنس بالجنسية الايطالية ، وقد حرم هذا القانون على الليبيين التمتع بالحقوق التي يتمتع بها الايطالي ولكنه — أى القانون — فرض عليهم الواجبات التي تحتمها الجنسية •

ولكن للظلم والقهر نهاية محتومة •• لقد بقيت ايطاليا تفعل ما تشاء في ليبيا ولا تجد من يردعها من الدول الأوروبية الأخرى لأنهم شركاء في الأطماع الاستعمارية بل انه عندما أرادت ايطاليا في عام ١٩٣٤ الاستيلاء على الحبشة لم تجد معارضة كبيرة وقد تم لها احتلال الحبشة عام ١٩٣٥ م مما زاد في غرور الطليان ، وتطلعوا الى الاستيلاء على أرض جديدة في أفريقيا وراودتهم أحلامهم في الاستيلاء على مصر والسودان ليصلوا أملاكهم في الصومال والحبشة بالمستعمرة الليبية فما أن قامت الحرب العالمية الثانية بزعامة ألمانيا ضد الدول الأخرى في أوروبا مثل فرنسا وانجلترا وغيرها حتى ساق الايطاليين أحلامهم فأعلنت ايطاليا الحرب ضد انجلترا وفرنسا في يوم ١٠ يونيو ١٩٤٠ بعد استيلاء الألمان السريع على فرنسا •

كان دخول ايطاليا الحرب في صف ألمانيا سببا في تحول انجلترا من تأييدها السابق لايطاليا وسياستها الاستعمارية في أفريقيا ، فبعد أن كانت تضيق الخناق على الليبيين وعلى تحركاتهم عبر الحدود بحكم أن انجلترا كان لها وجود بمصر — وعلى الامدادات التي كانت ترسل لهم من مصر، أخذت تساهم في تنظيم الليبيين المقيمين في مصر ليشتركوا في الحرب ضد الطليان في بلادهم ليبيا •

والواقع أن الليبيين المهاجرين الى مصر والى سوريا لم ينسوا قضية بلادهم فتأسست في دمشق جمعية من هؤلاء المهاجرين عام ١٩٢٨ م

تحت اسم جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوى • كانت هذه الجمعية تهدف الى توحيد جهود أبناء اقليمى طرابلس وبرقة تحت زعامة واحدة ، وكان رئيس هذه الجمعية المجاهد العربى بشير السعداوى • وأما فى مصر فقد كان بها كثير من المهاجرين وكان يوجد أيضا منذ عام ١٩٢٢ م الأمير محمد ادريس السنوسى • ولما كان معظم زعماء طرابلس بايعوا الأمير على الامارة على اقليمى ليبيا قبل رحيله الى مصر فقد اتفق معظم الزعماء الليبيين ومنهم أعضاء جمعية الدفاع الطرابلسي البرقاوى على تجديد البيعة للأمير ليتولى التحدث باسم الليبيين قاطبة مع الدول الأوروبية وخصوصا انجلترا لتخليص البلاد من الطليان •

وبمبايعة الأمير محمد ادريس السنوسى أميراً على ليبيا ، على أن يتم تعيين هيئة تكون مجلس شورى وعلى خوض غمار الحرب ضد ايطاليا وتعيين هيئة لتجنيد الليبيين فى ٨ أغسطس ١٩٤٠ م بدأت مرحلة جديدة فى تاريخ ليبيا الحديث • حيث اشترك اللييون مع الجيش الانجليزى فى القتال ضد الألمان والطليان الذى انتهى بقهر دول المحور وطرد قواتهم من صحراء مصر الغربية بعد معركة العلمين الفاصلة ولم يأت شهر يناير سنة ١٩٤٣ م الا والأراضى الليبية جميعها قد طهرت تماما من قوات ايطاليا وألمانيا وذلك بعد أن احتل الجيش الثامن — من القوات الانجليزية — اقليمى برقة وطرابلس واحتلت فرنسا اقليم فزان •

وباتهاء الحرب على الأرض الليبية وبخروج الألمان والطليان من ليبيا انتهت فترة عصيبة من تاريخ ليبيا الحديث مع أسوأ استعمار وأبشعه ذلك هو الاستعمار الايطالى الذى كانت أساليبه الاستعمارية فريدة من حيث اباداة الشعب العربى المسلم فى ليبيا ، ومن حيث محو الشخصية العربية الاسلامية للشعب الليبى وصنع الليبين بالصبغة الايطالية •

● تأكيد اللغة الايطالية والتعليم الايطالى فى ليبيا •

جاء استيلاء ايطاليا على الحبشة واعتراف الدول الأوروبية وعصبة الأمم فى جنيف بسويسرا بهذا الاستيلاء دافعا لموسولبنى فأعلن تأسيس الامبراطورية الايطالية وكان من نتائج هذا الاعلان أن ايطاليا اعتبرت

ليبيا ولاية ايطالية صرفة ، ومعنى هذا الاعتبار أن الجنس العربى فى هذه البلاد مصيره للزوال •

وعندما اشتدت مقاومة الليبيين وأدرك الفاشست الطليان أنه لاسبيل الى التغلب على العرب الا باتباع أساليب الابادة « كان القضاء على اللغة العربية لغة الدين ودعامة قومية العرب ثم العمل على تنصير العرب واضعاف الدين والأخلاق من الوسائل التى تذرعوها بها لتحقيق هذه الغاية فأغلقوا الكتاتيب ودور العلم الوطنية وأنشأوا بدلا منها مدارس ايطالية ثم أكثروا من اقامة دور الفحش والدعارة وعملوا على تنصير المسلمين وارغامهم على اعتناق الكاثوليكية » (١) •

ومن مظاهر القضاء على اللغة العربية أن اللغة الوحيدة التى يعترف بها الطليان فى ليبيا فى المعاملات الرسمية وفى علاقات الناس بالسلطات الحاكمة بل وفى معاملة الليبيين مع المعمرين الايطاليين كانت اللغة الايطالية ولذلك كان على الليبيين تعلم اللغة الايطالية وعدم استعمال اللغة العربية حتى فى وجود غير الايطاليين ، وبالإضافة الى ذلك فقد حرم الايطاليون على العرب تأسيس النوادى أو اقامة الاجتماعات وانشاء المطابع وتأسيس الصحف وممارسة التأليف الا بما يمجد الاستعمار الايطالى كما قطعوا كل اتصال بين ليبيا وكل البلاد العربية ومنعوا وصول الصحف والمجلات المصرية الى ليبيا •

وكانت مخالفة هذه السياسة الاستعمارية تؤدى الى التنكيل بالمخالفين كما حدث كثيرا أن أودع السجن كثير من المواطنين الليبيين وجدوا يقرأون كتباً أدبية ودروساً دينية وغيرهم وجدوا يقرأون كتباً للمرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى ، ورغم ذلك فلم يكن اللييون يتوانون عن اظهار شعورهم العربى واتمائهم القومى كما حدث عند عرض فيلم فى دار للسينما بطرابلس وظهرت فى الفيلم سفينة مصرية تحمل العلم المصرى فهلل اللييون وهتفوا مما جعل الايطاليين يشتبكون

(١) د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة - ص ٣٣٣ .

معهم وتتدخل القوات الايطالية لتودع العرب السجنون •

وكان من مظاهر القضاء على اللغة العربية كذلك ، جعل أسماء الشوارع والميادين في المدن الليبية أسماء ايطالية وكتابتها باللغة الايطالية هذا الى جانب أن الطليان كانوا يحولون دون وصول الخطابات الى أصحابها العرب ما دامت هذه غير مكتوبة باللغة الايطالية ، بالاضافة الى أن الطليان كانوا يظهرن احتقارهم للباس العربي ويسئون الى صاحبه ويسخرون منه بل لقد أرغمت سلطات الاحتلال الموظفين الليبيين مهما كانت وظيفتهم قليلة الأهمية على خلع الزي العربي وارتداء الزي الافرنجى •

وأما محاربة السلطات الايطالية للدين الاسلامى فقد اتخذت عدة مظاهر منها محاولات تنصير المسلمين ، واستقدام أعداد كبيرة من المبشرين وانفاق الأموال الكثيرة فى سبيل التبشير بالدين المسيحى ونشر المذهب الكاثوليكى وانشاء الكنائس فى كل المدن الليبية فى الوقت الذى لا يوجد فيه لىبى واحد مسيحى •• كما امتلأت طرابلس وبنغازى بدور الدعارة ووضع الصليب على واجهة المحاكم والمدارس •• بل وأن تصدر الأحكام فى المحاكم الشرعية باسم عمانويل الثالث ملك ايطاليا وتكتب الأحكام الشرعية على ورق مزين برسم الصليب •

وأما بالنسبة للتعليم فقد اتخذ الاستعمار الفاشستى سياسة محاربة التعليم الدينى الوطنى وأن يحل محله تعليم ايطالى مفروض فقد تم اغلاق الزوايا الاسلامية ومصادرة الأوقاف المحبوسة عليها وحاربت السلطات الايطالية الكتابيب والمدارس القرآنية بل حاربوا أيضاً الاتجاهات التى كان يلجأ اليها الليبيون من ارسال أبناءهم للتعليم فى الجامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس •

وجاء تضيق السلطات الايطالية على نشاط الليبين التعليمى ورغبتهم فى الاستزادة من التعليم الدينى فى مصر أو تونس باتخاذ بعض الاجراءات

تمثلت في « انشاء مدرسة اسلامية عليا في طرابلس وحث الناس على الحاق أبنائهم بها ولكن العرب تشككوا فيها وفيما تقدمه لأبنائهم من تعليم خصوصا وأن الايطاليين نصبوا على مدخل هذه المدرسة الاسلامية العليا صليبا كبيرا ، مما جعل الليبيين ينصرفون عنها ويتحايلون لتعليم أبنائهم في الجامع الأزهر بمصر بصفة خاصة » (١) .

وجاء الاجراء الثانى للتضييق على الليبيين المتجهين الى مصر للاستزادة من التعليم أن وضع القنصل الايطالى فى القاهرة رقابة على كل لىبى يفتد الى البلاد بحيث لا يكون له نشاط آخر غير التعليم الدينى فى الجامع الأزهر ، أو أن يتجه الى التعليم المدنى الحديث فى مصر مما قد يساهم فى اندفاع الليبيين القومى ويغيرهم بالجهاد ضد العدو الفاصب فىجاهدون ضده بالدعاية والاعلان أو بالمساهمة المادية فى صفوف المجاهدين من بنى وطنهم عند العودة الى الوطن .

هذا الى جانب أن الايطاليين أنشأوا نظاما تعليميا ايطاليا صرفا فى ليبيا وكان على المواطنين العرب الراغبين فى تعليم أبنائهم الحاق هؤلاء الأبناء فى هذا النوع من التعليم ورغم أن السلطات الايطالية كانت تشجع أبناء العرب على الالتحاق بهذا التعليم وتمنح مكافآت لأبناء العرب الذين يذهبون لاستكمال تعليمهم فى روما — وهذه الأموال من الأوقاف الاسلامية — رغم ذلك ورغم أن التعليم المتاح لأبناء العرب كان قليلا الا أن الليبيين العرب لم يقبلوا على التعليم الايطالى وتشككوا فيه ولم يدخل المدارس الايطالية سوى فئة قليلة تمثل أبناء العرب المتعاونين مع الفاشست أو المخدوعين بوعود الاستعمار الايطالى أو المفتونين بالثقافة الايطالية والتعليم الايطالى .

ولكى تفرى العرب بدخول المدارس الايطالية جهزت السلطات الايطالية هذه المدارس بأحسن الأثاث وكثير من الأجهزة التعليمية الحديثة كأجهزة الاذاعة والخيالة والآلات الموسيقية بينما حرمت المدارس

(١) حسن محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر - ص ١٩٨ .

العربية — الابتدائية التي سمح لها فقط بالبقاء — من مثل هذه التجهيزات •• كما كانت الكتب مصبوغة بالصبغة الفاشستية بينما اقتصر المواد القومية وهى التاريخ والجغرافيا على ما يخص ايطاليا وحدها وهذا شأن كل استعمار ، وكان النظام الفاشستى يتطلب أن يرتدى الطلاب زيا مدرسيا اختاره الفاشست لهم تصرفه المدارس لطلابها الذين كان عليهم الانتظام فى المعسكرات والمنظمات الفاشستية •

وبينما كان هذا النظام التعليمى الذى أوجده الطليان فى ليبيا يعنى فقط بنشر نوع خاص من الثقافة الايطالية كان يتلاءم مع أغراضهم الاستعمارية ، تطلع العرب الى تعليم يرضونه لأبنائهم ولكن المستعمر كان يدعو لنظامه التعليمى بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى ولم يعطوا منصب مدير مدرسة لأى لىبي مهما كان قريبا منهم متعاوننا معهم ، كما أن المعلمين العرب الذين تعاونوا مع السلطات الايطالية وقاموا بتعليم أبناء وطنهم فى المدارس الابتدائية كانوا تحت رقابة زملائهم الايطاليين فكان المعلم العربى فى الدرجة الثانية من حيث المركز الأدبى فى المدرسة بينما كانت لغة التدريس هى اللغة الايطالية وحظر استعمال اللغة العربية •

واقصر وجود المدارس العربية على المدارس الابتدائية التى تشمل خمسة صفوف ولم يكن يتاح تعليم ثانوى أمام أبناء الشعب العربى فى ليبيا فيما عدا المدارس الايطالية الثانوية التى كان يمكن أن يلتحق بها بعض أبناء الموظفين العرب ، ويكفى للتدليل على رغبة الاستعمار فى محاربة التعليم العربى أنه كان فى ليبيا عام ١٩٣٦ عدد ٥٦ مدرسة ابتدائية ولم يكن بينها مدرسة ثانوية واحدة بل وحتى مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية تدخل الاستعمار الفاشستى فى تنظيمها بحيث قصر التعليم فيها على مبادئ القراءة والكتابة باللغة الايطالية والغاء تعليم بعض الحرف والصناعات المفيدة وبيع مطبعة المدرسة وبعض آلاتها لأفراد ايطاليين •

وكل هذه الاجراءات التى قام بها المستعمر الفاشستى فى ليبيا انما هى « حلقة أخرى أضيفت الى سلسلة سيئاته السابقة المتمثلة فى القضاء

على الحركة القومية بشدة واذلال العنصر العربي ومقوماته والاخلال بحق الملكية وكتب الحرية والقضاء على عروبة ليبيا بتربية الجيل الجديد تربية ايطالية • ويكفى أن نستعرض تلك الأناشيد التي كان يتغنى بها التلاميذ في مدارسهم لتقدير حقيقة ما قامت به ايطاليا في ميدان التعليم •

اننا أبناء روما جندها نحن القدامى
قد سعينا الألف عاما ثم عدنا للعهد
لا رجوع لا هويانا في طريق قد بنينا
بحجار ودمانا والورى طرا شهودا « (١)

وهكذا سار التعليم في العهد الفاشستي الذي لم يكن يعنى سوى سياسة طليئة كل ما هو ليبي ، واعتبار الجنس العربي أقل من الجنس الايطالى ، ولذلك جاء نظام التعليم في ليبيا في العهد الفاشستي ترجمة لهذه السياسة •

● المدارس القائمة فى هذا العصر :

سار التعليم فى ليبيا فى ذلك العصر مشعبا بالفاشية فقد امتلأت الكتب المقررة بالمبادئ الفاشية وصور لابسى القمصان السوداء من الرجال والشباب ، وصور زعماء الفاشست وفقرات من أحاديث موسيوليني Mussolini بل كانت مواد الدراسة ذات صبغة فاشية أيضا حتى أن دراسة قواعد اللغة الايطالية كانت تدرس مثلا : أضف صفة للدوتشى Duce كما كانت الجغرافيا تشمل أساسا ايطاليا ومستعمراتها مع اعطاء عناية لألمانيا النازية وأسبانيا ، وتوضيح مشروعات انجلترا وفرنسا الاستعمارية بالمقارنة مع مشروعات ايطاليا • واثبات أن نصيب ايطاليا من المغانم الاستعمارية غير عادل وأنه بقوة الدوتشى ستصبح ايطاليا قادرة على تأسيس امبراطورية مترامية الأطراف ، كما امتلأت كتب التاريخ بتمجيد روما والفاشية •

(١) مصطفى بعيو : فى تاريخ لوبيا - ص ١٢٥ .

والى جانب ذلك فقد اتخذت الحكومة الفاشية اجراء مكملا بالغاء
جميع مؤسسات الكشافة وأحلت محلها نظام حركة الشباب الفاشستي
Gioventu Italiana del Littorio أو G.I.L.

وكانت هذه الحركة تشرف على تدريب الأولاد والبنات تدريبا عسكريا
واقامة المخيمات الصيفية وتنظيم الرحلات للطلاب • ولكن لكي لا تجمع
السلطات الفاشستية بين العرب والايطاليين في منظمة واحدة أنشأت سلطات
الاحتلال الايطالى عام ١٩٣٥ م منظمة الشباب العربى الفاشى
Gioventu Araba del Littorio

تضم الطلاب العرب بطريقة الزامية وتحتم على الطلاب
العرب ارتداء الملابس المميزة للفاشست التى كانت توزع عليهم مجانا كنوع
من الترغيب كما اتبعت وسيلة أخرى لترغيب الطلاب العرب ، ذلك أن
السلطات الايطالية أرسلت الى ايطاليا عام ١٩٣٦ م مجموعة كبيرة من الطلاب
العرب الأعضاء في منظمة الشباب العربى الفاشى لقضاء بضعة أسابيع في
ايطاليا كمحاولة لغرس الروح الفاشية في نفوسهم •

ويمكن القول أن الحكم الفاشستي قد اتبع سياسة جديدة أو بمعنى
آخر صحح السياسة التعليمية السابقة ، اهتم بايجاد تعليم ثانوى «يساعد
البنين والبنات أبناء الموظفين المدنيين الايطاليين - وضباط الجيش لمواصلة
تعليمهم في المستعمرة دون تحمل نفقات ارسالهم الى ايطاليا » (١) •
وبسبب وصول الكثيرين من المعمرين الايطاليين الى البلاد فقد أعدت
سلطات الاحتلال لهم قرى ومزارع مستكملة الخدمات ، فكان بكل قرية
مدرسة مؤثثة وأدواتها ومعلمها معدين فكان طبيعيا أن يزيد عدد تلاميذ
المدارس من ٩٦١١ تلميذا ايطاليا في العام الدراسى ١٩٣٦/١٩٣٧ ليصبحوا
عام ١٩٣٨ م ١٠٦٤٨ تلميذا ثم أصبحوا عام ١٩٣٩ م ١٢٠٤١ تلميذا ايطاليا
هذا بينما كان عدد التلاميذ الطليان عام ١٩٢٤ م هو ٣٠٠٠ تلميذ بينما
كانت مدارس العرب المماثلة - الابتدائية - عام ١٩٢٤ م تضم نحو ١٠٠٠
تلميذ أصبحوا عام ١٩٣٩ م ٦٠٠٠ تلميذ تقريبا •

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948), P. 22.

ومن هذا يتبين التوسع الزائد في المدارس الإيطالية بينما لا تجارها المدارس العربية في التزايد لأن هذا لا يتفق مع سياسة السلطات الفاشية . ويجدر بنا أن نستعرض أنواع التعليم القائمة في ليبيا في العصر الفاشستي على أن نحدد المدارس الجديدة التي عملت السلطات الإيطالية على انشائها في ليبيا .

أولا - المدارس العربية :

لم يطرأ تغيير على التعليم بالنسبة للعرب الليبيين بوجود الفاشست في الحكم خصوصا في السنوات الأولى لاستيلائهم على مقاليد الأمور في إيطاليا ، وبقي التعليم كما كان في العصر الأول للاحتلال الإيطالي . وحالته - كما عرفنا - كانت غير مستقرة بسبب عدم استقرار الأحوال نفسها في البلاد ولكن في عام ١٩٢٢ وصلت الى طرابلس لجنة إيطالية لدراسة التعليم المتاح للمواطنين العرب تهيئة لوضع تخطيط تعليمي جديد يتمشى مع السياسة الاستعمارية الإيطالية ادراكا من الظليان لأهمية التعليم في تدعيم مواقعهم في المستعمرة .

وقد أوضحت هذه الخطة أنها تهدف - كما أوضحها أحد أعضاء اللجنة - الى « أن المدارس كانت من نوع خاص تقوم على تدريب التلميذ العربي على تقدير نفسه وأن يرقى الى مستوى أعلى من العمل وأن يفهم بوضوح الخطة الانسانية التي تعمل إيطاليا على نشرها في أفريقيا » (١) .

وبمعنى واضح أن التعليم لم يكن يهتم بالتراث الثقافي العربي الاسلامي السائد لدى أبناء البلاد وعدم الاهتمام هذا ظهر في عدم المحافظة على هذا التراث بل الذي ظهر هو محاولة القضاء على هذا التراث وتحقيره والاستهانة به . كما لم تعمل السلطات الاستعمارية على تطوير هذا التراث والأخذ بيده في ظل التطورات الحضارية السائدة . بل كان المطلوب من الطالب العربي أن يعتز بأنه خاضع لإيطاليا صاحبة الرسالة الانسانية في أفريقيا !! .

(1) M. Tortonese : Le istituzioni scolastiche in Libia, P. 46.

كما أوضح عضو آخر أهداف الخطة التعليمية الموضوعية بقوله « نحن في المستعمرات في عالم مختلف عن ذلك العالم في إيطاليا - الوطن الأم - فإن السكان مسلمون لهم عاداتهم وتقاليدهم الخاصة التي تمتد خلفهم قرونا من التاريخ وبقيت معاهدهم على فطرتها الأولى ، ولكن من الخطأ تدمير أو الغاء كل هذا بضربة واحدة دون أن نسبب مقاومة ، ولذلك فانه يجب عمل ذلك تدريجيا ، يجب أن نعطي المواطن العربي وسائل تنمية نشاطاته وفي نفس الوقت نشر أفكارنا مع الايحاء بأننا لن نستند على شيء من ماضيه » (١) •

ومن ذلك تتضح حقيقة الأهداف الاستعمارية بالنسبة لتعليم أبناء العرب وهي أهداف ليست بمستغربة من حكم استعماري تسلطى فاشستى ورغم أن هذه اللجنة وضعت تقريرها حول التعليم على هذا النحو وحددت أهدافه فانه لم يأخذ مكانه في التنفيذ • الا « في عام ١٩٢٧ عندما تقرر ترك الكتابات تمارس رسالتها التعليمية مع وجود مفتش وطنى للإشراف على هذه الكتابات وتقرير تلك التي تستحق مكافأة أو اعانة مالية » (٢) من أموال الأوقاف الاسلامية • وبقاء الكتابات وبصفة خاصة في المدن لم يكن رغبة من الطليان في تعليم أبناء الوطن تعليما دينيا ، ولم يكن تساهلا منهم مع العرب أصحاب البلاد ، بل ابقاء الكتابات في التنظيم التعليمى كان « محاولة لتجنب السرعة الزائدة التي تنتج من نقل الطلاب العرب من النظام المدرسى التقليدى في ليبيا الى المدارس ذات النمط الايطالى » (٣) •

واشتمل تنظيم التعليم أيضا على بقاء المدارس الابتدائية ذات الصفوف الخمسة التي كانت موجودة في العصر الايطالى الأول ، وهذه المدارس كانت عبارة عن قسمين : القسم الأول ومدة الدراسة به ثلاث سنوات ••

(1) A. Festa : La scuola Italiana. P. 52.

(2) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948). P. 23.

(3) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 93.

والقسم الثانى ومدة الدراسة به سنتان وكانت اللغة الايطالية تدرس فى كلا القسمين • وكانت خطة الدراسة اليومية تشمل دراسة اللغة الايطالية لمدة ثلاث ساعات واللغة العربية ثلاث ساعات أخرى ، وذلك فى القسم الأول ، أما فى القسم الثانى فقد كان تعليم اللغة الايطالية يستغرق أربع ساعات ، بينما يستغرق تعليم اللغة العربية ساعتين فقط ، يوميا •

وعلى هذا الأساس فقد كانت المدارس الابتدائية - حسب هذا التنظيم التعليمى - هى « نفس المدارس الابتدائية الايطالية العربية - التى أنشئت فى العصر الايطالى الأول - وحدثت بها التغييرات التالية :

- ١) ابعاد الأطفال غير المسلمين •
- ٢) استخدام منهج جديد •
- ٣) تجديد الوسائل التعليمية لتخدم المنهج الجديد •
- ٤) تدعيم هيئة التدريس « (١) » •

وهذه التغييرات التى حدثت للمدارس الابتدائية تتفق مع السياسة الفاشية التى سبق ذكرها والتى عنيت بتعليم اللغة الايطالية من أول صف دراسى أى حين يلتحق الطفل بالمدرسة مباشرة وهذا طبعا على حساب اللغة العربية والدين الاسلامى •

وبالنسبة للتعليم الثانوى كما أوضحته اللجنة فقد عبر عنه أحدهم بقوله « ان موضوع تعليم الوطنيين فى المستعمرة من أكبر الصعوبات التى تواجه القوة - السلطة الايطالية - وهو من الأمور التى يستند اليها المستقبل السياسى للمستعمرة • ويجب على السلطة أن تقر إذا كان من المفيد حكم وطنيين أدنى منهم ، أو اعدادهم لليوم الذى يعاملون فيه كمساوين لهم « (٢) » •

(1) Ibid, P. 93.

(2) A. Piccioli : La rivascita della Tripolitania, P. 36.

وقد حددت خطة التعليم الموضوعة انشاء مدارس ثانوية لأبناء العرب على أن تكون مدة الدراسة بها أربع سنوات : السنتان الأوليان دراسة عامة ، ثم تتفرع الدراسة الى شعبتين في السنتين الأخيرتين شعبة منها لاعداد التجار وأمناء المكتبات والموظفين الصغار العرب ، والشعبة الثانية لاعداد معلمى الكتاتيب ولكن هذه المدارس لم تظهر للوجود • وكان مقررا انشاء مدرسة فى طرابلس وأخرى فى بنغازى وأن تكون مناهجها شديدة الشبه بزميلتها ذات الطابع الايطالى •

كما أن تنظيم التعليم المشار اليه سابقا قد أوضح نوعا جديدا من المدارس لتعليم البنات العربيات عرف باسم مدارس العلوم المنزلية والتربية العامة ، وقد جهزت هذه المدارس بما يكسب البنات العربيات تدريبا عمليا فى الاقتصاد المنزلى والصحة وتفصيل الملابس وصناعة السجاد ، وقد وجدت هذه المدارس فى أنحاء المدن الليبية وكانت عبارة عن فصول قليلة العدد ملحقة ببعض المباني المدرسية ، وكان يقوم بالتعليم فيها راهبات مختارات من قبل السلطات الاستعمارية الفاشستية وكان الاقبال عليها قليلا من بنات المواطنين العرب •

أما التعليم المهنى فقد حدث فيه تغيير أيضا • فقد بقيت مدرسة الفنون والصنائع بطرابلس تمارس نشاطها وأعيد تنظيمها بما يتماشى مع السياسة التعليمية للعصر الفاشستى وذلك عام ١٩٢٥ م فكان الأطفال الذين يلتحقون بها يعطون تعليما ابتدائيا ، ثم يمكثون أربع سنوات فى دراسة برنامج مهنى حيث يمارس كل تلميذ تدريبا فى الحرفة التى يختارها من بين الحرف المتوفرة فى أقسام المدرسة • وكانت أقسام المدرسة على النحو التالى :

- ١) قسم التطريز والديكور •
- ٢) قسم الصباغة والنسيج •
- ٣) قسم النجارة •
- ٤) قسم التجليد •
- ٥) قسم أعمال الفضة والنحاس •

- ٦) قسم الطلاء •
- ٧) قسم البناء •
- ٨) قسم للميكانيكا ويشمل صناعات : صهر المعادن ، الخرابة ، لحام المعادن ، أعمال الميكانيكا للسيارات •

وكانت المدرسة تضم قسما لأبناء الطليان وكانت منتجات هذه المدرسة تباع للمؤسسات والأفراد ، وقد افتتحت المدرسة متجرا للبيع لحسابها ، ومن دخل منتجاتها كان يتم الصرف على المدرسة الى جانب ما كان يخصص لها من بعض أموال الأوقاف الاسلامية •

وشمل التغيير الذى حدث لمدرسة الفنون والصنائع بمدينة طرابلس انشاء قسم زراعى اتخذ مقرا له فى منطقة سيدى المصرى ، وهو نفس المكان الذى كانت تقوم فيه المدرسة الزراعية التى أنشأها الأتراك فى أواخر سنوات حكمهم لليبيا وشملت المدرسة مزرعة مساحتها ٢٠٠ هكتار ، وكان ملحقا بالمزرعة مدرسة ابتدائية يقوم بالعمل فيها معلمان أحدهما عربى والآخر ايطالى وكان على التلاميذ زراعة المزرعة بأنفسهم وكانت هناك أوقاف للصرف على المدرسة الزراعية التى اتخذت من قصر حسونة باشا القره مانلى مسكنا للتلاميذ •

وكانت مدرسة الفنون والصنائع بمدينة بنغازى قد حدد التغيير طريقها وتنظيمها فى اتجاهين الأول يتعلق باعادة تنظيم مدرسة الفنون والصنائع من حيث المنهج وقبول الطلاب بما يتفق مع تنظيم شقيقتها فى طرابلس ، والاتجاه الثانى كان يهدف الى انشاء قسم زراعى أيضا أسوة بما اتبع فى طرابلس • وبالنسبة لتنظيم مدرسة الفنون والصنائع فقد انقسمت الى قسمين : القسم الأول للتلاميذ العرب المسلمين ويهدف الى تعليم هؤلاء التلاميذ الحرف المناسبة لكل منهم وقد وضع البرنامج الخاص بهذا القسم بمعرفة لجنة شكلت لهذا الغرض على نسق مدرسة طرابلس ، أما القسم الثانى فكان للتلاميذ الطليان ولكن المنهج الخاص بهذا القسم كان مشابها لذلك المنهج المتبع فى المدارس الايطالية •

ومن أجل عزل ليبيا عن شقيقتها مصر وتونس واغراء الطلاب الليبيين الراغبين في مزيد من الدراسات الاسلامية في الجامع الأزهر بمصر وجامع الزيتونة بتونس فقد تفتق ذهن المستعمر الفاشستي عن انشاء مدرسة عليا أسماها المدرسة الاسلامية العليا . وقد بدىء في التفكير لانشاء هذه المدرسة « منذ عام ١٩١٤ بعد الاحتلال بثلاث سنوات تقريبا ، ونصت عليها القوانين التعليمية والمراسيم الملكية في أعوام ١٩١٥ ، ١٩٢٢ م ولكنها لم تظهر للوجود ، حتى صدر عام ١٩٣٥ م المرسوم الملكي الايطالى رقم ١٣٦٥ - الصادر في ١٣ مايو ١٩٣٥ بانشاء هذه المدرسة بمدينة طرابلس وقد ظهرت للوجود في العام الدراسي ١٩٣٦/١٩٣٥ » (١) .

ولكنها أغلقت عام ١٩٤٢ م مع نشوب الحرب العالمية الثانية ولأنها لم تجد الاقبال من المواطنين العرب .

وكانت هذه المدرسة ذات مرحلتين : مرحلة اعدادية مدة الدراسة بها ثلاث سنوات ، ومرحلة ثانوية مدة الدراسة بها أربع سنوات وهذه المرحلة الثانوية ذات شعبتين واحدة لاعداد مدرسين للمدارس الابتدائية والشعبة الثانية لاعداد الليبيين للخدمة في الوظائف العامة ، ووظائف القضاء والاقتضاء ، وكانت المرحلة الاعدادية من هذه المدرسة تقبل التلاميذ الحاصلين على دبلوم المدرسة الابتدائية ذات الخمس سنوات ، وأما المرحلة الثانوية بهذه المدرسة فتقبل طلابها من بين الطلاب الذين أنهوا المرحلة الاعدادية بنفس المدرسة بنجاح .

وكانت المواد الدراسية بالمرحلة الاعدادية من المدرسة الاسلامية العليا على النحو الآتي :

- (أ) الدين الاسلامي
- (ب) اللغة العربية
- (ج) المنطق والأخلاق
- (د) اللغة الايطالية

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 97.

(هـ) التاريخ والجغرافيا •

(و) الرياضيات •

(ز) مبادئ العلوم والصحة •

وأما المرحلة الثانوية بهذه المدرسة فالمواد الدراسية بها هي :

أ - الدين الاسلامى : قراءة القرآن الكريم ، التجويد ، التوحيد ،

العقائد ، العبادات ، حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، ديانات أخرى •

ب - لغة عربية : قواعد ، انشاء ، علم البيان ، علم المعانى ، البديع :

نظم الشعر ، العروض والقوافي •

ج - اللغة الايطالية •

د - التاريخ والجغرافيا •

هـ - الرياضيات •

و - مبادئ العلوم والصحة •

وهناك مواد دراسية أخرى خاصة بكل شعبة من شعب هذه المرحلة

فبالنسبة لشعبة اعداد المعلمين يدرس الطلاب مادتي مبادئ الفلسفة ،

وطرق التدريس وبالنسبة لشعبة اعداد الموظفين الليبيين فيدرس الطلاب

مبادئ التشريع الاسلامى ومبادئ الأخلاق •

بعد أن استعرضنا التعليم في العصر الفاشستى والمدارس الجديدة

التي وجدت في هذا العصر فانه يمكن القول بأنه تبعاً للقرار الصادر في

١٩٢٨ م فإن المدارس العامة المتاحة للعرب انقسمت الى قسمين فقط ،

مدارس ابتدائية ومدارس مهنية ، واما الشباب المسلم الراغب في مزيد

من التعليم فيستطيع الالتحاق بالمدارس الثانوية ذات الطابع الايطالى •

وقد استفاد عدد من هؤلاء الطلاب كما هو مبين في الجدول التالى الذى

أخذ من تقرير عن السنوات الخمس الأخيرة للإدارة الايطالية « (١) •

(1) Ibid, P. 98.

السنة الدراسية	عدد التلاميذ المنتظمين فى المدارس الثانوية ذات الطابع الايطالى
١٩٣٦ — ١٩٣٧	٥٢
١٩٣٧ — ١٩٣٨	٥٣
١٩٣٨ — ١٩٣٩	٥٥
١٩٣٩ — ١٩٤٠	٧٧
١٩٤٠ — ١٩٤١	٤٧

ومن هذا الجدول يتبين ضآلة الفرص التعليمية المتاحة للمواطنين العرب فى التعليم الثانوى فقد حرموا من مدارس ثانوية خاصة بهم وترك بعضهم - وليس لجميع المواطنين - باب صغير يدخل منه القليل المدارس الثانوية الايطالية حيث كان يسمح فقط بدخول هذه المدارس للمواطنين الذين يقدمون الولاء للمستعمر وجاءت هذه الأعداد الصغيرة دليلا على أن أغلبية المواطنين - ان لم يكن كلهم تقريبا - استنكف تقديم الولاء للمستعمر الفاشستى ورفضوا التعاون مع هذا المستعمر .

وقد حاول المستعمر الايطالى اجتذاب الشباب العربى فى ليبيا الى تنظيماتهم ، فأنشأوا عام ١٩٣٥ تنظيم الشباب العربى الفاشستى وهو تنظيم مشابه لتنظيم الشباب الايطالى الفاشستى . ورغم أن اعلان وجوده نص على أن الانضمام اليه اختيارى فان جميع الطلاب المقيدىن بالمدارس كان عليهم الانضمام الى هذا التنظيم بل وحتى الشباب الذى لم يكن مقيدا بأية مدرسة كان يتم اغراؤه للانضمام الى هذا التنظيم كاعطائه الرزى دون مقابل وغير ذلك من مميزات لعضو التنظيم « وكان هذا التنظيم ينقسم الى قسمين :

Afta

(١) من سن ١٢ الى ١٥ سنة للصبية .

ثانيا - مدارس اليهود :

استمرت مدارس اليهود التي كانت موجودة في العصر الايطالى الأول استمرت تزاول نشاطها التعليمى لأن اليهود استطاعوا أن يكونوا على وفاق تام مع الايطاليين لدرجة أن أحد الطليان عبر عن وجود اليهود في ليبيا وواجب ايطاليا نحوهم ونحو تعليمهم بقوله : « لقد وجدوا لهم مكانا تحت الشمس وأمسكوا بأنفسهم الحياة الاقتصادية للبلاد .. فماذا يجب أن يكون موقفنا منهم ؟ يجب أن نساعدهم على تكوين جماعة متماسكة » (٢) •

ولذا فقد استمرت مدارس التلمود والمدارس الابتدائية التابعة للمؤتمر الاسرائيلى العالمى تؤدي وظائفها دون تغيير بل دون تدخل من جانب السلطات الايطالية بل وزاد عدد الطلاب اليهود في المدارس ذات الطابع الايطالى سواء كانت ثانوية أو فنية مهنية •

بل لقد سمحت السلطات الايطالية لليهود باشاء معهد فنى خاص بمدينة طرابلس تديره هيئة المجتمع اليهودى بالمدينة لتدريب أبناء اليهود على اكتساب بعض الحرف الفنية التى يستطيعون عن طريقها السيطرة على النواحي الاقتصادية فى البلاد •

كما تأسست فى السنوات الأخيرة من الحكم الايطالى لليبيا مدرسة طبية لعلاج الأطفال المصابين بمرض التراكوما — وهو أحد أمراض العيون التى تنتشر فى البلاد الصحراوية والتى تقع على البحر — وكانت هذه المدرسة تقبل الأطفال المقيدين بالمدارس اليهودية والايطالية فقط بمدينة طرابلس ، كما أنشئ قسم مماثل ملحق بإحدى مدارس اليهود فى بنغازى •

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania 1948, P. 25.

(2) A. Festa : La Scuola Italiana, P. 65.

وفيما يلي احصائية عن عدد مدارس اليهود وأنواعها في ليبيا في العام الدراسي ٣٩/١٩٤٠ م بمجموع ٥٠٤٩ تلميذا .

رياض الاطفال	التلمود	المدارس الابتدائية	المدارس المهنية	المدارس الثانوية	
٢	١٤	١٧	٢	١	اقليم طرابلس
—	٣	٢	—	—	اقليم برقة
٢	١٧	١٩	٢	١	الجملة

ثالثا - مدارس الارساليات الدينية والجاليات الاوروبية :

كذلك استمرت هذه المدارس تؤدي وظيفتها التي وجدت من أجلها في ليبيا ، بل لقد وجدت من التشجيع من قبل سلطات الحكم الايطالي الفاشستي مما زاد من نفوذها وجعل دورها أكثر وضوحا لاتفاق سياستها مع سياسة المستعمر حيث أنهم « مقيدون في المستعمرة وهدفنا — وهذا رأى مسئول ايطالي — كسبهم بالموودة وبالمعاملة الطيبة واعطاؤهم الحرية مع متابعتهم بالدعاية المؤثرة لايضاح أفكارنا لهم » (١) .

اذن اقتصر التغيير الذي طرأ على التعليم في مدارس الارساليات الدينية والجاليات الأوروبية في ليبيا على توفير الحماية لهذا النوع من التعليم واعطائه الفرص الكافية ليمارس نشاطه بشرط أن يسير مع الخط الذي يهدف اليه المستعمر الايطالي من حيث طليئة المواطن العربي ، ونشر الثقافة الايطالية الأوروبية ومحاربة الثقافة العربية الاسلامية كل ذلك من أجل بقاء السيطرة الايطالية الفاشستية على الشعب العربي في ليبيا وأن يتفهم أعضاء الجاليات الأوروبية هذه السياسة ويساعدوا

(1) Ibid, P. 72.

على تنفيذها ولذلك جاءت مدارس الارساليات التبشيرية الكاثوليكية المشبوهة منذ نشأتها في هذا العصر الفاشستي عاملا مساعدا على نشر الأفكار الفاشستية بين المواطنين ، واشتركت معها مدارس الجاليات الأوروبية خصوصا المالمطين والفرنسيين في محاربة التراث الثقافي العربي ونشر الثقافة الأوروبية واغراء المواطنين العرب على الأخذ منها بنصيب •

وفيما يلي جدول بعدد مدارس البعثات التبشيرية والجاليات الأجنبية الموجودة في ليبيا في العام الدراسي ١٩٣٩ — ١٩٤٠ م :

أولا : في طرابلس (الاقليم بما فيها مصراته)

عدد

(١) ٢ مدرسة ابتدائية للبنين يديرها اخوان المدارس المسيحية
٤ مدارس ابتدائية للبنات تديرها الأخوات الفرنسكانيات
وأخوات القديس يوسف •

(٢) ٨ مدارس رياض للأطفال تديرها الأخوات الفرنسكانيات
والأخوات البيض من صقلية وأخوات القديس يوسف •

ثانيا : في برقة (وتشمل بنغازي ودرنة وما حولهما)

عدد

(١) ١ مدرسة ابتدائية للبنين يديرها اخوان المدارس المسيحية •
٢ مدرسة ابتدائية للبنات تديرها الأخوات المسيحيات
الفرنسكانيات

١ مدرسة ابتدائية مختلطة تديرها الأخوات المسيحيات
الفرنسكانيات

٢ مدرسة رياض للأطفال تديرها الأخوات المسيحيات
الفرنسكانيات

(٢) ٢ مدرسة رياض للأطفال تديرها الأخوات الفرنسكانيات •

وهذه المدارس كانت تنقسم الى نوعين : النوع الأول مدارس تشابه في مناهجها ونظمها نفس المدارس الايطالية وهي تشمل مدارس

ابتدائية للبنين والبنات وهذه كانت تجد التأييد والتشجيع من قوى الاستعمار الفاشستي خاصة والأوروبي بصفة عامة ، وكانت سلطات الاحتلال الايطالى فى ليبيا تمدها بالمساعدات المادية ••

والنوع الثانى من هذه المدارس أطلق عليه اسم المدارس الخاصة وهو الذى كان يتبع الى حد كبير الجاليات الأجنبية وخصوصا اليونان والمالطيين وكان يشمل مدارس ابتدائية قليلة العدد ورياضا للأطفال وهذه المدارس كان يعمل بها أيضا راهبات مسيحيات أيضا باعتبار أن ديانة الجاليات الأوروبية الذين يرسلون بأبنائهم الى هذه المدارس هى الديانة المسيحية •

وعلى هذا الأساس فقد كان لكلا النوعين شخصيته الاعتبارية طالما لا تتعارض وظيفته وطبيعة عمله مع سياسة الاحتلال الفاشستي لليبيا ، ولم تتدخل السلطات الايطالية فى شئون هذه المدارس مثلما تدخلت بصورة سافرة فى التعليم العربى الاسلامى لأبناء الشعب العربى فى ليبيا •

رابعا - المدارس ذات الطابع الايطالى :

كانت السياسة الاستعمارية الفاشستية فى الوقت الذى تضيق فيه فرص التعليم العربى أمام أبناء البلاد ، تقوم بفتح الكثير من المدارس ذات الطابع الايطالى أى المماثلة لتلك المدارس العاملة فى ايطاليا ذاتها ، وقد نظم قيام هذه المدارس فى ليبيا المرسوم الملكى رقم ٤٧٢ الصادر فى ٣١ يناير ١٩٢٤ م وقد اقتضت سياسة الاستعمار أن يتعلم أبناء الطليان المقيمين فى ليبيا اللغة العربية وعادات أهل البلاد وذلك يتمشى مع سياسة « العهد الفاشستي التى غيرت النظرة الى سياسة التعليم بحيث أصبح الهدف ليس ايجاد طالب واحد ممتاز فى كل فصل دراسى بل خلق كل طلاب الفصل ممتازين وأن تعليم اللغة العربية لأبنائنا — أبناء الطليان طبعاً — له أهميته حتى لا يظنون طويلا يعتبرون أنفسهم منعزلين عن المجتمع الذى يعيشون فيه » (١) وهذا بقصد التأثير فى أبناء الشعب

(١) Ibid, P. 95.

العربي والعسل على صبغهم بالصبغة الايطالية •

وكانت المدارس الايطالية القائمة في ليبيا في العصر الفاشسنى
تتضمن الأنواع التالية :

(١) مدارس رياض الأطفال •

(٢) المدارس الابتدائية ذات الخمس سنوات الدراسية •

(٣) المدارس الثانوية وهذه كانت تضم أنواع المدارس الآتية :

أ — معهد رياضى باسم معهد داتى اليجرى فى طرابلس
ومصراة وبنغازى •

ب — معهد فنى لتعليم الطلاب بعض الحرف فى طرابلس
وبنغازى ودرنة •

ج — معهد لاعداد معلمى المدارس الابتدائية بمدينة طرابلس •

(٤) المدارس المهنية : حيث توجد مدرسة للتدريب المهنى فى كل من
طرابلس وبنغازى •

وكان تلاميذ المدارس الثانوية يسمح لهم بدخول الجامعات الايطالية
فى ايطاليا ، كما كانت هذه المدارس تحصل على ميزانية سنوية من
السلطات الايطالية فى ليبيا ، كما كانت تزود بمكتبة للمعلمين والطلاب •
وكانت المدارس الايطالية الثانوية أو الابتدائية أو رياض الأطفال تنشأ
تبعاً للزيادة فى عدد الطليان الوافدين على ليبيا ، وعلى هذا فقد كان
عدد المدارس الايطالية فى تزايد مستمر •

وفي العام الدراسي ١٩٣٩ — ١٩٤٠ كانت المدارس الإيطالية القائمة في ليبيا على النحو التالي :

ملاحظات	عدد مدارس تدريب مهني	عدد المدارس الثانوية	عدد المدارس الابتدائية	عدد مدارس رياض الأطفال	
	١	٣	٤٣	٨	(١) ادارة طرابلس طرابلس (٢) ادارة مصراتة
	١	٢	١٢	١	(١) ادارة بنغازي برقة (٢) ادارة درنة
	—	—	١	—	فزان
	٢	٧	٩٣	١١	الجملة

ومن مناقشة هذه الاحصائية عن عدد المدارس الايطالية يتبين ازدياد عدد الطليان في أنحاء البلاد الليبية تمثيا مع السياسة الفاشستية حتى أن « عدد المدارس الابتدائية الايطالية بما فيها مدارس البعثات التبشيرية الكاثوليكية كان عام ١٩٢١ — ١٩٢٢ الدراسي ٢٢ مدرسة فقط ، ارتفع عددها في العام الدراسي ١٩٣٩ — ١٩٤٠ الى ١٢٤ مدرسة وعدد تلاميذها ١٨٧٢١ تلميذا » (١) .

وكان على جميع الطلبة والطالبات الايطاليين الانضمام الى أحد فروع منظمة الشباب الفاشستي Gioventu Italiana del Littorio « التي ظلت تحشو أذهانهم بالمبادئ الفاشية كما تدرب أجسامهم للقتال من أجل الفاشية ولقد تأسست هذه المنظمة في ليبيا عام ١٩٢٥ عقب تأسيسها في ايطاليا مباشرة وكان على جميع البنين والبنات بين سن ٦ الى ٢١ سنة الانضمام اليها » (٢) ليصبحوا أعضاء في فروعها التالية :

- (١) من سن ٦ الى ٨ سنوات منظمة أبناء أو بنات الذئبة
Figli Della Lupa
- (٢) من سن ٨ الى ١٣ سنة للأولاد في منظمة باليلا (نسبة الى أحد الأولاد الطليان الذي تحدى النموسيين عام ١٧٤٦ م) وكان اسمه باليلا
Balilla
- (٣) من سن ٨ الى ١٤ سنة منظمة البنات الصغيرات الايطاليات
Piccole Italiane
- (٤) من سن ١٣ الى سن ١٨ أولاد منظمة الطلائع
Avanguardisti
- (٥) من سن ١٤ الى سن ١٨ بنات منظمة الشابات الايطاليات
Giovane Italiane
- (٦) من سن ١٨ الى سن ٢١ أولاد وبنات منظمة الشباب الفاشستي
Giovane Fascisti

(1) Annual Report of the U.N. Commissioner in Libya, P. 105.

(2) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948), P. 23.

وكان نشاط هذه المنظمات « يشتمل على ما يأتي :

- أ — تدريب الأطفال الايطاليين تدريبا خلقيا وعسكريا وجسميا •
- ب — مراقبة فصول الدراسة بالمدارس ونشر الثقافة الفاشية بالتعاون مع السلطات التعليمية •
- ج — تنظيم معسكرات صيفية ومنازل التعمير أو أى رعاية للمرضى مع تقديم مساعدات مادية ومعنوية للأعضاء •
- د — التدريب على ممارسة القيام بالرحلات وأعمال الكشف والتجوال « (1) •

وقبل أن ننهي حديثنا عن التعليم في ليبيا ابان العهد الفاشستي نسوق بعض الجداول الاحصائية « :

(1) Ibid, P. 23.

أ - تطور عدد المدارس من العام الدراسي ١٩٢٢/٢١ الى العام الدراسي ١٩٣٨/١٩٣٩ م :

ملاحظات	١٩٣٨/١٩٣٩	١٩٣٤/١٩٣٥	١٩٣٠/١٩٣١	١٩٢٦/١٩٢٥	١٩٢٢/١٩٢١	أنواع المدارس
(١) مدرسة اسلامية خاصة	٥ (١)١	٨ —	٥ —	٣ —	١ —	الطليان المدارس العرب النصاروية اليهود
(١) هذه مدارس للتربية المنزلية للبنات معظمها الى جانب مدرستي البنين الزراعية والصناعية	٣ (١)٥ —	٣ (١)٥ —	٢ ١ —	١ — —	١ — —	الطليان المدارس التجارية العرب واليهود والغيبية
	٨	٨	٣	١	١	المجموع

١ - (تابع) تطور عدد المدارس من العام الدراسي ١٩٢٢/٢١ الى العام الدراسي ١٩٣٨/١٩٣٩ م :

ملاحظات	١٩٣٨/١٩٣٩	١٩٣٤/١٩٣٥	١٩٣٠/١٩٣١	١٩٢٥/١٩٢٦	١٩٢١/١٩٢٢	أنواع المدارس
	٧٢	٤٢	٢٤	١٠	٤	الطلّيان
	٦٤	٥٢	٢٤	١٨	٤	حكومية العرب
	٢	٢	٥	٥	٢	اليهود
	٧	٥	٧	٦	٤	المدارس الإستعدادية الطلّيان
	—	—	—	—	—	شبه العرب
	—	—	—	—	—	حكومية اليهود
(١) كتاتيب ومدارس قرآنية	٦	٧	—	—	—	الطلّيان
(٢) مدارس الاتحاد الفرنسي اليهودي والمدارس السريانية والعبرانية	(١)٣٤٨	(١)٥٠٣	(١)٢٦٥	(١)٦٩	(١)٥٢	خاصة العرب
وهي ليست تحت إشراف الحكومة	(٢)١٤	(٢)١٦	١	٢	١	اليهود
	١	١	١	١	—	اليونان

	/١٩٣٨/	/١٩٣٤/	/١٩٣٠/	/١٩٢٥/	/١٩٢١/	
ملاحظات	١٩٣٩	١٩٣٥	١٩٣١	١٩٢٦	١٩٢٢	أنواع المدارس
	٩٣	٦٥	٣٨	٢٠	١٠	الطلّيان
	٤١٨	٥٦٠	٣٠٣	٨٩	٥٦	العرب
	١٦	١٨	٦	٧	٣	المجموع اليهود
	١	١	١	١	—	اليونان
	٥٢٨	٦٤٤	٣٤٨	١١٧	٦٩	المجموع

ومن دراسة هذا الجدول الاحصائي عن عدد المدارس يمكن تسجيل الحقائق التالية :

أولاً : بالنسبة للمدارس الثانوية لم تكن هناك مدرسة واحدة خاصة بالعرب سوى المدرسة الاسلامية بينما وجدت مدارس ثانوية للطلّيان كانت تقبل كل من يتقدم لها من أبناء اليهود وعددا قليلا من العرب المتصلين بالطلّيان .

ثانياً : أما المدارس التجارية والفنية فقد توفرت للطلّيان ، ولم يكن أمام العرب من المدارس التجارية أية فرصة متاحة وكانت المدارس

التجارية متاحة لليهود • أما العرب فقد وجدت مدارس للتربية المنزلية للبنات ومدرستي الفنون والصنائع والمدرستين الزراعيتين الملحقين بهما •

ثالثا : وكانت المدارس الابتدائية تشمل ثلاثة أنواع : الأول هو المدارس التي أقامتها سلطات الاحتلال الايطالى والنوع الثانى المدارس التي كانت تعينها سلطات الحكم الايطالى والنوع الثالث هى المدارس الخاصة بالبعثات التبشيرية والمدارس القرآنية والكتاتيب ومدارس اليهود ومدارس الجاليات الأجنبية وبمقارنة عدد مدارس العرب بعدد مدارس الطليان نجد فرقا واضحا فى صالح الطليان خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار عدد السكان العرب وعدد أفراد الجالية الايطالية فى البلاد •

★ ★ ★

ب — جدول عدد المعلمين في أنواع المدارس المختلفة :

					أنواع المدارس	
١٩٣٨/	١٩٣٤/	١٩٣٠/	١٩٣٥/	١٩٢١/		
١٩٣٩	١٩٣٥	١٩٣١	١٩٣٦	١٩٢٢		
٥٤	٥٦	٤٠	٥٧	٥١	الطليان	المدارس الثانوية
٧	—	—	—	—	العرب	
—	—	—	—	—	اليهود	
٦١	٥٦	٤٠	٥٧	٥١	المجموع	
٤٨	٤٠	٣٦	٥٧	٢٣	الطليان	المدارس التجارية والفنية
١٤	١٠	١٠	١٠	٥	العرب	
—	—	—	—	—	اليهود	
٦٢	٥٠	٤٦	٦٧	٢٨	المجموع	
٤٨٧	٢٧٤	١٥١	٢٠٢	١٢٢	الطليان	مدارس حكومية
١٠٤	٨٠	٥٩	٦٠	٣١	العرب	
—	—	—	—	—	اليهود	المدارس
٢٣	—	—	٢٧	٢٦	الطليان	
—	—	—	—	—	العرب	
—	—	—	—	—	اليهود	
—	—	—	—	—	شبه حكومية	

١٩٣٨/	١٩٣٤/	١٩٣٠/	١٩٢٥/	١٩٢١/	أنواع المدارس
١٩٣٩	١٩٣٥	١٩٣١	١٩٢٦	١٩٢٢	
—	—	—	—	—	مدارس خاصة
—	—	—	—	—	
—	—	—	—	—	
٢	٢	٢	٢	١	
٦١٦	٣٥٦	٢١٢	٢٩١	١٨٠	المجموع
٦١٢	٣٧٠	٢٢٧	٣٣٣	٣٢٢	المجموع
١٢٥	٩٠	٦٩	٧٠	٣٦	
—	—	—	—	—	
٢	٢	٢	٢	١	
٧٣٩	٤٦٢	٢٩٨	٤٠٥	٣٥٩	المجموع

ومن دراسة جدول المعلمين في العهد الفاشستي يمكن أن تتضح الحقائق التالية :

أولا : لم يكن هناك عدد من المعلمين في المدارس الثانوية العربية • وكل ما كان هناك بعض المعلمين الذين عملوا بالمدرسة الاسلامية العليا التي أنشئت في أواخر العهد الفاشستي • بينما يدل عدد المعلمين في المدارس الثانوية الايطالية على سياسة الاحتلال في الاكثار من العنصر الايطالى لاحكام السيطرة على البلاد •

ثانيا : رغم أن الجدول يبين وجود عدد من المعلمين العرب في المدارس التجارية والفنية الا أن هذا العدد غير متكافئ مع عدد المعلمين الايطاليين وبالمثل كذلك المدارس الابتدائية العربية الخاضعة لسلطات الاحتلال • ثم ان المدارس الفنية التي يعمل بها معلمون عرب مقصود بها مدرسة الفنون والصنائع الاسلامية •

ثالثا : لم يسجل الجدول أعداد المعلمين اليهود والمعلمين العرب في الكتاتيب والمدارس القرآنية لعدم توفر البيانات الدقيقة عن عدد هؤلاء وهؤلاء ، كما أن مدارس الارشادات التبشيرية لم يسجل معلموها باعتبارهم رهبانا في الكنائس المسيحية •

ج - جدول عدد التلاميذ :

أنواع المدارس	١٩٢٢/١٩٢١	١٩٢٥/١٩٢٦	١٩٣٠/١٩٣١	١٩٣٤/١٩٣٥	١٩٣٨/١٩٣٩
المجموع	٣٤١	٤٣٣	٤٤٣	٦١٥١	٨١٤١
الطلّيان	٢٧٠	٣٤٢	٣٣٤	٤٤٣١	٨١٣١
المدراس العربية	٦	٧	٥	٢٠	٣٤١
التفانوية اليهودية	٤٤	٩٣	٨١	٤٤	٤٤
المدراس التجارية والفنية	٤٥	٥٣	٨١١	١١٣	١٧٨
المجموع	٨٤١	٨٤٣	٤٤٣	٤٤٣	٤٤٣

ج - (تابع) جدول عدد التلاميذ :

أنواع المدارس	١٩٢٢/١٩٢١	١٩٢٦/١٩٢٥	١٩٣١/١٩٣٠	١٩٣٥/١٩٣٤	١٩٣٩/١٩٣٨
الطلّيان	١٦٢١	١٦٢٢	٢٩٢٤	٤٦٦٥	٦٤٢٦
المدارس العرب	٦١١	١٤٢٦	٣٩٠٠	٧١٧٥	٦٧٣٦
الحكومية اليهود	٧٤٢	١٥٤٨	٢١٣٦	١٣٧١	٣٩٩٨
المدارس الابتدائية شبه الحكومية	٢٣٧	٧١٥	٩٢١	٧٤٠	١٧٦
الطلّيان	—	٢٢	٣٣	٢٢	١٨
العرب	—	٦٩	٧٥	٤٣	٣٣
اليهود	—	—	—	—	—
الطلّيان	—	—	—	—	—
العرب	١٧٩٢	٥٥٧٠	٥٥٥٥	٣٤٧٦	٧٩٧٣
اليهود	٢٢٠	١٢١١	١٧٦	٧٥٧١	١٣٠٣
اليونان	—	٥٦	٧٥	٦٣	٦١
المجموع	٥٢٢٣	١٢٢٣٩	١٥٧٨١	٢٦٦٤٢	٢٥٦٢٦

١٩٣٨/	١٩٣٤/	١٩٣٠/	١٩٢٥/	١٩٢١/	أنواع المدارس
١٩٣٩	١٩٣٥	١٩٣١	١٩٢٦	١٩٢٢	
٧٣٤٤	٧٦٤٥	٤٣٠٦	٢٧٢٤	٢١٧٣	الطلّيان
١٥٤٩٧	١٦٢٤٦	٩٩٤٢	٧٣٩٦	٢٥٥٩	العرب
٥٤٥١	٤٧٤٤	٢٥٧٢	٢٩٥٢	١٠٧٦	اليهود
١٦	٣٩	٥٨	٥٦	—	اليونان
٢٨٣٠٨	٢٨٦٧٤	١٦٨٧٨	١٣١٢٨	٥٨٠٨	المجموع

وفي ضوء جدول أعداد التلاميذ يمكن بيان الحقائق الآتية :

أولا : أن عدد التلاميذ الطليان في المدارس الثانوية كبير وتزايد سنة بعد أخرى كما أن عدد التلاميذ اليهود في نفس المدارس يتناسب مع عدد الطائفة اليهودية ، بينما عدد الطلاب العرب في المدارس الثانوية قليل جدا ولا يتناسب مع عدد السكان أصحاب البلاد ولم يزد العدد قليلا الا بعد افتتاح المدرسة الاسلامية أواخر العصر الفاشستي •

ثانيا : يوضح جدول عدد الطلاب في المدارس التجارية والفنية تزييدا في هذا العهد ولكن يجب أن يكون معلوما أن هذه الأعداد من التلاميذ العرب هم الأطفال اليتامى والفقراء الذين يتتظمون في مدرستي الفنون والصنائع في الغالب • ولم يشترك تلميذ عربي في المدرسة التجارية التي كانت متاحة لأبناء الطليان ، واليهود بصفة خاصة •

لقد أثبتت الجداول السابقة احصائياتها حتى العام الدراسي ١٩٣٨/١٩٣٩ م وذلك لأن نشوب الحرب العالمية الثانية واشتراك إيطاليا فيها الذي حدث عام ١٩٤٠ قد أثر على سير العملية التعليمية في البلاد ، وقد كان نشوب الحرب العالمية سببا في أن ترسل سلطات الاحتلال أغلب التلاميذ الطليان الى إيطاليا ، كما أن دخول قوات الحلفاء الأراضي الليبية ، ثم جعل الأراضي الليبية مسرحا للعمليات العسكرية بين الحلفاء وقوات المحور عطل المدارس وأوقف النشاط التعليمي •

الفصل السادس

مستقبل التعليم في ليبيا بعد الاحتلال الإيطالي

الإدارة الإنجليزية الفرنسية :

التعليم واتفاق مناهجه مع المناهج المصرية وغيرها :

● مستقبل التعليم في ليبيا :

١ — ملامح المجتمع الليبي .

٢ — المشكلات التعليمية التي تعوق التنمية .

٣ — التخطيط للتعليم .

اشترك الليبيون في تحرير بلادهم من الاستعمار الايطالى وحليفته النازية الألمانية الى جانب قوات الحلفاء وتحمل أبناء الشعب العربى فى ليبيا الويلات أثناء الحرب العالمية الثانية باشتراكهم بأعداد كبيرة فى الجيش الذى تأسس فى مصر عام ١٩٤٠ كما قاسى أفراد الشعب العربى فى ليبيا الذين بقوا فى أرضهم ، التنكيل والتعذيب والتقتيل والمجاعة بسبب اتخاذ الأرض الليبية ميدانا للحرب بين الفريقين المتحاربين ، ثم ان الشكل الذى تمت به الحرب وهو الكر والفر بين قوتى المتحاربين لم يجعل أمام العرب الليبيين فرصة لالتقاط الأنفاس فهم قد وجدوا أنفسهم فى أوائل الحرب قد تخلصوا من الحكم الايطالى الفاشستى على يد القوات البريطانية والعربية الليبية . ولكن لم تمض أسابيع قليلة حتى عاد الحكم الايطالى الفاشستى بمساعدة الألمان .

وكانت عودة الطليان كارثة كبرى لأهل البلاد الذين لاقوا التنكيل بسبب ترحيهم بالقوات البريطانية والعربية ومساعدتهم لهم بل والاشترك معهم فى مطاردة الايطاليين . ولكن الأمر لم يستتب طويلا للطليان والألمان، اذ عادت القوات البريطانية والعربية فاحتلت برقة وخلصتها من الطليان ولكن الألمان بقيادة رومل الذى قاد القوات الألمانية والايطالية فى هجوم مضاد انسحبت أمامه القوات العربية والانجليزية حتى دخلت قوات المحور (ألمانيا وايطاليا) الأراضى المصرية حتى منطقة العلمين وهناك حدثت المعركة المشهورة التى حددت مسار الحرب العالمية الثانية فى الشمال الأفريقى لغير صالح قوات المحور اذ أن القوات البريطانية والعربية تابعت مطاردتها لقوات المحور من العلمين حتى الحدود التونسية بينما طاردت القوات الفرنسية والعربية هذه القوات أيضا من الجنوب الليبى حتى تم تطهير الأراضى الليبية من القوات الايطالية والألمانية فى ٧ فبراير سنة ١٩٤٣ م .

ولقد أعطى اشتراك العرب الليبيين فى الحرب التى انتهت بهزيمة أعدائهم أعظاهم ثقة كبيرة فى نفوسهم ورغبة فى أن يتولوا بأنفسهم

تقرير مصيرهم وهذا لم يرق بالطبع للاستعمار الأوروبي الذي تمثل في انجلترا وفرنسا اللتين احتلت قواتهما البلاد وتولت ادارتها الى أن يتقرر مصيرها في مؤتمر الصلح ، وقد سعت القوى الاستعمارية الى تكريس الخلاف بين أجزاء الوطن الليبي الواحد بتعميق الخلاف بين أهالي برقة واخوانهم الطرابلسيين وكذلك مواطنيهم من أهالي فزان .

فمع أن جميع الليبيين كانت أمامهم أهداف واحدة ثلاثة هي :

- (١) الوطن الليبي وحدة غير قابلة للتجزئة .
- (٢) الاستقلال الوطنى مطلب أساسى ولا يمكن قبول سيطرة استعمارية .
- (٣) انضمام ليبيا الى جامعة الدول العربية أساس أجمعت عليه الأطراف .

الا أنه صار خلاف بين البعض حول وسائل تحقيق هذه الأهداف ، فاقليم برقة المتأثر بالدعوة السنوسية كان يطالب بلسان الأمير ادريس السنوسى والمقربين لديه بأن تكون كل ليبيا تحت زعامة الأمير ادريس نفسه الذى يجب أن يكون ملكا للمملكة الليبية بعد حصولها على الاستقلال، بينما كان المواطنون الطرابلسيون الذين لم ينسوا قيام الجمهورية الطرابلسية فى عام ١٩١٨ م — يريدون ترك مسألة شكل الحكم حتى يتم الاستقلال أو يقرره استفتاء شعبى بينما اقليم فزان كان زعماؤه المدركون لفقر بلادهم وقلة عدد السكان يأملون فى وحدة الوطن الواحد على أن يكون لزعماء البلاد دور فى قيادتها .

وعلى هذا فقد تعددت الأحزاب السياسية بين أبناء الوطن الواحد وكان من بينها حزب فى طرابلس اسمه حزب الاتحاد المصرى الطرابلسى الذى كان يرى ضرورة الاتحاد بين مصر وليبيا استنادا على ما بين القطرين المصرى والليبي من روابط دينية وتاريخية وروابط متعلقة بوحدة الجنس واللغة والجوار والمصالح المشتركة . . وكانت هناك

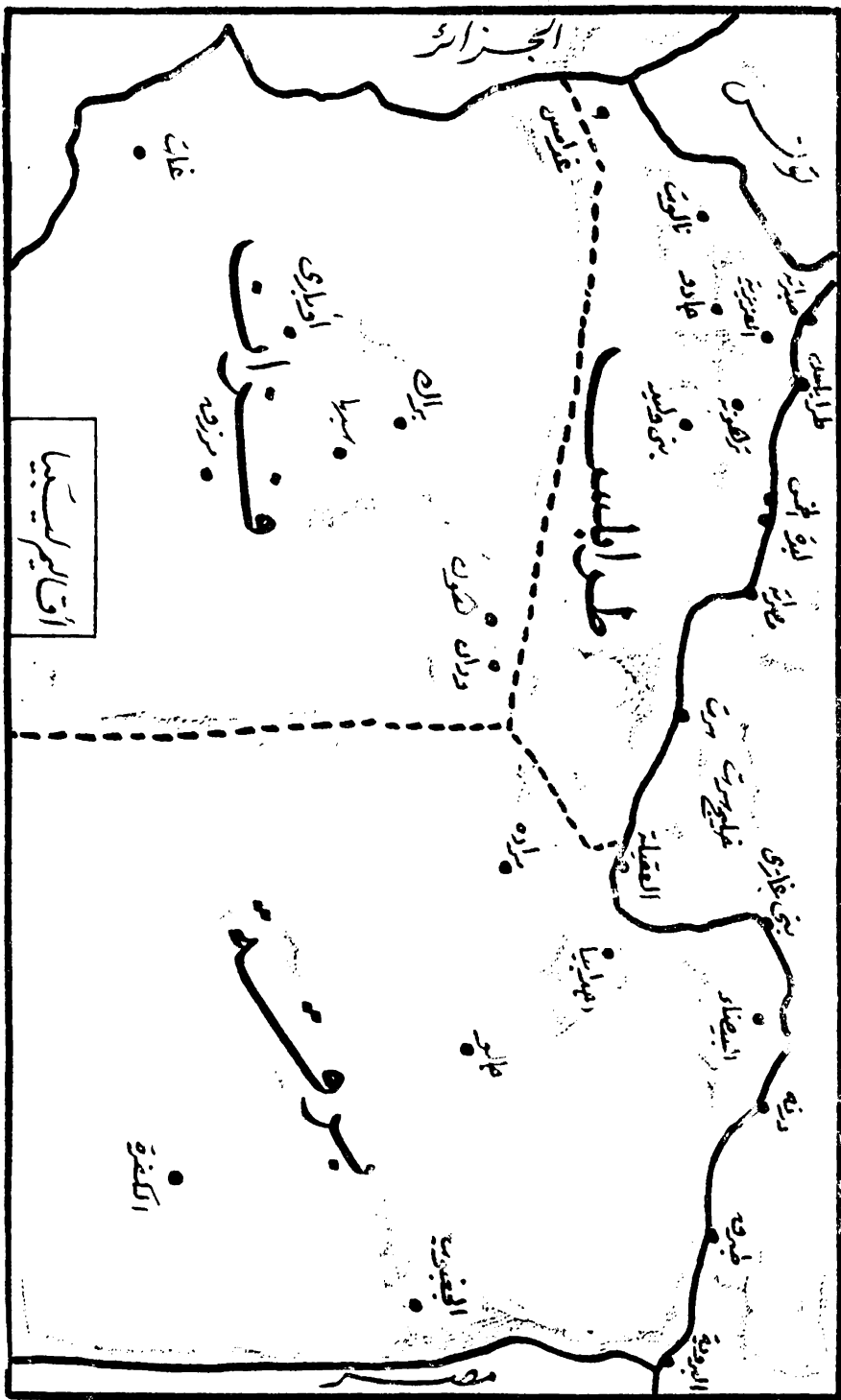
أحزاب أخرى لم تخرج جميعها عن المطالبة باستقلال البلاد ووحدة
الوطن .

ويمكن القول اجمالا أن هذا النشاط السياسي العام في ليبيا دار
« حول قضية الاستقلال والوحدة والامارة السنوسية وإذا جاز لنا أن
نلخص الموقف عامة قلنا ان الاتجاه العام في طرابلس كان يهتم بالوحدة
والاستقلال تاركا أمر شكل الحكم الى المستقبل ، بينما كان المؤتمر
الوطني في برقة يرى أن الوحدة بين برقة وطرابلس يجب أن ترتبط بقبول
الطرابلسيين للامارة السنوسية » (١) .

وقد حاولت الدوائر الاستعمارية البريطانية توسيع شقة الخلاف بين
الأخوة أبناء الوطن الواحد فحثت الأمير ادريس السنوسى على اجراء
مفاوضات مع الحكومة البريطانية لتحقيق استقلال برقة وحدها الا أن
الزعماء المخلصين الذين كانوا يعملون على تحقيق وحدة البلاد أفسدوا
المحاولات الاستعمارية لتقسيم البلاد وأعلنوا موافقتهم على وحدة البلاد
تحت الامارة السنوسية كخطوة مرحلية ليحصلوا للبلاد على استقلالها
موحدة ، وتظهر الزعامات الليبية متحدة الأهداف والوسائل أمام الهيئات
الدولية والمطامع الاستعمارية . وهذا لا ينفي أن بعض الزعماء
الطرابلسيين استمروا على موقفهم من معارضة لوجود الأمير ادريس
على رأس الحكم في ليبيا المتحدة .

ولسنا هنا في مجال الحديث تفصيلا عن الوقائع التاريخية فهذا ليس
مجال حديثنا في هذا الفصل الختامى ولكننا نبحث عن الاسباب التى
أدت الى مثل هذه الوقائع ، وهذه الاسباب تعود الى موقف القوتين
الأوروبيتين اللتين استولت قواتهما على الأرض الليبية ، وأعنى انجلترا
وفرنسا ، ذلك أنه في الوقت الذى ساهمت فيه الدولتان في وقوع الخلاف
بين أبناء الوطن الليبى ، فقد كانتا لهما مخطط استعمارى لا يختلف عن

(١) نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال - ص ١٣٨ .



المخطط الذي تلى الحرب العالمية الأولى والذي كان يهدف الى تقسيم البلاد العربية بين الدول الاستعمارية وخاصة انجلترا وفرنسا . . وقد جاءت الفرصة ثانية أمام انجلترا وفرنسا لتقسيم ليبيا — الى ثلاثة أقاليم برقة لانجلترا وفزان لفرنسا وطرابلس تبقى مؤقتا تحت الادارة البريطانية ثم تعطى لاطاليا جزاء لها على تخلصها من موسوليني ودخولها في حظيرة الحلفاء .

« فقد عاملت بريطانيا برقة معاملة خاصة رغبة في التفريق بينها وبين طرابلس فقد أباحت الادارة البريطانية التعامل بالعملة المصرية ، والتصدير والاستيراد مع مصر وانجلترا ، وأدخلوا تحسينات كثيرة في التعليم جعله يتفق مع التعليم في مصر وهذا يفسر ارتفاع نسبة المتعلمين من سكان برقة عنها في طرابلس وقد وظفت الادارة البريطانية الكثيرين من أبناء برقة في وظائف الحكومة وبالطبع في الوظائف الصغيرة » (١) بينما لم يتمتع أهل طرابلس بمثل هذه التسهيلات والامتيازات بل أبتت الادارة البريطانية الامتيازات التي كان يتمتع بها الطليان في النشاط الزراعي والتجاري والتعليمي ولم تساعد أهل طرابلس على مزاولة أى نشاط اقتصادي ليخلو لمصرف باركليز الانجليزي الذي أنشئ في بنغازي وطرابلس احتكار النشاط المالي .

أما اقليم فزان فقد خضع في نشاطه لاشراف الحاكم الفرنسي للجزائر ، وأصبحت العملة المتداولة في فزان هي الفرنك الجزائري ، بل ان ميزانية فزان أدمجت في مالية الجزائر وحتى التعليم أصبح مختلفا عما هو متبع في طرابلس أو برقة امعانا في فصل فزان عن بقية ليبيا ، فقد وجد نظام التعليم الفرنسي المطبق في تونس والجزائر أوجدته السلطات الفرنسية في اقليم فزان تكريسا لانفصاله عن الوطن الليبي وتمهيدا لضمه الى الجزائر وتونس تحت الاحتلال الفرنسي .

استمرت الادارة البريطانية تحكم برقة وطرابلس والادارة الفرنسية

(١) نقولا زيادة : برقة الدولة العربية الثامنة — ص ٣٦ .

تحكم فزان من عام ١٩٤٣ حتى نهاية عام ١٩٥١ ، وكان يجب أن ينتهى وجودها فى البلاد بانتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولكن وجود هذه الادارات العسكرية خلق وضعاً شاذاً فى ليبيا ، وقد ترتب على هذا الوجود عدة أمور أثرت على مستقبل البلاد وسيرها لسنوات طويلة مازالت تعاني منها الى اليوم ، وهذه الأمور هى : —

أولاً : لم يستفد اللييون اقتصادياً ولم تنتعش الأحوال المالية بالنسبة لهم فقد استمر الظليان يتمتعون بامتيازاتهم وفتحت الأبواب للاحتكارات البريطانية والفرنسية وأصبحت ليبيا سوقاً رائجة للمصنوعات البريطانية وللمصارف البريطانية تمارس نشاطها الاقتصادى .

ثانياً : الفرقة التى بذرها الاستعمار الأوروبى بين أجزاء البلاد مما أضعف الروابط بين أبناء الوطن الواحد وأوجد حساسيات بين الأخوة الأشقاء .

ثالثاً : التخطيط لبقاء النفوذ الأجنبى فى البلاد لسنوات طويلة يث الشقاق بين القبائل ومنح الامتيازات للعناصر الموالية للاستعمار وابعاد المعادين للاستعمار حتى ولو كانوا صالحين .

رابعاً : كافأت انجلترا الولايات المتحدة الأمريكية وفى نفس الوقت حاولت الحصول على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لمشروعات انجلترا الاستعمارية فعقدت أثناء الادارة البريطانية اتفاقية مع الولايات المتحدة الأمريكية لتأجير مطار الملاحة بالقرب من مدينة طرابلس .

خامساً : حاربت الادارة العسكرية وجود نشاط ثقافى الا ما يتفق مع مصالحها فلم تسمح بحرية الصحافة فيما عدا جريدتى طرابلس الغرب ، وبرقة الجديدة اللتين كان يصدرهما مكتب الاستعلامات البريطانى فى كل من طرابلس وبنغازى ، واستخدام هاتين الجريدتين لتوجيه المواطنين الى ما تريده الادارة العسكرية الاستعمارية ، كما أن التعليم أيضاً لم يسلم من التوجيه الاستعمارى ليتفق مع المخطط الذى رسمه

الاستعمار في الأرض الليبية ، وهذا ما سأحاول توضيحه في الصفحات التالية ..

● التعليم - اتفاق المناهج مع المناهج المصرية وغيرها :

تأثر التعليم في ليبيا شأنه في ذلك شأن كل نواحي الحياة بأحداث الحرب العالمية الثانية نظرا لأن الأرض الليبية كانت مسرحا للمعارك الحربية التي دارت بين الفريقين المتحاربين ، وما ان دخل الجيش الثامن طرابلس في ٢٣ يناير ١٩٤٣ وتابع طرد القوات الايطالية الألمانية من الأراضي الليبية حتى بدأ المواطنون الليبيون يحسون بضرورة الاهتمام بتعليم أبنائهم وأبدوا رغبتهم في فتح المدارس التي أغلقت كلها بسبب الحرب .

وتبعاً للاحاح المواطنين المستمر لتعليم أبنائهم فقد عقدت الادارة البريطانية التي تولت شؤون طرابلس وبرقة مؤتمرا ضم خمسة ضباط بريطانيين اختارتهم الادارة ، وعقد الاجتماع في ٥ يونيو عام ١٩٤٣ بطرابلس « وكان أمام المؤتمر جدول أعمال يتضمن عدة نقاط أهمها :—

- (١) الخطوات الضرورية التي يجب اتباعها تلبية لرغبة المواطنين العرب بتعليم أبنائهم .

- (٢) تحديد عدد المدارس التي سيعاد فتحها .

- (٣) تقدير الميزانية اللازمة لهذه المدارس .

- (٤) المناهج اللازمة والكتب الدراسية المقررة .. » (١)

وقد تقرر تعيين ضابط للاشراف على التعليم واتخاذ الاجراءات اللازمة لفتح عدد من المدارس الابتدائية العربية ومثيلتها الايطالية واصلاح مباني هذه المدارس التي تهدمت من الحرب ، واعداد المناهج اللازمة — والتي تتفق مع السياسة الانجليزية — وكذلك المدرسين اللازمين .

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948) P. 23.

وفى الواقع فانه عندما تولت الادارة البريطانية الأمر فى اقليمى برفه وطرابلس والادارة الفرنسية فى اقليم فزان ، فقد تأثر التعليم بالمخطط الاستعمارى الذى كان يهدف الى وضع البلاد اللبية تحت اشراف ثلاثى: برقة تخضع للنفوذ الانجليزى ، وطرابلس وتخضع — فيما بعد — للنفوذ الايطالى ، وفزان وتخضع للسيطرة الفرنسية .

وكان هدف هذا المخطط هو تمزيق وحدة البلاد اللبية حتى لا تقوم لها قائمة ولا يطالب أهلها بالاستقلال وبالوحدة الوطنية ، ومن ثم لا يتمسكون بالعروبة والقومية العربية والوحدة مع أجزاء الوطن العربى . . . ورغم أن بريطانيا استمرت تدير اقليمى برقة وطرابلس ولم تتول ايطاليا ادارة نصيبها من الغنينة — وهى طرابلس — فان المخطط استمر حتى بعد انتهاء الادارة الأجنبية ورحيلها عن البلاد .

وقد تأثر التعليم بالطبع بهذا المخطط وظهرت آثاره واضحة فى النظام التعليمى والمناهج الدراسية فى كل اقليم على النحو التالى :

أولا : طبق نظام التعليم والمنهج الفرنسى المطبق فى شمال أفريقيا — تونس والجزائر — فى اقليم فزان ، وفى الواقع فانه لم يكن هناك تعليم مستقر بفزان لأن تاريخ التعليم فى فزان انما هو عبارة عن « مدارس تعلق بعد سنة واحدة من انشائها لافتقارها الى المعلمين وعن محاولات مستمرة لاعادة فتحها ، لأن المشكلة الأساسية فى فزان هى صعوبة العثور على هيئة تدريس أجنبية تستقر فى فزان مدة كافية للقيام بعمل له صفة الدوام » (١) كما لم توجد مدارس لتعليم البنات طوال حكم الادارة الفرنسية للاقليم .

ثانيا : طبق المنهج ونظام التعليم المصرى — المتأثر بالنفوذ الانجليزى — فى اقليم برقة — تطبيقا حرفيا دون أدنى تعديل حتى فى المواد

(١) روجيه لى تورنو : التعليم فى ليبيا — تقرير عام ١٩٥١ م .

الاجتماعية وهى التاريخ والجغرافيا واللغة الانجليزية ، وحتى عند انشاء مدرسة ثانوية واحدة للبنين فى بنغازى عام ١٩٥٠ م كان الطلاب يدرسون أربع سنوات فيها والسنة الخامسة — المكملة للمرحلة الثانوية — يقضيها الطلاب فى مصر بمدارسها الثانوية ، وقد استعانت الادارة البريطانية فى برقة بمجموعة من المعلمين المصريين الذين أسهموا بنصيب كبير فى نهضة التعليم بالاقليم •

ثالثا : قررت الادارة البريطانية تطبيق المنهج ونظام التعليم الفلسطينى (وهو الذى كانت تطبقه السلطات البريطانية فى فلسطين أثناء الانتداب البريطانى فيها) فى اقليم طرابلس •• الا أن الوطنيين الليبيين ثاروا لهذه التفرقة بين أقاليم البلاد وطالبوا بالغاء نظام التعليم والمنهج الفلسطينى واحلال المنهج والنظام التعليمى المصرى أسوة باقليم برقة •• ولكن السلطات البريطانية أحلت المنهج ونظام التعليم السودانى — وهو المنهج الذى كان يطبق فى السودان تحت الحكم البريطانى — محل المنهج والنظام الفلسطينى ولكن هذا الاجراء أغضب الوطنيين العرب لشعورهم بأن هدف الادارة البريطانية الاستعمارية هو تمزيق وحدة البلاد وابعاد الطرابلسيين عن مصر التى كانوا يعتبرونها وطنهم الثانى والتى طالب الكثيرون منهم بالاتحاد معها لتصير وحدة مصر وليبيا تحقيقا لطبيعة الأمور •• ولما انكشفت سياسة الادارة البريطانية الاستعمارية عند الوطنيين الليبيين استجابات أخيرا لرغبتهم وقررت تطبيق المنهج ونظام التعليم المصرى المطبق فى برقة فى اقليم طرابلس أيضا •

ولكن السلطات البريطانية أدخلت عدة تعديلات على المنهج المصرى المطبق فى برقة عند تطبيقه فى طرابلس ، ففى التعليم الابتدائى جاءت التعديلات كما يلى :

(١) عدم تدريس أية لغة أجنبية فى المدارس الابتدائية لتفادى توظيف مدرسين أجنبى ••

- (٢) « ينحصر منهج تعليم مادتي التاريخ والجغرافيا في تاريخ ليبيا وجغرافيتها بدلا من مصر » (١)
- (٣) تظل الكتب المستعملة هي الكتب المصرية •

وفي التعليم الثانوى حدثت التعديلات التالية :

- (١) « أصبحت ليبيا محور التعليم في مادتي التاريخ والجغرافيا بدلا من مصر
- (٢) أصبحت اللغة الأجنبية الأولى هي اللغة الانجليزية واللغة الأجنبية الثانية هي اللغة الفرنسية حتى شهر اكتوبر ١٩٥٠ حيث حلت محلها اللغة الايطالية » (٢) •

ومن هذه التعديلات تتبين السياسة الاستعمارية التي اتبعتها الادارة البريطانية في اقليم طرابلس ، فبينما تعلم اللغة الانجليزية في المدارس الابتدائية باقليم برقة حرمت المدارس الابتدائية في طرابلس من تعليم هذه اللغة تأكيدا للتفرقة بين الاقليمين وتمهيدا لاعطاء طرابلس لايطاليا وحتى هذه السياسة ظهرت في احلال اللغة الايطالية محل اللغة الفرنسية كلغة ثانية في المدارس الثانوية بطرابلس ، بينما ظلت المدارس الثانوية في برقة تعتبر اللغة الفرنسية لغة ثانية كما هو الحال في مصر •

وقد أنشأت الادارة البريطانية في طرابلس أربع مدارس ثانوية منذ عام ١٩٤٨ : مدرسة في طرابلس ، وأخرى في مدينة الزاوية وثالثة في زوارة والرابعة في نالوت ، كما أنها شرعت في انشاء معهد لاعداد المعلمين منذ عام ١٩٤٨ م بمدينة طرابلس ومعهد لاعداد المعلمات بنفس المدينة عام ١٩٥٠ وسححت للمدارس الايطالية بالاستمرار في عملها وساعدتها على أداء هذا العمل ، كما ساعدت الادارة البريطانية مدارس اليهود على ممارسة رسالتها في تعليم أبناء اليهود بطرابلس •

(١) روجيه تورنو : نفس المصدر السابق .
(٢) روجيه تورنو : المصدر السابق .

ويمكن أن نسجل بعض الملاحظات عن التعليم في عهد الادارتين الانجليزية والفرنسية فيما يلي :

أولا : شعور المواطنين الليبيين بالحاجة الى التعليم واقبالهم عليه بشدة لتعليم أبنائهم وهذا الشعور نابع من ثقة بالنفس ترجع الى جهاد طويل ضد مستعمر بربرى طرد من بلادهم وكان لهم دور في طرده فعلا أقل من أن يكون لهم صوت مسموع في شئون بلادهم وأن يتمتع أبنائهم بالتعليم الذى يؤكد عروبتهم وهو التعليم المتاح لآخوانهم عرب مصر بصفة خاصة .

ثانيا : أسندت الادارة البريطانية بعض الوظائف الصغيرة — غير الاشرافية أو القيادية — الى موظفين من المواطنين العرب الليبيين ، وقد استطاع هؤلاء الموظفون أن يزيحوا الستار الأسود الكثيف الذى ضربه الاستعمار الايطالى بين الليبيين وبين التعليم فأصبح الاقبال على التعليم من قبل المواطنين اقبالا هائلا .

ثالثا : كانت الادارة الأجنبية تنظر الى المعلمين الوطنيين نظرة شك وكما عبر عنها تقرير مدير التعليم فى عهد الادارة البريطانية أن هؤلاء المعلمين « لا يمكن الاعتماد عليهم كلية لأنهم أصبحوا مشبعين بالسياسة كثيرا ، وفى حالات كثيرة كانوا يهتمون بالسياسة أكثر من اهتمامهم بالتعليم ومن ثم يجب طرد عدد كبير منهم » (١) من الخدمة .. بحجة أن حديثهم عن الاستقلال والانضمام الى جامعة الدول العربية والوحدة الوطنية ، تدخل منهم فى غير شئونهم .. هكذا منطلق الاستعمار !! .

رابعا : تبع الوجود البريطانى ازدياد عدد أفراد الجالية البريطانية فى ليبيا ، ومن ثم فقد طالب أعضاء هذه الجالية بفتح مدرسة بريطانية لتعليم أبنائهم وقد بدأت هذه المدرسة بوجود معلم واحد كان أحد ضباط الحامية البريطانية ثم ساعدته زوجة أحد الضباط واستمرت هذه

(١) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948) P. 24.

المدرسة تؤدي رسالتها في نمو وازدياد حتى صارت تقبل أبناء الوطنيين اللبيين الذين قبلوا تعليم أبنائهم في هذه المدرسة .

خامسا : حدث اهتمام محدود بتعليم البنت اللبية في هذا العصر وقد جاء هذا الاهتمام بعد أن تم تعيين سيدة انجليزية وهى زوجة لأحد الضباط البريطانيين وقضت سنوات طويلة في التدريس بمصر وتجيد اللغة العربية ، تعيينها « في أبريل ١٩٤٤ م مفتشة ومديرة لمدارس البنات وتعاونت معها الزوجات المصريات للبيين مما جعل تعليم البنات أكثر تقدما عما كان قبلا » (١) . ثم ما تلى ذلك من تدريب بعض المدرسات الوطنيات ثم افتتاح مدرسة لاعداد المعلمات عام ١٩٥٠ م .

سادسا : الاستعانة بعدد من المعلمين الايطاليين الذين بقوا في ليبيا بعد طرد القوات الفاشية والنازية مع تدريبهم على التدريس باللغة الانجليزية ، وقد كان هؤلاء المعلمون الطليان أفضل من العرب من وجهة نظر الادارة البريطانية ، بسبب عنصريتهم الأوروبية ولأن هؤلاء المعلمين الطليان منذ « سقوط موسوليني وبيت ساقوى خضعوا خضوعا تاما » (٢) للادارة البريطانية مهتمين بالعمل بصفة كلية ولا يهتمون الا قليلا بالأمور السياسية في ايطاليا وكان هذا المسلك من قبل الطليان على أمل استعادة سيطرتهم على ليبيا مرة أخرى . . . وأتبعته الادارة البريطانية استخدام عدد من المعلمين الايطاليين تعيين مفتش ايطالى مديرا للمدارس الايطالية ومشرفا على المدارس العربية من قبل الادارة البريطانية .

سابعا : لم يكن وقت الدراسة موحدا وثابتا بالنسبة للتلاميذ ، وكانت الدراسة على فترتين صباحية ومساءية .

ثامنا : واجهت الادارة البريطانية عند فتح المدارس مشكلة النقص في عدد المعلمين الوطنيين فعملت على تدريب بعض القائمين بالفعل تدريبا محليا فوجدت كل معلم منهم « راغبا في التدريب ومستعدا لقبول كل

(1) S. Greige : History of Education in Tripolitania (1948) P. 24.

(2) Ibid. P. 29.

توجيه سليم ، مؤمنا أن هذا التدريب لتسهيل مهمته وفي صيف عام ١٩٤٥ تم ارسال جماعة من المعلمين عددها ١٦ معلما الى مصر في برنامج تدريبي قصير بمعهد التربية ، وكانت نتيجة التدريب طيبة بصفة عامة « (١) » .

تاسعا : في نهاية العام الدراسي ١٩٥٠ — ١٩٥١ م كانت هناك « ٢٤٤ مدرسة تقدم لتلاميذها تعليما حديثا ، وعدد هؤلاء التلاميذ ٣٢٩٢٨ يقوم بتعليمهم ١١٩٢ معلما على النحو التالي : (٢)

ملاحظات	جملة	مالطيون	يهود	طليان	عرب	
	١١٩٢	٨	٦٤	٣٦٤	٧٥٦	المعلمون
	٣٢٩٢٨	٣١٠	٢١٦٤	٦٣٠٤	٢٤١٥٠	التلاميذ

الى جانب المدارس القرآنية والزوايا الدينية التي لم تتوفر عنها احصائيات دقيقة .

عاشرا : كانت نظارة المعارف تشرف على المدارس الحديثة ، وكان يدير دفة نظارة معارف طرابلس « مدير ومساعد مدير كلاهما بريطانيان ، وكانت الادارات الرئيسية تحت اشراف كل من :

- ١ — ادارة التعليم الابتدائي : يشرف عليها مفتش عام ليبي .
- ٢ — ادارة التعليم الايطالي : وضعت تحت اشراف مفتش ايطالي شغل منصب مستشار نظارة معارف طرابلس منذ اكتوبر عام ١٩٥١ م .
- ٣ — ادارة الشؤون المالية والتجهيزات .
- ٤ — قسم البعثات ، وقسم تعليم الكبار ، ويشرف عليهما بريطانيان .
- ٥ — المدارس الثانوية من مسؤولية المدير ومساعداه مباشرة « (٣) » .

(1) Ibid. P. 29.

(2) R. Le Tourneau : Libyan education and its developments, P. 19.

(3) Ibid, P. 19.

أما في برقة فقد كان يساعد ناظر المعارف مستشار انجليزي كان « يهيمن على جميع الأمور التعليمية » (١) الى جانب وجود مدير ليبي مسئول عن الشؤون المالية والادارية • وكان عدد تلاميذ المدارس الابتدائية في برقة ١٢٠٠ تلميذة و ١٢٠٠٠ تلميذ ، كل في المدارس الخاصة به ، وعدد المدارس الثانوية ، مدرسة واحدة في بنغازي بها ٢٨٠ تلميذا يقوم بتعليمهم ١٦ معلما منهم « ١١ معلم مصري ، ٤ معلمين انجليز ، ومعلم واحد ليبي ، الى جانب أن مدير المدرسة ليبي خريج من الجامعة المصرية » (٢) كما أن مدارس البنات كانت عبارة عن مدرستين في بنغازي ومدرسة واحدة في مدينة درنة ، وكانت مديرات المدارس ليبيات « يساعدهن معلمات مصريات وليبيات ، وقد تم افتتاح فصل ثانوى مسائى للبنات في بنغازي خلال العام الدراسي ١٩٥٠ — ١٩٥١ » (٣)

وفي فزان كان ناظر المعارف من فزان بينما كان المدير الفعلي للمعارف فرنسيا « وكان في نفس الوقت ناظرا للمدرسة ، وكان ناظر المعارف وناظر المدرسة — يتعاملان مع مدرسين يغادرون — فزان — بعد انقضاء عام دراسي واحد في ذلك المكان المنعزل الذي تتميز الحياة فيه بالخشونة » (٤) • الا أن بعض المدارس بدأت في الظهور في بعض المدن مثل غدامس « التي انتظم بمدرستها ١٠٥ تلاميذ من سكان المدينة البالغ عددهم ١٠٠٠ مواطن ، كما افتتحت مدرستان داخليتان في دار البى (سبها) وبراك ، ولم توجد مدرسة بنات واحدة ، ولم تلتحق بنت واحدة في مدارس البنين » (٥) •

والواقع أن التعليم في فزان قليل اذا قورن بالتعليم في كل من طرابلس وبرقة ، بسبب فقر البلاد وعدم وجود مواطنين من أهلها يقومون بعملية التدريس ، ولذلك طالما توفر المعلمون فتحت المدارس في فزان ،

(1) Ibid, P. 26.

(2) Ibid, P. 28.

(3) Ibid, P. 29.

(4) Ibid, P. 30.

(5) Ibid, P. 30.

وإذا وجدت امرأة غير فرائية تعلم وتمكث فترة طويلة كافية لتدريب
قلة من البنات الفزائيات على مهنة التدريس .

أحد عشر : لم تهتم الادارة الأجنبية بالمباني المدرسية ، فرغم زيادة
عدد التلاميذ ، وبصفة خاصة في التعليم الابتدائي نتيجة اقبال الأهالي
على تعليم أبنائهم بعد انتهاء الاحتلال الايطالي ، الا أن المباني المدرسية
بقيت على ما كانت عليه في عهد الاحتلال الايطالي الى جانب « استخدام
المعسكرات الايطالية كمدان مدرسية » (١) سدا لبعض النقص في
المباني المدرسية .

اثني عشر : لم تواجه سلطات الادارة الأجنبية النقص في عدد المعلمين
الليبيين منذ انتهاء الاحتلال الايطالي بسياسة واعية تعمل على سد هذا
النقص ، ورغم أنها عملت على انشاء معهد لاعداد المعلمين في العام
الدراسي ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م بطرابلس ، ومعهد لاعداد المعلمات عام
١٩٥٠ — ١٩٥١ م بمدينة طرابلس أيضا ، ومعهد لاعداد المعلمين في
بنغازي في تلك السنة ، الا أن تغيير المناهج وخطط الدراسة بحيث
أصبحت اللغة العربية لغة التعليم قد ألقى على عاتق نظارة المعارف
مسئولية مواجهة هذا التغيير في وقت « ترغب الحكومة فيه استخدام
معلمين ليبيين فقط في التعليم الابتدائي مما اضطرها الى تعيين مجموعة
كبيرة من الشباب حديثي التخرج من المدارس ، وهؤلاء كانوا غير موفقين
في عملهم بسبب حداثة تخرجهم ونقص خبراتهم ومعلوماتهم المحدودة
جدا الى جانب شبابهم المبكر » (٢) .

ثالث عشر : رغم أن المواطنين الليبيين قد تفشت بينهم الأمية لدرجة
كبيرة بلغت نسبتها بينهم ٩٠ في المائة من الراشدين ، فان الادارة الأجنبية
لم تفعل شيئا لمحاربة الأمية على الاطلاق ، وان كنا يجب أن نشير الى
جهود « جمعية ليبية في بنغازي ساهمت في هذا الميدان بتعليم أساسيات

(1) R. Le Tourneau : Libyan education and its development, P. 20.

(2) Ibid, P. 21.

المعرفة للأميين» (١) • واقتصرت الدراسات المسائية الرسمية على فتح فصول في مدينتي طرابلس وبنغازي لتعليم اللغة الانجليزية للموظفين الليبيين •

رابع عشر : كانت مدة الدراسة بالمرحلة الابتدائية ست سنوات ، وكانت الخطة الأسبوعية ٣٦ حصة ، وزمن الحصة ٤٥ دقيقة ، بينما كانت مدة الدراسة بمعاهد المعلمين ثلاث سنوات بعد اتمام المرحلة الابتدائية ، وكانت الخطة الاسبوعية ٣٩ حصة في الصف الأول و ٤٣ حصة في كل من الصفين الثاني والثالث ، وزمن الحصة ٤٥ دقيقة ، أما معهد اعداد المعلمات فقد كانت مدة الدراسة به عامين فقط بعد المرحلة الابتدائية ، وكانت الخطة الاسبوعية ٣٦ حصة لكل صف وزمن الحصة ٤٥ دقيقة •

وفيما يلي الخطط الدراسية للمرحلة الابتدائية ، ولمعهد المعلمين ، ولمعهد المعلمات :

(1) Ibid, P. 29.

خطة الدراسة للمدارس الابتدائية (١) :

الصف	الصف	الصف	الصف	الصف	الصف	المواد
الاول	الثاني	الثالث	الرابع	الخامس	السادس	
٣	٣	٤	٤	٣	٣	قرآن كريم ودين
١٢	١٢	١٠	٩	٩	٩	لغة عربية قراءة وكتابة
—	—	١	١	١	١	أناشيد وموسيقى
٦	٦	٦	٥	٥	٥	رياضيات (حساب)
—	—	—	—	—	—	هندسة عملية
—	—	١	٢	٢	٣	تاريخ وتربية
—	—	٢	٢	٢	٢	جغرافيا
٣	٣	٢	٢	٢	٢	مبادئ العلوم الطبيعية
—	—	—	—	—	—	الصحة
٣	٣	٢	٢	٢	٢	رسم
٣	٣	٢	٢	٢	١	أشغال عملية
٦	٦	٦	٦	٦	٦	تربية بدنية وألعاب
٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	٣٦	المجموع

(1) Ibid, Appendixes.

خطة الدراسة بسعهد اعداد المعلمين (١) :

ملاحظات	الصف الثالث	الصف الثاني	الصف الاول	المواد
	٦	٦	٦	لغة عربية
	٢	٢	٢	دين
	٥	٥	٥	لغة انجليزية
	٥	٥	٥	رياضيات
	٢	٢	٢	طبيعة وكيمياء
بعد الظهر	١	١	١	طبيعة وكيمياء عملي
	٢	٢	٢	احياء
بعد الظهر	١	١	١	احياء عملي
	٣	٣	٣	تاريخ
	٢	٢	٢	جغرافيا
	—	—	٢	تربية وطنية
	١	١	٢	زراعة
بعد الظهر	١	١	١	زراعة عملي
	١	١	٢	تربية بدنية
	١	١	١	رسم
(٢) علم نفس الطفل	٦	٦	(٢)	طرق تدريس وتربية
بعد الظهر	٤	٤	—	تربية عملية
	—	—	—	
	٤٣	٤٣	٣٩	المجموع

(1) Ibid, Appendixes.

خطة الدراسة بمعهد اعداد المعلمات (١) :

ملاحظات	الصف الثاني	الصف الاول	المواد
	٨	٨	لغة عربية
	٧	٨	لغة انجليزية
	٢	٢	دين
	٥	٦	رياضيات
	٢	٢	تاريخ
	١	٢	جغرافيا
	٢	٢	مبادئ العلوم
	١	١	صحة
	١	—	رعاية الطفل
	٤	—	تدبير منزلي
	—	٢	أشغال ابرة
	١	٢	رسم
	١	—	علم نفس
	١	١	تربية بدنية وأناشيد
	٣٦	٣٦	المجموع

(١) المصدر السابق .

مستقبل التعليم في ليبيا

ورثت ليبيا بعد تخلصها من الحكم العثماني ثم من الاحتلال الايطالى ثم من الادارتين الانجليزية والفرنسية ، تركة مثقلة في مجال التعليم — كما ورثت في غير التعليم من نواحي الحياة الأخرى — مشكلات كان عليها أن تواجهها بقوة وبسرعة حتى تتخلص من التخلف الذى فرض عليها لسنوات طويلة من تاريخها •• وفى الحقيقة فان مسعى ليبيا للتخلص من تخلفها في مجال التعليم يستلزم الوقوف على المشكلات التعليمية التى خلفها عصر السيطرة على مقدرات الأمور في البلاد في تاريخها الحديث ••

ان النظرة الحديثة للمشكلات التربوية والتعليمية القائمة الآن في هذا القطر العربى ، وبعد دراسة لتطور التعليم في العصور الحديثة يجعل في الامكان تحديد هذه المشكلات ذات الجذور التاريخية على النحو التالى :

- مشكلة نفشى الأمية بين أبناء الشعب العربى في ليبيا •
- مشكلة تخلف البنت في التعليم •
- مشكلة التعليم الفنى والمهنى •
- مشكلة تمويل التعليم •
- مشكلة التعليم الجامعى •

هذه أهم المشكلات التربوية والتعليمية التى ورثتها ليبيا بعد تخلصها من عصور السيطرة ، وفى الصفحات التالية تدارس كل مشكلة منها موضحين أسبابها ومحددین عناصرها ومتتبعين مسارها عبر السنوات ،

ثم أخيرا باحثين عن سبل علاجها بما يساهم في تطور وتقديم التعليم في ليبيا ويجعل مستقبله مشرقا .

وما دنا بصدد الحديث عن مستقبل التعليم في ليبيا فان الواجب يقتضى منا أولا تسجيل أهم الملامح في حياة المجتمع العربي الليبي والتي تؤثر في مستقبل التعليم ، والتي تتطلب تخطيطا يتمشى مع هذه الملامح ويضعها موضع الاعتبار ، انطلاقا من الحقيقة القائلة بأن التعليم هو الأساس الذى أقامت عليه الأمم حضارتها ، وأنه كان وسيظل هو الطريق الوحيد الى المعرفة والى ميادين العلم ، وبالتالي الى تحقيق أسبقية المجتمع والدفع به لى يحتل مركزا طليعيا في هذا العالم النامى المتطور .

١ — ملامح المجتمع الليبي :

اولا : نضال الشعب العربى الليبى :

أول هذه الملامح ذات التأثير في مستقبل التعليم في ليبيا هى نضال الشعب العربى في ليبيا من أجل الاستقلال فى ظل ليبيا الموحدة وداخل نطاق جامعة الدول العربية ، وانهاء حكم الادارتين الانجليزية والفرنسية والوقوف ضد عودة الحكم الايطالى الى البلاد بأية صورة من الصور . لقد بذل الشعب العربى الليبى جهودا مضية لأن يقر مجتمع الدول ممثلا فى هيئة الأمم المتحدة ومنظماتها حق ليبيا فى الاستقلال وعدم الخضوع للقوى الأجنبية ، ولكن هذا المطلب العادل كان يواجه « بالدعاوى القائلة بأن الأقطار المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا ، ومواطنوها أميون وتنقصهم الخبرات اللازمة لاقامة حكومة وطنية ، هذه الأقطار ليست على استعداد لئيل استقلالها » (١) .

وقد واجه نضال الشعب العربى الليبى فى طريقه عدة صعوبات داخلية وخارجية ، أما الصعوبات الداخلية فكانت الانقسامات بين أبناء

(١) UNESCO : Report of the Mission to Libya, P. 7.

الوطن الواحد ، وهي انقسامات نتيجة لأطماع شخصية وتتدخل الاستعمار في نفس الوقت • فقد تمسك السنوسيون وأتباعهم بضرورة قبول جميع الليبيين لامارة محمد ادريس السنوسي على كل ليبيا كشرط لاستقلال ليبيا ووحدها، بينما كان معظم الليبيين يرون ترك هذه المسألة الى ما بعد الاستقلال حيث يقرر استفتاء عام شكل الحكم وطبيعته • ومن هنا ظهرت الخلافات الشديدة بين أبناء الشعب الواحد في وقت كان من الواجب عليهم مواجهة دول العالم ممثلة في منظمة الأمم المتحدة ، موحدين • ولقد لعب الاستعمار العالمي وخاصة انجلترا دورا كبيرا في توسيع شقة الخلاف بين المواطنين الليبيين ، الا أن المخلصين بذلوا جهودا مضنية لرأب التصدع في الوحدة الوطنية تمهيدا لمواجهة المؤامرات العالمية ضد ليبيا •

وأما الصعوبات الخارجية التي واجهت جهود الشعب العربي الليبي في سبيل استقلاله فتشلت في مؤامرات الدول الاستعمارية ، ولعل المخطط المشهور المعروف باسم « مشروع بينفن — سفرزا الذي نوقش في الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها المنعقدة في المدة من ٢٠ سبتمبر الى ١٠ ديسمبر عام ١٩٤٩ م ، والذي قام على أساس النقاط الثلاث التالية :

- ١ — تستمر ادارة برقة لبريطانيا •
- ٢ — وتبقى فزان في يد فرنسا لتكتمل السيطرة الفرنسية على شمال ووسط افريقيا •
- ٣ — وتعطى طرابلس لاييطاليا مكافأة لها على نبذ السياسة الفاشية والانضمام الى الحلفاء » (١) • لعل هذا المخطط كان أخطر ما واجه الشعب العربي الليبي لأنه كان يستهدف السيطرة باسم مجتمع الدول ممثلا في هيئة الأمم المتحدة ، أى أنه سيكون استعمارا مستندا الى الشرعية الدولية ، الا أن نضال الشعب العربي الليبي مؤيدا بالدول العربية أحبط هذا المشروع الاستعماري •

(1) U.N. : Official-records of the fourth session of the General Assembly, P. 293.

وقد تابعت مجهودات الليبيين في الداخل والخارج من أجل ابعاد السيطرة الاستعمارية وانهاء حكم الادارتين البريطانية والفرنسية ومحاربة عودة الظليان الى البلاد ، ومن أجل الوحدة الوطنية والانضمام الى جامعة الدول العربية ، وقد توجت هذه المجهودات بقرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢١ نوفمبر عام ١٩٤٩ م باقرار حق ليبيا الموحدة في الحصول على استقلالها وانهاء حكم الادارتين الانجليزية والفرنسية ، وتسلم الليبيين حكم وطنهم في موعد لا يتجاوز أول يناير ١٩٥٢ م .

وكان من المأمول أن تعيش ليبيا دولة مستقلة ومرتبطة بشقيقاتها الدول العربية وتبتعد عن الدول الاستعمارية والارتباط بها ، الا أن « الأمير » محمد ادريس السنوسي الذي سار من البداية في ركب السياسة البريطانية نسي أو تناسى محاولات بريطانيا لتجزئة البلاد ووضعها تحت السيطرة الاستعمارية ، حدد موقفه أمام لجنة التحقيق الرباعية — وهي اللجنة التي ضمت ممثلين للدول الأربع الكبرى : انجلترا ، فرنسا ، الاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والتي زارت ليبيا في المدة من ٦ مارس الى ٢٠ مايو عام ١٩٤٨ ، وقدمت تقريرها الى وكلاء وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى في أواخر شهر يوليو من نفس العام ، أقول انه حدد موقفه أمام هذه اللجنة بأنه ، أي « الأمير » محمد ادريس السنوسي — « نفسه يرغب في عقد محالفة مع بريطانيا » (١) . وقد استمر هذا الموقف بعد أن أصبح ملكا للمملكة الليبية .

وجاء موقف « الأمير » محمد ادريس هذا بالنسبة لبريطانيا في الوقت الذي ظهر فيه المخطط الاستعماري عاملا على تقسيم البلاد تقسيما حادا ، وحيث « تركت أقاليم ليبيا الثلاثة تحت ادارة الملكة المتحدة وفرنسا من خلال ثلاث نظم ادارية مختلفة وغير متشابهة ، وحتى بين الادارتين البريطانيتين في كل من طرابلس وبرقة لم تكن هناك سياسة

(١) تقرير اللجنة الرباعية التابعة للأمم المتحدة .

موحدة ، وبدا أمام مثل الأمم المتحدة في ليبيا اختلاف الادارتين فيما عدا أن التعليمات ترد اليهما من لندن • كما لم تكن هناك علاقات ادارية مباشرة بين كلا الادارتين البريطانيتين في طرابلس وبرقة ، والادارة الفرنسية في فزان ، رغم أن الحاجة الى تعاون الجانبين أمر ضروري لمصلحة ليبيا « (١) •

ثانيا - طبيعة الشعب العربي الليبي :

وثانى الملامح ذات التأثير على مستقبل التعليم في ليبيا هى طبيعة الشعب العربي الليبي والامكانيات المتاحة له ، فعدد هذا الشعب قليل بالنسبة للمساحة الواسعة التى تحدها حدود ليبيا ، تلك المساحة التى تحتاج الى سواعد كثيرة ومدربة من أجل استغلالها لمصلحة البشرية •• « ولا شك أن أهم شئ فى العصر الحديث فى ثروة الأمم هو القوى البشرية ، حيث أن هذا المصدر من الثروة هو الذى يتوقف عليه تحويل المصادر الطبيعية الى أشياء مفيدة يحسن استغلالها وتديرها وتوجيهها الى خير المجموع كما يتوقف عليه ابعاد الأمة عن أن تكون موضع أطماع الآخرين « (٢) •

وبالنسبة للقوة البشرية فى ليبيا فانه لم تجر عمليات تعداد السكان فى ليبيا بطريقة منظمة الا عام ١٩٥٤ م بمساعدة الأمم المتحدة « كما أن عمليات تسجيل المواليد ، والوفيات لم تبدأ بصورة منظمة الا فى سنة ١٩٢٧ ميلادية « (٣) وقد أظهر تعداد عام ١٩٥٤ الذى يعتبر أول تعداد شامل للمواطنين الليبيين فى كل أنحاء البلاد أن عدد السكان أقل من ١١ مليون نسمة بقليل ، وهو عدد ضئيل للغاية بالنسبة لمساحة ليبيا الشاسعة ، وكان توزيع معيشتهم فى أنحاء البلاد على النحو التالى : —

١ — فى طرابلس كان يعيش ٧٣٨٣٨٣ نسمة منهم ١٣٠ ألف نسمة

(١) U.N. : Supplementary report to the second annual report, P. 23.

(٢) د. الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى ص ١٣ .
(٣) أحمد الفنيش : المجتمع الليبي ومشكلاته ص ٢٣ .

يعيشون في مدينة طرابلس ذاتها ، والباقي يعيشون في القرى والمدن المحيطة بها والتابعة للاقليم •

٢ — وفي برقة كان يعيش ٢٩١٢٣٦ نسمة منهم ١٧٠ ألف نسمة في مدينة بنغازى والباقيون يعيشون خارجها •

٣ — وفي فزان كان يعيش ٢٩٣١٥ نسمة موزعين على واحاتها وسهولها وقراها ومدنها ••

ومعنى هذا أن عدد السكان بالتحديد — في ليبيا كلها — كان ١٠٨٨٩٨٨٩ نسمة « منهم حوالى ٧٤ فى المائة من السكان مستقرين ، و ١٨ فى المائة شبه رحل و ٨ فى المائة رحل • ويمكن القول بأنه حوالى ٢٥ — ٣٠ فى المائة من مجموع السكان يعيشون فى المدن ، وأن حوالى ٤٥ — ٥٠ فى المائة من مجموع السكان يعيشون فى المناطق الريفية ، والباقي وهو حوالى ٢٥ فى المائة رحل أو شبه رحل » (١) •

والسكان المستقرون هم الأفراد الذين يعيشون فى مساكن يأوون إليها طول العام ويمثلون فى سكان المدن من تجار وصناع وأصحاب حرف مختلفة وموظفين ، الى جانب سكان القرى الذين يتخذون زراعة الأرض حرفة أساسية لهم ويستقرون بجوارها • أما السكان شبه الرحل فانهم الرعاة الذين يتنقلون بين المراعى داخل حدودهم القبلية الادارية ، وقد يهاجر بعض هؤلاء الى المدن للاشتغال بالتجارة أو المهن الأخرى • أما السكان الرحل فانهم أولئك الذين يقضون معظم أوقات السنة فى التنقل بحثا عن المرعى اللازم لحيواناتهم فى المناطق التى تتوفر بها الأمطار وتوجد بها المراعى حتى ولو كانت خارج مناطقهم •

ومن دراسة توزيع السكان فى أنحاء ليبيا يتبين أن نسبة السكان الرحل فى برقة كبيرة حيث « تصل الى ٤٥ فى المائة من السكان ، فى حين أنها فى فزان لا تكاد تتجاوز ١٠ فى المائة ، وفى طرابلس حوالى ٢٥

(1) The Economic development of Libya, P. 28.

في المائة ، وأن نسبة المستقرين في فزان تبلغ حوالى ٩١ في المائة من مجموع سكان الولاية بينما لا تتجاوز ٧٥ في المائة في طرابلس ، وتهبط الى ٥٥ في المائة في برقة ، وذلك بسبب أن الحشائش الطبيعية في فزان لا تكفى لرعى القطعان الكبيرة من الماشية ، ولهذا نجد الاهتمام منصبا على الزراعة في هذه الولاية » (١) . الا أنه منذ ظهور البترول طرأ تغير كبير على توزيع السكان ، حيث لاحظنا أن نسبة السكان الرحل وشبه الرحل أخذت تنكش في حين أخذ عدد سكان المدن يتطور بسرعة ، خاصة وأن أهل فزان نظرا لفقير بلادهم « يسعون للهجرة الى طرابلس أو برقة أو تونس ، وهذه الجهات الثلاثة هي مركز جاذبية للمهاجرين من فزان » (٢) .

ولعل طبيعة الأرض الصحراوية الشاسعة و فقرها من حيث مصادر المياه هي المسئولة عن قلة عدد السكان الذين يعيشون على سطحها ويبارسون نشاطهم فوقها ، هذا الى جانب ما قاسته البلاد في سنوات المجاعات بالاضافة الى وجود وادى النيل الأخضر في الشرق ، وتونس الخضراء في الغرب ، أماكن يهاجر اليها من يشعر بعجزه عن الحياة المأمونة على أرض ليبيا وفرارا من المجاعات المتكررة ، ثم حرب الابدانة التي شنتها ايطاليا الفاشستية ضد الشعب العربى الليبى ، وأخيرا « ما قاسته البلاد من أهوال الحرب العالمية الثانية المدمرة » (٣) . الى جانب أن معدل الزيادة في عدد السكان حوالى « واحد وربع في المائة في السنة ، وهو رقم ضئيل للغاية بالمقارنة بمعظم دول شمال أفريقيا الأخرى والشرق الأوسط » (٤) . وبالتالي يؤثر على التخطيط للمستقبل باعتبار العنصر البشرى هو ركيزة كل تخطيط للتقدم في المستقبل .

واذا كانت هذه ظروف وطبيعة الشعب العربى في ليبيا في وقت تتطلع

(١) احمد الفنيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ٢٥ - ٢٦ .

(2) U.N. : General Assembly, official records, annual report of the French G., P. 8.

(3) UNESCO : Report of the Mission to Libya, P. 8.

and : Report of the U.N. ... by Carter Goodrich.

(4) The Economic development of Libya, P. 28.

فيه لييبا الى مستقبل مشرق فان هناك عدة عوامل لها دخل كبير في التخطيط للمستقبل ، وأعنى بها العادات والتقاليد والظروف الاجتماعية وموقفها من الثقافة العربية الاسلامية في عالم متغير ، اذ تشيع بعض العادات والتقاليد والظروف الاجتماعية التي تعوق حركة التقدم في المجتمع الليبي « ولا يخفى علينا أن كثيرا من هذه العادات والتقاليد ولدت في ظروف اجتماعية معينة كانت نتيجة أوضاع تاريخية مظلمة ، خصوصا في العهدين التركي والايطالى اللذين أثرا تأثيرا جوهريا في أوضاع الانسان الليبي السياسية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية » (١) مما ساعد على عدم تقبله بسهولة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي يتطلبها المجتمع في تغيره باعتبار أن التغير لا الثبات « أصبح معيار حقيقة الوجود وطاقته ، وأن التغير موجود في كل مكان ، والقوانين التي يعنى بها رجال العلم قوانين حركة وتوالد وتقال » (٢) .

ان وجود بعض العادات الاجتماعية والاتجاهات المكتسبة بين أفراد المجتمع الليبي تشكل عائقا للتقدم الاقتصادي والاجتماعي مما يحتاج الى نوع خاص من الجهد التعليمي ، ومن أمثلة هذه الاتجاهات والعادات « اتجاه الليبيين نحو العمل — وهو اتجاه ليس في مصلحة العمل — وقد تكون عبر القرون التي حكمت فيها ليبيا قوى أجنبية ، واتجاههم نحو التمسك بجو الخرافات السائد ، والتعود على عدم الاهتمام بالوقت وعدم مراعاة مصلحتهم » (٣) . وكل هذه الأمور بالاضافة الى العوامل الطبيعية التي يعيشون متأثرين بها تحتاج من الليبيين الى « جهد أكبر ولفترة طويلة ويسعى الى التحسين » (٤) .

ورغم أن الشعب العربي الليبي عاش منذ الفتح العربي الاسلامي في شكل قبائل لها مضاربهها وأوطانها الصغيرة داخل الوطن الليبي ، الا أن تعرض الليبيين للمظالم والقسوة في العهد التركي ، وللارهاب بل والابادة

(١) أحمد الفنيش : المجتمع الليبي ومشكلاته — ص ٤٦ .

(٢) د. الهادي عفيفي : التربية والتغير الثقافي ص ٣ .

(٣) UNESCO : Report of the Mission to Libya, P. 14.

(٤) Ibid, P. 14.

في عهد الاحتلال الايطالى للبلاد قد وحد بينهم الى حد كبير رغم محاولات الادارتين الفرنسية والبريطانية للتفريق بين أبناء الوطن الواحد ، وكانت حالة الليبيين في الأربعينات من القرن العشرين تكاد تكون واحدة من حيث المستوى الاجتماعى والارتباط بين بعضهم البعض ، فقد كانت غالبية أفراد الشعب العربى الليبى تعيش عيشة كفاف ، رغم وجود قلة تعيش فى يسر ولكنه كان محدودا ، واختلطت الأنساب فلم يعد البربر أو الزوج أو القول أوغلية يشكل كل منهم عنصرا مغلقا على نفسه بل امتزجوا بالعرب جنسا وثقافة •

ثالثا - ضعف الاقتصاد الليبى :

وثالث الملامح ذات التأثير فى مستقبل التعليم فى ليبيا هو ضعف الاقتصاد الليبى ضعفا مؤثرا فى أية خطط للمستقبل ، ومن المعروف أن مقومات الاقتصاد الليبى تعتمد على بعض الزراعة البسيطة والتجارة غير المزدهرة فى المدن الساحلية بصفة خاصة ، أما الصناعة فلا توجد سوى بعض الصناعات اليدوية الوطنية، ومن المعروف أن القوى الأجنبية التى سيطرت على البلاد لم تفعل شيئا من أجل انعاش الاقتصاد الليبى وان كانت قد بذلت جهودا فى هذا المجال فقد كان لمصلحتها ، فسيطرة الطليان مثلا على الأرض الصالحة للزراعة واستغلالها لمصلحتهم تحقيقا للحقيقة القائلة بأن « الطبقة المسيطرة المستغلة فى أى فترة وفى أى مجتمع تستمد عناصرها ومركزها السياسى والاقتصادى من تحكمها فى وسائل الانتاج ، فتوجهها لتنظيم علاقات الناس الانتاجية وتحقيق مصالحها الخاصة وضمان أعظم فائدة وربح لنفسها » (١) •

لقد تركت القوى الأجنبية تأثيراتها السيئة على الاقتصاد الليبى حتى أوضح تقرير بعثة اليونسكو الى ليبيا أن « رفع مستوى المعيشة عند الليبيين لن يكون أمرا سهلا لأن الاقتصاد الليبى يقدم فرصا ضئيلة للعمل » (٢) • الى جانب بقاء الحقيقة الثابتة عبر التاريخ الى الأربعينات

(١) د. الهادى عفيفى : التربية والتغير الثقافى ص ١٣١ •

(2) B. Higgins : The economic and social development of Libya, P. 18.
and UNESCO : Report of the Mission to Libya, P. 10.

من القرن العشرين أن ليبيا بلد فقير بصحراء متسعة ، والدخل القومى بها من أدنى الدخول فى العالم وهذا يوضحه « الفقر الكبير فى المصادر الطبيعية ، فلم يتم اكتشاف مواد خام تحت التربة بكميات اقتصادية من حيث النوع والاتاج التجارى ، كما أن التربة نفسها فقيرة بصفة عامة والمياه الجوفية غير كافية للزراعة ، وسقوط المطر غير مستمر وغير كاف ، والمواطنون لا ينقصهم التعليم العام فقط بل التدريب الفنى والتخصصى أيضا » (١) •

وكان هذا فى وقت يعتمد فيه الاقتصاد الليبى اعتمادا أساسيا على الزراعة والرعى « وكثيرا ما تتعرض محاصيل المزارع وحيواناته الى الضياع بسبب تذبذب الأمطار ، ولهذا فان امكانيات الفرد المالية ضعيفة جدا لا تمكنه من استئجار العمال لانجاز أعماله الزراعية والرعية » (٢) •

وتبعاً لهذا الفقر فى الاقتصاد الليبى فان أية خطط توضع للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ليبيا لا بد وأن توفر عنصرين أساسيين : أولهما تدريب فنى مرتبط بنظام تعليمى توضع برامجه للمدى الطويل ، وثانيهما تقديم مساعدات مادية الى ليبيا دون المساس بسيادتها الوطنية وأن تكون هذه المساعدات كافية وتبعاً لخطة تهدف الى زيادة الدخل القومى •

ان فقر ليبيا فى الخبرة الفنية مرتبط أشد الارتباط بما لاقاه التعليم من اهمال من القوى المسيطرة على البلاد فى تاريخها الحديث والمعاصر ، فان وجود ٩٠ فى المائة من أفراد الشعب العربى الليبى أميون — كما جاء فى تقرير بعثة اليونسكو الى ليبيا عام ١٩٥١ م — ارتبط بسياسة الاحتلال فى العهدين التركى والايطالى ثم فى عهد الادارة الانجليزية والفرنسية ، فقد لجأ الاستعمار الى « قفل منافذ التعليم الفنى على أبناء البلاد فى الداخل والخارج ، ولم يسمح للعناصر الوطنية الا بتولى

(1) U.N. : Supplementary report to the second annual report ... P. 15.

(٢) احمد الفينيش : المجتمع الليبى ومشكلاته — ص ٢٦٨ •

الوظائف البسيطة المحترقة التي تتسم بالخمول وتضييع الوقت وعدم استخدام الفكر ، كمهنة الحارس والمباشر والكتاب البسيط » (١) •
واليوم نشعر بفداحة هذه السياسة التي اتبعها الاستعمار •

ومن المعروف أن هناك ارتباطا بين التعليم ونمو الدخل القومي لأن تنمية الدخل تعتمد على وجود القدرة الفكرية الفاعلة ، وهذه القدرة العقلية الفاعلة تنمى عن طريق التعليم ، ورغم أن الخبراء « لم يروا امكانيات للتوصية بخطط كبيرة جدا تقدم أملا في عائد سريع بسبب عدم وجود امكانيات لها وزنها للصناعات الثقيلة ، وعدم وجود كشوفات فنية وعلمية تسمح بدخل جديد ، وليست هناك فرص كبيرة تقدم أملا في الشراء والرفاهية للمواطنين الليبيين » (٢) • فان تنمية المهارة البشرية وتدريبها وتنمية القدرات العقلية عن طريق التعليم ستؤدي بالتالي الى خلق الثروة المادية أو بعبارة أخرى زيادة الدخل القومي •

ولا شك أن سبب وجود دول متقدمة ودول أقل تقدما يرجع الى تنمية رأس المال البشرى « فقد وجد أن نسبة الاستثمار في هذا الرأس مال في الدول المتقدمة قد بلغت ٣٠ في المائة في حين أنها لم تتجاوز في الدول النامية أكثر من ٣ في المائة » (٣) • وهذا ما يمكن أن نلاحظه في ليبيا حيث « أن المواطنين الذين تبلغ نسبة الأمية بينهم ٩٠ في المائة وتنقصهم الخبرة الفنية ، لا يمكن زيادة مصادرهم المحدودة زيادة كبيرة ، أو ادارة أعمالهم بنجاح كبير بالنسبة للمستوى العالمى دون تنمية القدرات العقلية عن طريق التعليم والتدريب » (٤) •

رابعا - وجود أقليات غير ليبية :

ورابع الملامح ذات التأثير في مستقبل التعليم في ليبيا هي وجود أقليات غير ليبية تعيش متمتعة بامتيازات منحت لها دون حق واضح وعلى

(١) أحمد الفينش : المجتمع الليبي ومشكلاته ص ١٦٦

(٢) U.N. : Supplementary report to the second annual report ... P. 15.

(٣) أحمد الفينش : المجتمع الليبي ومشكلاته ص ١٦٧ •

(٤) Ibid, P. 16.

حساب الشعب العربي الليبي ، فلقد استفاد الأجانب وغير الليبيين العرب من الامتيازات الممنوحة من قبل الدولة العثمانية للأجانب المقيمين بولايات الدولة استفادة كبيرة جعلت هذه الجاليات الأجنبية طبقة متميزة داخل المجتمع .

وأهم هذه الأقليات التي تمتعت بقدر كبير من النفوذ والسلطة في ليبيا هي الأقلية اليهودية ثم الجالية الإيطالية التي وجدت قبل الاحتلال الإيطالي ثم زاد عددها واتسع نفوذها أثناءه وبعده . أما اليهود فانهم وفدوا الى ليبيا — وبصفة خاصة اقليم طرابلس — بعد ما تعرضوا له في أسبانيا وغيرها من الدول الأوروبية من اضطهاد واستقروا في أهم المدن الليبية وأخذوا يسيطرون على النواحي الاقتصادية في البلاد ويمارسون عن طريقها تأثيرا على كل حكم قائم بما يتفق مع مصالحهم ، وقد وجد هؤلاء اليهود التشجيع من قبل كل من الأتراك والإيطاليين والانجليز حتى بلغ بهم الأمر أنهم كانوا واسطة لقضاء مصالح المواطنين الليبيين لدى السلطات الحاكمة .

أما الطليان فقد زاد عددهم زيادة ملحوظة في العهد الإيطالي الفاشستي حتى بلغ عددهم في ليبيا « عام ١٩٤١ م ١١٠ آلاف إيطالي منهم ٧٠ ألف إيطالي في اقليم طرابلس » (١) . وبعد انتهاء الحكم الإيطالي وقيام الإدارتين الانجليزية والفرنسية في ليبيا استمر الطليان يحتلون مركزا خاصا في الاقتصاد الليبي ، وتبعاً « لاحصاء عام ١٩٥٤ م كان هناك ٣٨ ألف إيطالي مازالوا يعيشون في البلاد الليبية وبصفة خاصة في اقليم طرابلس ، ويعيش ثلثا هذا العدد داخل مدينة طرابلس وفي ضواحيها ، والباقي يعيشون في المستعمرات الزراعية التي أقامتها لهم الحكومة الإيطالية قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، ومازال هؤلاء الإيطاليون يحتفظون بجنسيتهم الإيطالية » (٢) .

وقد سيطر الإيطاليون على كل المجالات التي تتطلب الخبرة الفنية

(1) The economic development of Libya, P. 25.

(2) Ibid, P. 21.

في البلاد سواء في القطاع الحكومي أو القطاع الخاص الحر ، وحرّم أبناء البلاد وأهلها ليعيشوا في خدمة هؤلاء المسيطرين « وقد جهل الايطاليون السكان — الليبيين — لا في شئون العلم فقط ، ولكن في كل ناحية من نواحي العمل الماهر ، وقد امتص الايطاليون عصارة القوم جيلا كاملا فتركوهم وكأنهم فقدوا نشاطهم » (١) • وحتى في عهد الادارتين الانجليزية والفرنسية استمر الطليان في احتكار المكانة الممتازة التي تمتعوا بها من قبل ، وقد وجدوا من الادارتين تأييدا وموافقة ، كيف لا وقد كان المخطط الاستعماري يهدف الى اعادة طرابلس لتخضع ثانية للحكم الايطالي •

ولذلك فان أى تخطيط للتعليم كان عليه أن يضع في اعتباره وجود هاتين الطائفتين : اليهود والطليان وتأثيراتهما على الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية للمواطنين أبناء الشعب العربي الليبي بما يضمن عدم سيطرة هذه الأقليات على أمور البلاد الثقافية والاقتصادية بصفة خاصة •

٢ — المشكلات التعليمية التي تعوق التنمية :

بعد أن استعرضت أهم ملامح الحياة في ليبيا ذات التأثير على التعليم ومستقبله ، يأتي دور مناقشة أهم المشكلات التربوية والتعليمية ذات الجذور التاريخية ، والتي هي والملاحم موضع اعتبار المخططين لمستقبل التعليم في ليبيا • وأهم هذه المشكلات هي :

أولا — مشكلة تفشى الامية بين الليبيين :

حددت تقارير هيئة الأمم المتحدة في أعوام ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ان أكثر من ٩٠ في المائة من المواطنين الكبار أميون وأن القضاء على الأمية يتم عن طريق « تدير فرص التعليم الأولى — لأبناء الشعب — وتنمية عامة لعقول وأجسام المواطنين الليبيين ، كل هذا من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في هذا القطر » (٢) • لأن

(١) د. نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال ص ١١٧ .
(٢) UNESCO : Report of the mission to Libya, P. 13.

التعليم بفهمه الشامل ضروري للصغير والكبير لكي يعيشوا « آدميين ولا يعيشوا على المستوى المادي كما تعيش الكائنات الحية الأخرى ، وانما لا بد لهم من الاندماج في حياة الجماعة أى في مصالحها وأهدافها ومهاراتها وأساليبها ، وبدون ذلك تنقطع أسباب الوجود الاجتماعى لهؤلاء الأفراد ، وتتفتى عنهم الصفة الاجتماعية » (١) • ومن ثم فان القضاء على الأمية يقتضى القيام فى آن واحد بعمليتين متكاملتين متساندتين ، وهما نشر التعليم الابتدائى بين الأطفال ، وازالة الأمية بين الراشدين بصورة مخططة منظمة •

ومن استعراض جهود نشر التعليم الابتدائى فى عصور السيطرة الأجنبية على البلاد لاحتظنا أن القوى المسيطرة لم تكن تعنى بنشر التعليم بين أبناء الوطن اللبى ضمانا لبقاء سيطرتها واستغلالها ، ولست بحاجة هنا الى أدلة فقد سقتها بالتفصيل عند الحديث عن التعليم فى العصرين التركى والايطالى بصفة خاصة •

وما يهنا أن نوضحه الآن أنه فى الوقت الذى كانت تحاول فيه ليبيا التخلص من السيطرة الأجنبية ثبت أن أكثر من ٩٠ فى المائة من أفراد الشعب الراشدين أميون ، هذا فى حد ذاته دليل قوى يؤكد مسئولية عصور الحكم الأجنبى عن ارتفاع هذه النسبة ، ويمكن أن تزيد هذه النسبة اذا أخذنا فى الاعتبار الأمية بمفهومها الشامل أى الأمية الصحية والأمية الثقافية والأمية الاقتصادية ، والأمية الاجتماعية ، ومن الملاحظ أن قوى السيطرة الاجنبية لم تكن تهتم بمحو هذه الأمية اذ أنها كانت مهتمة فقط بالحفاظ على الحكم والسيطرة على مصادر الثروة والعمل على ابقاء السكان باستمرار فى حالة فقر وجهل ، وفى عزلة تامة عن التطورات والتغيرات الحضارية فى العالم •

ولعل أهم عناصر الأمية فى ليبيا عنصران : الأول عدم وجود الزام للأطفال فى سن المدرسة الابتدائية ، والعنصر الثانى احجام الآباء عن تعليم بناتهم ••• ان عدم وجود الزام للآباء لارسال أبنائهم متى بلغوا

(٢) د. الهادى عفيقى : التربية والتغير الثقافى ص ٨٠ .

سن دخول المدرسة الابتدائية يرجع الى عوامل تاريخية ويرتبط بسياسة القوى الأجنبية التي تسيطر على البلاد ، فمن المعروف أن هذه القوى الأجنبية لم تكن توفر فرص التعليم الابتدائي أو غيره أمام جميع أبناء الشعب ، ولم تكن تشجع على تعليم هؤلاء الأبناء ، ومن ثم فلا مجال لوجود الزام ، لأن الازمام ذو شقين : الشق الأول الزام للحكومة لكي توفر مكانا بالمدارس لكل طفل يبلغ سن دخول المدرسة ، والشق الثاني الزام الأب بأن يبعث بابنه الى المدرسة متى بلغ سن الازمام . . وما دام الشق الأول — وهو الزام الحكومة — لم يكن موجودا بسبب سياسة القوى الأجنبية التي لا تشجع تعليم الشعب ، فلم يكن هناك بالتالي تفكير في وجود الجانب الثاني وهو الزام الآباء .

أما العنصر الثاني للأمية في ليبيا فهو احجام الآباء عن تعليم بناتهم ، بحيث أصبح الجهل هو حياة المرأة في ليبيا لأن الرجل فرض عليها هذه الحياة ، ومن المعروف أن المرأة تشكل نصف المجتمع ، ووجود نسبة عالية من الأمية بين النساء خطر كبير يعوق تربية الأبناء ، ويؤثر من جهة أخرى على التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وسنزيد الأمر تفصيلا في موضوع خاص عن تعليم البنت .

ثانيا - تعليم البنت :

لقد أدى تعرض ليبيا في عصورها التاريخية الحديثة والمعاصرة للسيطرة من قبل قوى أجنبية الى انزال أهلها عن التطورات الحضارية السائدة في العالم ، والى مزيد من المحافظة على كل تقليد وعادة أثبتت تطور الزمن أنها غير صالحة ، ومع ذلك فانه « تبعا لعادات أهل البلاد فلا مجال للدهشة لتخلف تعليم البنت » (١) في ليبيا عن الولد ، الى جانب تخوف المواطن الليبي على ابنته من جو خلقى وعادات غريبة أتى بها أصحاب السيطرة على البلاد .

وقد تجلى هذا التخلف في التعليم الذي أتيح للبنت في المهدين

(1) UNESCO : Report of the mission to Libya, P. 23.

التركي والايطالى ، فلم تكن هناك مدارس خاصة بالبنات منتشرة في أنحاء البلاد ، حتى أن عدد البنات اللائى كن ينتظمن فى المدارس الابتدائية « عام ٤٢ / ١٩٤٣ م لم يزد عن ٤٠٤ تلميذة » (١) فى كل ليبيا ، وقد زاد هذا العدد « عام ١٩٥٠ / ١٩٥١ فأصبح ٢٩٢٣ بنتا ، ومع ذلك فان الانتظام لم يكن مرضيا ، فقد أثبتت الزيارات أن عدد البنات الحاضرات بالنسبة للغائبات فى بعض المدارس الليبية فى العام الدراسى ١٩٥٠ — ١٩٥١ كان على النحو التالى :

- ١ - مدرسة الزاوية للبنات : $\frac{1}{4}$ البنات حاضرات و $\frac{3}{4}$ عددهن غائبات
- ٢ - مدرسة جادو ٤٧ بنت حاضرة من ٧١ بنت مسجلة .
- ٣ - مدرسة زيتين ٣٠ بنت حاضرة من ٤٥ بنت مسجلة .
- ٤ - مدرسة الخمس ٦٤ بنت حاضرة من ٨٦ بنت مسجلة « (١)

ونسبة التغيب هذه ذات تأثير كبير ، وهى ترجع الى عدم تقبل الآباء لفكرة استمرار البنت فى مواصلة التعليم الى جانب العادات الشائعة بتزويج البنت فى سن مبكرة أو حجها عن الخروج من المنزل متى بدت عليها علامات البلوغ ودخلت طور المراهقة .

ولقد كان تخلف البنت فى التعليم غير قاصر على المدارس الابتدائية ، بل حتى على فرص التعليم لمراحل ما فوق التعليم الابتدائى ، حيث كان الاقبال على التعليم — بعد الابتدائى — ضئيلا للغاية . ولكن تبعا لمرور الزمن واختلاط أفراد الشعب العربى الليبى بغيرهم من أفراد الشعوب التى ضربت بسهم أكبر فى التقدم والتحضر ، وتبعاً لتوفر فرص تعليمية أكثر ، وتبعاً لارتفاع مستوى معيشة الأفراد ، فقد زادت « نسبة تعليم البنات من ١٣٧ فى المائة عام ١٩٥١ — ١٩٥٢ م الى نسبة ٢٣٢ فى المائة عام ١٩٦٤ — ١٩٦٥ من مجموع تلاميذ وتلميذات المرحلة الابتدائية » (٣) وهذا ييشر بمستقبل لا بأس به أمام تعليم البنت فى ليبيا اذا وضعت الخطط المنظمة والدقيقة لذلك .

(١) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : تعليم البنت فى ليبيا بحث رقم ٦ ص ٤ .

(٢) Ibid, P. 24.

(٣) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : تعليم البنت فى ليبيا ، المصدر السابق

ثالثا - التعليم الفنى والمهنى :

يلجأ كل مستعمر الى حرمان أبناء المستعمرة من التعليم العام ، والتدريب الفنى بصفة خاصة حتى تبقى السيطرة على المجالات التى تتطلب خبرة فنية فى أيدي الأجانب المسيطرين على مقدرات الأمور فى البلاد . . . وخلال سيطرة القوى الأجنبية على ليبيا حرم أهلها من تعلم علوم « الاقتصاد وفنون الادارة والعلوم الطبيعية والكيميائية والهندسية » (١) وغيرها من العلوم التى تكسب المواطنين الخبرة العلمية والعملية والفنية ، ولذلك وجدنا الأقلية اليهودية والجاليات الأجنبية وبصفة خاصة الجالية الايطالية فى ليبيا تسيطر على كل الأعمال الفنية التى تتطلب مهارة فنية ، وحرمان أصحاب البلاد من ممارسة هذه الأعمال واشاعة الأفكار الخاطئة بأن العربى لا يمكن ان يكتسب هذه المهارة الفنية ، وأن أداءه لعمل يتطلب هذه المهارة لن يصل الى مستوى أداء الفرد الأوروبى .

وتبعاً لذلك فقد ظهر أمام التخطيط للتعليم الفنى فى الخمسينات من القرن العشرين فى ليبيا عدة مشكلات أهمها بالنسبة للناحية الصناعية ما يلى :

« المشكلة الأولى : تتمثل فى النقص فى التجهيزات والمدرسين والجهاز الادارى والموارد المالية .

والمشكلة الثانية : تتمثل فى ضعف المعلومات العامة عند التلاميذ المرشحين للتدريب الفنى . وهذا الضعف راجع الى انخفاض المستوى التعليمى العام بين سكان ليبيا .

والمشكلة الثالثة : تتمثل فى عدم احتواء التعليم الابتدائى على أية دراسة عن أوليات التعليم الفنى أو أية حوافز للتلاميذ للبحث عن وظيفة فى فروع النواحي الفنية الاقتصادية .

والمشكلة الرابعة والأخيرة : تتمثل فى ابتعاد التلاميذ عن العمل اليدوى وتجنبهم له ، والبحث عن شغل وظائف ادارية ، وهذا يتفق مع نظرة معظم

(١) أحمد الفيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ١٦٦ .

شعوب دول الشرق الأوسط باعتبار العمل اليدوى أقل مرتبة من الوظيفة
الادارية « (١) » •

هذا فى مجال الصناعة ، أما المجال الزراعى فقد وجد أيضا حربا
لا هوادة فيها من القوى المسيطرة حتى بلغ الأمر بالسلطات الايطالية مثلا
أن تحرم أصحاب الأرض من مزارعهم وتستولى عليها وتعطيها للأسر
الايطالية التى تفد على ليبيا فى حماية الاحتلال الايطالى ، ومن ثم فلامجال
للاهتمام بالتعليم الزراعى ، هذا فى وقت تعتبر الزراعة هى عمود الاقتصاد
الليبى وأنه يجب الاهتمام بالزراعة اذا أريد للتنمية فى ليبيا أن تتحقق •

والى جانب سيطرة كثير من الطليان على أهم المزارع والاراضى
الزراعية فى ليبيا ، فان حرمان ليبيا من وجود « نقص فى اليد العاملة
المدربة فى الزراعة هى بلاشك احدى العقبات الكبيرة التى تواجه أية جهود
تهدف لتنمية مصادر الزراعة فى البلاد » (٢) • وهذا النقص يتمثل فى عدم
وجود مراكز لتدريب الأيدى العاملة ، كما يتمثل فى عدم توفر كوادر العمل
الزراعى من خبراء وفنيين ومساعدى ومعلمين ، الذين تقوم على أكتافهم
أية برامج تدريب زراعية •

ان أية خطط توضع للتنمية الاقتصادية فى ليبيا تتطلب توفير التدريب
الفنى الشامل لان ليبيا « فى أمس الحاجة الى الصناع الأكفاء كالميكانيكيين
والخراطيين والكهربائيين والسمكريين والنجارين وصانعى الطوب وغير
ذلك ، كما تحتاج أيضا الى العمال الزراعيين المهرة والمرشدين والفنيين من
المستوى المتوسط (كمساعدى المهندسين والمساحين والرسمين وغيرهم)
ولمثل هؤلاء الأشخاص قيمة بالنسبة للاقتصاد فى الوقت الحاضر أكثر من
الموظفين الكتبة (الاداريين) كما أن الحاجة اليهم أكبر » (٣) •

وهكذا تمثلت مشكلة عدم الاهتمام بالتعليم الفنى فى مجالى الصناعة
والزراعة ، والذى أنتاج نقصا فى الأيدى العاملة المدربة التى تحتاج اليها

(1) UNESCO : Report of the mission to Libya, P. 67.

(2) Ibid. P. 80.

(٣) البنك الدولى للانشاء والتسمير : التنمية الاقتصادية فى ليبيا ص ١٧٦

البلاد الليبية في نهضتها ورغبتها في التحرر من سيطرة القوى الأجنبية ، وبقيت المزارع والورش والمصانع والوظائف الحكومية الفنية في حاجة الى من يشغلها من أبناء البلاد المدربين ليحلوا محل الأجانب الذين سيطروا على هذه المجالات ردحا من الزمن وحرموا أبناء البلاد من ممارسة العمل بهذه المجالات .

رابعا - تدويل التعليم :

لم يحدث في تاريخ ليبيا الحديث ، وبصفة خاصة في عهود السيطرة الأجنبية ، أن نظمت القوى المسيطرة تمويل التعليم ، لأنه لم يكن من سياستها اتاحة فرص التعليم أمام أبناء الشعب العربي الليبي ، فلم تساعد الدولة العثمانية على انشاء المدارس والصرف عليها ، ولولا قيام الأهالي من أبناء الشعب الليبي بالتبرع وايقاف الأوقاف على المدارس ، والصرف على انشاء المبنى وتجهيزاته ، ودفع راتب المعلم ، لولا هذا ما قامت للتعليم قائمة في البلاد ، وقد سبق أن ذكرت ذلك تفصيلا عند الحديث عن التعليم في العصر التركي .

وكذلك الحال في عهد الاحتلال الايطالى للبلاد ، فقد استولت سلطات الاحتلال الايطالى على ايرادات الأوقاف المحبوسة على المدارس والمساجد لتنفق بعضها على العدد الضئيل من المدارس التى سمح بوجودها لقبول بعض أبناء الوطن الليبي فيها ، ومعنى هذا استمرار مشكلة تمويل التعليم وتحمل الشعب للصرف على التعليم بالتبرعات وأوقاف أهل الخير ، بينما كان تلاميذ الكتاب يتكفلون بدفع نفقات تعليمهم لمشايخ الكتابيب .

وفي مطلع ليبيا الى التحرر من السيطرة الأجنبية ورغبتها في تعليم أبنائها ، فقد قدمت الأمم المتحدة ومنظماتها عدة مشروعات للتنمية الاقتصادية والاجتماعية المستندة الى اتاحة فرص التعليم أمام أبناء الشعب وقد أكد رئيس بعثة الأمم المتحدة للتقرير عن أحوال ليبيا الاقتصادية والاجتماعية عام ١٩٥٠ م أنه « لا يمكن أن تحتفظ ليبيا باستقلالها دون نكوص ما لم تنل مساعدة مالية كبيرة » (١) وبالفعل فقد قدمت بعض الدول

(1) Carter Goodrich : Report of the U.N.

مساعدات مالية وفنية « وكان من بين هذه الدول مصر وفرنسا وإيطاليا والباكستان وتركيا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية » (١) .
وان كانت المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية قد لعبت دورا أكبر في مساعدة ليبيا فان ذلك كان « لأن ليبيا منحها حقوق الاحتفاظ بقواعد عسكرية في البلاد » (٢) .

ومع ذلك فان هذه المساعدة المادية والفنية يجب أن تستمر لفترة طويلة كما أنه لا يمكن الاسراع في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاستفادة منها اذا تعدت سرعتها سرعة توفر الموظفين الاداريين والفنيين المدربين الذين سيضطلعون بإدارة شئون تلك التنمية وتنفيذ مشروعاتها ، وعلى هذا فقد وصل الباحثون في موضوع التنمية الاقتصادية والاجتماعية في ليبيا الى حقيقة أنه بالنسبة « للوقت الحاضر - عام ١٩٥٠ م - والمستقبل القريب فان ليبيا لا يمكنها التقدم كثيرا وسريعا في برامج التنمية ما لم يعمل التدريب الناجح على زيادة انتاجية الشعب الليبي » (٣) .

ومهما كان مقدار الأموال المتوفرة للصرف على التنمية في ليبيا ، سواء كانت من المعونة الخارجية أو من إيرادات محلية ، فانه « لا يمكن انجاز أى برنامج تعليمي خلال فترة خمس أو عشر سنوات وأنه لن يمكن رؤية نتائجه الكاملة الا بعد عشرات السنين » (٤) لأن البلاد تعاني فقرا واضحا في مختلف نواحيها ، والصرف على التعليم يتأثر بمقدار الأموال المتوفرة ، وأوليات الصرف ، ووجود الامكانيات أو عدم توفرها ، ووجود الخبرات المحلية أو الأجنبية التي تساهم في الاشراف على تنفيذ البرامج التعليمية .

ولقد استتبع الاقبال على التعليم بعد انتهاء عهود السيطرة الاجنبية على البلاد أن واجه المسئولون عن التعليم مشكلة تمويل التعليم بما يتفق مع آمال المواطنين ومتطلباتهم . في وقت لا تتوفر الموارد المالية المحلية من أجل التنمية الاقتصادية والاجتماعية . . لقد ورثت ليبيا نقصا في كل ما يمت

(١) البنك الدولي للانشاء والتعمير : التنمية الاقتصادية فى ليبيا ص ٢٩ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) U.N. : Supplementary report to the second annual report ... P. 16.

(٤) The economic development of Libya, P. 8.

الى الخدمة التعليمية بصلة •• ورثت نقصا في المباني المدرسية يستدعى بناء مدارس جديدة واصلاح المباني القائمة ، وورثت نقصا في الأجهزة والأدوات المستعملة في التدريس بل خلت المدارس القائمة من مثل هذه الأجهزة والأدوات الى جانب ضرورة توفيرها لتخدم الأعداد المتزايدة من التلاميذ الذين يفدون الى المدارس •

وعند التخطيط للتعليم في مستقبل الحياة الليبية يجب اعطاء تمويل التعليم بمختلف أنواعه ووسائله الأهمية اللازمة باعتبار أن الصرف على التعليم له عائد ، وان كان من الضروري الاهتمام بالتعليم حبا في العلم ، في حد ذاته « وليس لمجرد كونه عاملا يساعد على زيادة الانتاج القومي ، لأن بعض أنواع التعليم قد لا تساعد في زيادة الانتاج على الاطلاق ، في المدى القصير على الأقل » (١) • ومن ناحية أخرى فقد « تتعرقل جميع الجهود التي تبذل لتنمية البلاد بسبب عدم توفر الكفاءات العالية التي لا يسكن احرازها الا بعد سنوات عديدة من الدراسة والتدريب » (٢) • وهذا دليل على أهمية الصرف على برامج التعليم وخطته في المستقبل من أجل نشره وتعميمه نوعا وكما بما يتناسب مع بناء الدولة وتقديمها في عصر تعتمد فيه الشعوب على التعليم في هذا العالم المتطور النامي ، وترصد له كل دولة الأموال الكافية للنهوض به ونشره بين مواطنيها •

خامسا - التعليم العالي :

لم تشهد ليبيا في تاريخها حتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين تعليما جامعا ، ولقد سبق أن أوضحت سياسة كل من الدولة العثمانية ، ثم الاحتلال الايطالي ومن بعده عهد الادارتين الانجليزية والفرنسية نحو التعليم الجامعي ، فقد حرمت البلاد في العهد العثماني من أى تعليم عال ، وكان القلة من الطلبة الليبيين الذين يتمون الدراسة في المدارس الرشدية أو الاعدادية - وبصفة خاصة العسكرية - والذين يستطيع أهلهم صرف عليهم يذهبون الى التعليم في المدارس العليا باستانبول •

(1) The economic development of Libya, P. 252.

(2) Ibid, P. 252.

كما أن الاحتلال الإيطالي لم يسهم في ايجاد تعليم عال أمام الطلاب الليبيين ، بل لم يسهم حتى في وجود مدارس ثانوية ، واكتفى ببعض المدارس الابتدائية ، وعندما انتهى الاحتلال الإيطالي وجاءت الإدارتان الإنجليزية والفرنسية الى البلاد لم تفعل شيئاً في هذا المجال الا أنه حدث أن « أعطيت فرصة الدراسة بالجامعات لعدد من الطلبة الليبيين لا يتجاوز عدد أصابع اليدين» (١) الذين سمح لهم بمواصلة دراستهم العليا في الخارج في وقت يستعد أبناء ليبيا لبنائها بعد انتهاء عهد السيطرة الأجنبية .

وهذا النقص في عدد الخريجين المترتب على عدم توفر التعليم الجامعي بليبيا يستلزم تقديراً عند تخطيط التعليم للمستقبل ، على أن يقوم هذا التخطيط على ارتباط التعليم الجامعي ببقية أنواع التعليم الأخرى وارتباطه بخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد حتى يمكن تحديد الأعداد المطلوبة من الخريجين وتوفير المجالات التي يعدون من أجلها بما يتفق مع احتياجات البلاد الفعلية في مرحلة بنائها .

وبهذا تتحدد مشكلة النقص في التعليم الجامعي في ليبيا الذي لا يمكن أن يغفله أى تخطيط للتعليم ، ومهما قيل عن حاجة ليبيا أولاً الى توفير التعليم الفنى والتدريب المهني في مراحل التعليم دون الجامعية فان التعليم الجامعي لا بد من توفيره أمام أبناء الوطن ، وعدم توفيره فيه انتقاص للسلم التعليمي وتكافؤ الفرص ، ولتلبية احتياجات البلاد من الخبراء والمتخصصين ذوى القدرات العقلية والامكانيات العلمية العالية ، سواء في الجوانب الفنية أو الادارية أو الاجتماعية .

ويتصل بالتعليم الجامعي اتاحة فرص الدراسة بالخارج للحصول على مؤهلات عالية لا تتوفر بالبلاد ، وفرصة السفر هذه ترتبط باحتياجات البلاد في جوانب التخصص الفنى والمهني والادارى اللازم لبناء الدولة في نموها وتطورها ، على أن يختار هؤلاء من العناصر التي يمكنها الاستفادة من هذه الدراسة والذين يستطيعون تقديم خدماتهم كاملة في المجالات التي يتخصصون فيها .

(1) Ibid, P. 8.

٣ - التخطيط للتعليم :

بعد أن استعرضنا الملامح ذات التأثير على مستقبل التعليم في ليبيا ، والمشكلات التعليمية الناتجة من تأثيرات العوامل التاريخية التي مرت بالبلاد ، بعد أن استعرضنا كل ذلك يأتي دور الحديث عن مستقبل التعليم في ليبيا ووضع التخطيط اللازم له . ووضع هذا التخطيط يتطلب اتخاذ الاجراءات التالية :

أولا - نشر التعليم الابتدائي وتطبيق مبدأ الازمام فيه :

اجتازت ليبيا بنهاية عصور السيطرة الأجنبية مرحلة تاريخية مظلمة لتبدأ مرحلة أخرى تحتاج الى جهد كل مواطن ، فان ليبيا مع قلة حجم سكانها واتساع رقعتها الجغرافية ، وندرة مختلف المهارات والكفايات الفنية المطلوبة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، يتصاعد طموحها وتزايد آمالها وتطلعاتها في سباق مع الزمن لتساير ركب الحضارة العالمية ولتتعاش مع عصر العلم والتكنولوجيا الى جانب سعيها الدائب لتوفير حياة أفضل للمواطنين تتكافأ فيها أمامهم الفرص .

ولذلك فانه بعد التخلص من الاستعمار الايطالى عام ١٩٤٣ أنشئت عدة مدارس ابتدائية في أهم المدن الليبية استجابة لاقبال أبناء الشعب على التعليم حتى « بلغ عدد هذه المدارس الابتدائية في العام الدراسى ١٩٥٠ - ١٩٥١ م ١٩٤ مدرسة » (١) . الا أن التوسع المستمر في التعليم الابتدائى يعتبر أمرا لا بد منه « كأساس للمواطنة ، وكأساس أيضا لخلق قاعدة عريضة تنهيا عليها مطالب القوى العاملة فيما بعد ، وهو ضرورى أيضا لقطع جذور الأمية من أصولها ، وباعتباره القاعدة الاساسية للهرم التعليمى » (٢) .

ورغم أن التعليم الابتدائى يبدو قاعدة تزداد فى اتساعها وعرضها الا « أنه قليل الانتاج بالنسبة لهذا الاتساع ، وبالنسبة لحاجة مراحل

(١) أحمد الفيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ، ص ٩٤ .
(٢) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : التعليم والخطوة الخمسية الاولى ص ١٠ .

التعليم المختلفة الى أعداد متزايدة من الطلاب يمكن أن تتحول الى قوى عاملة في المجتمع على جميع المستويات المطلوبة فنيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا « (١) ولعل السبب في هذه الظاهرة يرجع الى عدة عوامل تؤدي الى حدوث فاقد كبير خلال سنوات المرحلة الابتدائية .

ومع ذلك فان تاريخ التعليم في المجتمعات المختلفة يؤكد « أن التعليم الابتدائي بصفة خاصة يعتبر المجال الذي تنعكس عليه عوامل الضعف أو القوة التي يعيشها شعب من الشعوب ، فهو دائما من أهداف المستعمر اذا ما تغلب على شعب من الشعوب ، فيقلل من شأنه ويعرقل تقدمه ويحيطه بالقيود والصعوبات ، وهو كذلك موضع اهتمام الحكومات بعد الحروب والأزمات ، كما أنه محط آمال الشعوب اذا نالت استقلالها وملكت تقرير مصيرها وبدأت في تكوين شخصيتها القومية وثقافتها الوطنية » (٢) .

وبالنسبة لليبيا فان تعميم التعليم الابتدائي بين المواطنين لا بد أن يتبع احدى طريقتين متبعين في الأقطار المتخلفة تعليميا « الطريقة الأولى طويلة المدى وتعمل على توفير تعليم ممتاز لأعداد محدودة فقط ، والطريقة الثانية تقوم على توفير التعليم الابتدائي لأعداد كبيرة من التلاميذ » (٣) ونشر التعليم الابتدائي في ليبيا يحتاج الى وقت طويل لذلك يجب أن يسير نشر التعليم الابتدائي على « نحو تدريجي » كما لا بد من تركيز الاهتمام في هذه الأثناء على الاجراءات الخاصة بتحسين مستوى التسهيلات التي تقدم للتلاميذ ، كما ينبغي أن يوجه مزيد من الاهتمام في المناهج الى التدريب العملي في الحياة اليومية ، ولا بد من زيادة عدد المدرسين المدربين تدريبا كافيا ، كما ينبغي توفير مزيد من المعدات المدرسية الحديثة ، وكذلك الكتب المدرسية والوسائل التعليمية ، والى مزيد من المباني المدرسية الصحية » (٤) .

(١) المصدر السابق ص ١١

(٢) د. الهادي عفيفي : التعليم الابتدائي في ليبيا ، محاضرة في برنامج تدريبي .
(3) U.N. : General Assembly, Official records (1950), P. 21.

(٤) البنك الدولي للانشاء والتعمير : التنمية الاقتصادية في ليبيا ص ١٧٤

وفي مجال نشر التعليم الابتدائي فان الدولة ملزمة بتوفيره باعتباره
حقا لجميع الأطفال ، كما أن المجتمع مسئول عن توفيره بالمجان أمام
التلاميذ حتى يتحقق الزام الأب بدفع ابنه الى المدرسة متى بلغ سن
السادسة من عمره ، كما أن التعليم الابتدائي هو مجال تكوين القواعد
الشعبية وهو السبيل الى تماسك الجماعة باعتبار خضوع الأطفال منذ
سنوات تعليمهم الأولى لثقافة موحدة انطلاقا من كون التعليم الابتدائي
يمثل الحد الأدنى من الثقافة اللازمة لتكوين المواطن الصالح باتجاهاته
القومية والسلوكية والاجتماعية .

ويجب أن يشمل التخطيط في مجال التعليم الابتدائي أيضا اتخاذ
الخطوات الآتية : —

- ١ — استيعاب جميع الاطفال الملزمين ، أى الأطفال الذين هم في سن
هذا التعليم في مدى محدد .
- ٢ — الاهتمام بنوعية التعليم الابتدائي الى جانب الاهتمام بكمه على
أن يكون الاهتمام متوازنا بين الكيف والكم .
- ٣ — علاج مشكلة الفاقد في التعليم الابتدائي الناتج عن عوامل متنوعة
يمكن علاجها حتى لا يكون هناك فاقد في التعليم الابتدائي .
- ٤ — توزيع المباني المدرسية على أساس جغرافي سليم ، وسد حاجة
المناطق الريفية والنائية منها .
- ٥ — تخريج أعداد كافية من المعلمين المؤهلين تربويا ليعملوا في المدارس
الابتدائية .

٦ — نشر التعليم الابتدائي بين القبائل الرحل ، وفي المناطق النائية عن
طريق بناء الأقسام الداخلية « واقامة مدارس لأولاد القبائل حيثما كانت
هناك تجمعات قبلية كبيرة ، وحيث يتوفر عدد كاف من التلاميذ فيها
وتدريب بعض رجال القبائل كمعلمين » (١) الى أن يصير اعداد أفراد
من القبيلة في معاهد المعلمين .

(١) البنك الدولي للإنشاء والتعمير : التنمية الاقتصادية في ليبيا ص ١٧٥

ان وجود أعداد كبيرة جدا من أفراد الشعب الليبي أميون ليست علامة صحية لتقدم البلاد ونهضتها ، ولذلك كان العمل على محو أمية المواطنين الليبيين من أهم أسس التخطيط للمستقبل ، وفي هذا المجال يمكن اتخاذ الاجراءات التالية :

١ - ان تحقيق نشر التعليم الابتدائي وتعميمه بين المواطنين على أن يكون الزاميا ومجانيا سوف يؤدي الى عدم تضخم المشكلة وازدياد عدد الأميين .

٢ - فتح مدارس لتعليم الأميين رجالا ونساء ، وتشجيع المواطنين والمواطنات على الالتحاق بهذه المراكز بمختلف وسائل التشجيع الممكنة .

٣ - استخدام الاذاعة في مكافحة الامية وأن تكون البرامج التي تعد لهذا الغرض تتفق مع متطلبات العصر وتستند الى أسس تربوية منظمة ووفق تخطيط علمي مسبق .

٤ - حث المواطنين المتعلمين على الاشتراك في حملات محو الامية في أوقات فراغهم .

٥ - الاستفادة بالخبراء في مجال محو الأمية سواء من الدول العربية « أو من اليونسكو ليضع كل منهم خبرته لخدمة الأميين الليبيين » (١) .

٦ - أن تكون برامج محو الأمية شاملة بمعنى وضع هذه البرامج لمحو الأمية الصحية والاجتماعية والسياسية الى جانب محو أمية القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والعلوم والشئون الدينية .

٧ - ايفاد بعض الخريجين في بعثات الى الخارج للحصول على خبرات عملية في هذا المجال بحيث يعودون مزودين بخبرات تفيد في مكافحة الأمية بين المواطنين .

(1) UNESCO : Report of the mission to Libya, P. 43.

٨ - لا شك أن نسبة الأمية بين النساء أكبر بكثير من نسبتها بين الرجال ، ومن ثم يجب وضع برامج لتعليم هؤلاء الأميات تتفق مع العادات والتقاليد السائدة .

٩ - تبعا لاتساع رقعة البلاد وانتشار بعض التجمعات السكانية انتشارا غير كثيف بما يعوق تقديم الخدمات التعليمية بصورة مؤثرة ، فان الواجب في هذه الحالة هو أن تكون هناك قوافل ثقافية تنقل الى هؤلاء السكان حيث هم البرامج التعليمية لمحو أميتهم .

١٠ - اعداد رواد لمحو الأمية في المناطق الريفية والنائية على أن يكونوا من بين سكان تلك المناطق ليؤدوا خدمات لمناطقهم .

ثالثا - تعليم البنات :

تمثل المرأة نصف المجتمع ، وتعليمها ضرورى في مجتمع عدد أفراده قليل ويحتاج بناؤه وتطويره الى جهود كل مواطن ومواطنة ، ولذلك يجب عند التخطيط للتعليم في ليبيا اتخاذ الاجراءات التالية :

١ - حث الآباء على ايفاد بناتهم الى المدارس بالحوافز المشجعة على ذلك مثل توفير مدارس البنات حيث تتواجد التلميذات وتدريب المعلمات اللازمات لهذه المدارس الى غير ذلك .

٢ - تنويع فرص التعليم أمام البنات بحيث تلبى رغبات الآباء وطموحهم بالنسبة لبناتهم .

٣ - تدريب المعلمات اللازمات لمدارس البنات مع الاستعانة بالخبرات العربية لسد النقص في هذا المجال .

٤ - التوسع في انشاء معاهد لاعداد المعلمات لقبول التلميذات للاستفادة بهن في مدارس البنات .

٥ - فتح مجال التعليم الثانوى والجامعى أمام الطالبات وتشجيعهن على الالتحاق بهذه الأنواع من التعليم .

رابعا - زيادة عدد مدارس رياض الاطفال :

رغم أنه لم يكن قد تم تعميم التعليم الابتدائى في ليبيا في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين فقد وجدت رياض الأطفال في أنحاء

البلاد ، وهذه الرياض ليست ترفا في التعليم ولكنها مرحلة هامة ينبغي توفيرها متى توفرت الامكانيات ، ولذلك فعند التخطيط للتعليم يجب اتباع ما يلي : —

١ — توفير الوسائل التربوية بحيث يتوفر في الروضة « الجو التربوي الذي يعد الطفل اعدادا سليما الى المدرسة الابتدائية ، وذلك لأن الأسرة الليبية لا يمكن الاعتماد عليها لحد الآن في اعداد الطفل اعدادا نفسيا سليما وتربيته تربية اجتماعية ناضجة تمكنه من التكيف بسهولة مع الجو المدرسي » (١) •

٢ — انتشار رياض الأطفال في معظم أنحاء البلاد الليبية لتواجه العديد من الأطفال الذين يحتاجون الى هذه الرياض بامكانياتها التربوية والنفسية •

٣ — اعداد معلمات مدربات لهذا النوع من التعليم ، وافتتاح أقسام بمعاهد المعلمات لاعداد معلمات لرياض الأطفال •

٤ — توفير المباني المدرسية المزودة بكافة الأجهزة والأدوات اللازمة لتربية الأطفال في رياضهم بما يتفق مع أصول التربية الحديثة ، وبما ينمى فيهم حب المدرسة والتكيف للجو المدرسي وتقبل نظمه وقواعده بروح راضية سعيدة •

خامسا - اعداد المعلمين وتدريبهم :

واجهت ليبيا نقضا في عدد المعلمين الليبيين للقيام بتعليم أبناء البلاد ، وذلك بسبب سياسة القوى الأجنبية التي تحكمت في البلاد ، وقد حدث أن أنشئ معهدان لاعداد المعلمين في طرابلس وبنغازي ومعهد لاعداد المعلمات بمدينة طرابلس في السنوات الأخيرة من الأربعينات وأوائل الخمسينات من القرن العشرين ، الا أن اعداد المعلمين وتدريبهم يحتاج الى مزيد من العناية والرعاية الكافية باعتبار المعلم حجر الزاوية في العملية التربوية والتعليمية •

(١) أحمد الفينش : المجتمع الليبي ومشكلاته ص ١٢٧ .

ولذلك فإن التخطيط للتعليم في ليبيا لا بد ان يضع في اعتباره ما تعانيه البلاد من نقص في المعلمين بمختلف المراحل التعليمية ، ومن ثم يتخذ الاجراءات الضرورية لعلاج هذا النقص بما يحقق الفائدة التي تعود على البلاد بتوفير عناصر القيادة والتوجيه التعليمى ورواد التعليم فى المدارس سواء كانت مدارس التعليم العام أو التعليم الفنى أو التعليم الجامعى .

وهذا التخطيط يجب أن يتضمن الخطوات والاجراءات التالية فى مجال اعداد المعلم وتدريبه : —

١ — وجود معاهد للمعلمين والمعلمات لاعداد معلم المرحلة الابتدائية ، على أن يكون المستوى الثقافى الذى يتيح للطالب دخول هذا المعهد كافيا ومناسبا ، كما يجب أن يكون عدد سنوات الدراسة فى هذه المعاهد كافية لتشكيل الطالب تشكيلا يخلق منه معلما ناضجا واعيا لخطر وظيفته .

٢ — وجود معهد أو كلية لاعداد معلمى المدارس الاعدادية والثانوية اعدادا سليما وأن يقبل أعدادا متزايدة من الطلاب لسد حاجة المدارس من المعلمين فى مختلف التخصصات والمواد الدراسية .

٣ — الاستعانة بالخبرات العربية فى هذا المجال الى أجل يحدده توفر المعلمين الليبيين ، على أن لا تقتصر هذه الخبرات على مجال التدريس فقط بل يجب أن تشمل التخطيط والتدريب والوسائل التعليمية وغيرها من المجالات وثيقة الصلة بعمل المعلم واعداده وتدريبه .

٤ — اعداد دورات تدريبية للمعلمين أثناء الخدمة لتأهيل غير المؤهلين تربويا ولتجديد معلومات المؤهلين ، وموالات هذه الدورات حتى يتجدد نشاط المعلمين العلمى والتربوى بما ينعكس على الطلاب ولفائدتهم .

٥ — تشجيع الطلاب على الالتحاق بمعاهد وكليات اعداد المعلمين، وتشجيع المدرسين على البقاء فى عملهم والسعى الى التحسين والتجديد والتنشيط فى مجالات الخبرة العلمية والتربوية .

سادسا : التعليم الفنى والمهنى :

عانى التعليم الفنى منذ نشأته صعوبات تمثلت فى عدم التخطيط السليم له وعدم تنظيمه بما يتفق مع متطلبات المجتمع واتجاهه نحو التقدم لأن القوى الأجنبية لم يكن يهتما تقدم المجتمع ، ورغم وجود مدرستى الفنون والصناعات الإسلامية فى طرابلس وبنغازى ، فإنه لم يتحقق الهدف من هذا التعليم الفنى ، إذ المعروف أن الهدف من التعليم الفنى والمهنى هو تخريج صناع وفنيين ملء الفراغ فى المجالات الصناعية والزراعية والتجارية ، ولذلك يشمل هذا التعليم الأقسام الآتية : —

١ — مدارس صناعية : وتهدف الى اعداد الصناع الفنيين المهرة فى أعمال الكهرباء وصيانة السيارات والأعمال الميكانيكية وغيرها ••

٢ — مدارس زراعية : وتهدف الى اعداد الزراعيين الواعين والمرشدين الزراعيين •

٣ — مدارس تجارية : وتهدف الى اعداد الموظفين فى مجال النشاط التجارى والكتابى والادارى •

وكان عدد المدارس الفنية فى « العام الدراسى ١٩٥٠ — ١٩٥١ م ثمانية مدارس كان بها من الطلاب فى تلك السنة ٢٣٧ طالبا » (١) فقط ، وهو عدد ضئيل بالقياس الى أعداد الطلاب فى المدارس الابتدائية أو الثانوية ، ويعكس هذا العدد الضئيل سياسة عدم الاهتمام بهذا النوع من التعليم •

وقد بدأ التعليم الفنى فى ليبيا بصفة عامة بعد زوال الاحتلال الايطالى فأنشأت وزارة المعارف حينذاك مدرستين للتعليم المهنى « احدهما فى طرابلس عرفت باسم مركز التدريب الفنى والكتابى ، وكان ذلك فى عام ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م بمساعدة هيئة العمل الدولية ، كما أنشئت مدرسة صناعية تجارية فى بنغازى عام ١٩٤٧ — ١٩٤٨ م تسلمت ادارتها هيئة المصالح الليبية الأمريكية المشتركة فى العام الدراسى

(١) احمد الفينيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ص ١٠٥ .

١٩٤٩ — ١٩٥٠ م « (١) • وكان الهدف من انشاء هاتين المدرستين اللتين أصبحتا نواة للتعليم الفنى الصناعى والتجارى هو تدريب الطلاب تدريبا صناعيا وتجاريا •

وكانت مدة الدراسة بمركز التدريب الفنى والكتابى بطرابلس عاما واحدا للتلاميذ الذين أنتموا المرحلة الابتدائية ، ثم أصبحت مدة الدراسة عامين حتى عام ١٩٥١ م حينما أطلق على هذه المرحلة اسم مرحلة التعليم الصناعى العام ، ثم أصبحت الدراسة بهذه المدارس ثلاث سنوات ، وفى عام ١٩٥٥ م أضيفت مرحلة جديدة مدة الدراسة بها عامان وسميت هذه المرحلة بالقسم الصناعى الراقى بهدف تزويد الطلاب بدراسة أوسع ومهارات أكثر لتزويد المرحلة الصناعية العامة بحاجتها من المعلمين •

أما بالنسبة لمدرسة بنغازى الصناعية التجارية فقد كانت مدة الدراسة بها عامين بعد المرحلة الابتدائية ثم طورت فيما بعد لتصبح مدة الدراسة أربع سنوات •

وبالنسبة للتعليم الزراعى فى ليبيا فقد أنشئت مدرستان زراعتان متوسطتان عام ١٩٥١ — ١٩٥٢ م « احدهما بالعويلية بالقرب من المرج ، والثانية فى سيدى المصرى بطرابلس بالتعاون مع هيئة المصالح الليبية الأمريكية المشتركة » (٢) ومدة الدراسة بهذه المدارس أربع سنوات بعد المرحلة الابتدائية •

أما التعليم التجارى فقد بدأ أهليا حيث « تأسست مدرسة للتجارة فى بنغازى تحت اشراف هيئة التعليم الشعبى ، وأستأنفت المدرسة الايطالية - التجارية - بطرابلس نشاطها • وفى عام ١٩٥١ م ظهر النشاط الحكومى فى مجال التعليم التجارى الفنى بمعاونة بعض الهيئات الدولية » (٣) حيث أصبح التعليم التجارى مدته أربع سنوات بعد

(١) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : التعليم الفنى والمهنى بحث رقم ٥

ص ٣ •

(٢) نفس المصدر ص ٤ •

(٣) وزارة التربية والتعليم بطرابلس ، المصدر السابق •

المرحلة الابتدائية ، الا أن كل مدرسة كان بها شعبتان : شعبة صناعية وشعبة تجارية •

ومن هذا الاستعراض لتطور التعليم الفنى والمهنى فان التخطيط له لاعادة تنظيمه يجب أن يتضمن الاجراءات التالية :

١ - التقريب بين مناهج التعليم العام ومناهج التعليم الفنى ، أو القضاء على الثنائية بين ما يسمى بالدراسات « الأكاديمية » أى العلمية البحتة ، والدراسات الفنية والمهنية وصولا الى المدرسة الشاملة التى تسمح بالتركيز على التثقيف المهنى الصناعى والتجارى والزراعى • وهذا التقريب يحقق هدفين أساسيين : « الأول يقرب للطلاب - منذ المرحلة الأولى للتعليم - المبادئ الاساسية لكل فروع العمل ، وهو بذلك يسهم فى تطوير قوة العمل والاقتصاد فى الدولة ، والثانى يربط التعليم والتدريس بالعمل الاتجائى والنافع للمجتمع ، وهو بذلك يسهم فى تربية شخصية الطالب ، ويدرب شعوره الوطنى ويشارك قبل كل شئ فى التربية على حب العمل واحترام القائمين به » (١) •

٢ - بالنسبة للتعليم الصناعى « فيجب تدريب العمال المهرة للصناعة أو لخدمات الحكومة ، وتدريب الفنيين الصغار ، واعداد هيئة التدريس اللبئية » (٢) فى هذا المجال • كما يجب « انشاء قسم لتدريب الطلاب على البناء والتشييد يلحق بمدرسة طرابلس الفنية » (٣) • ويجب التدريب على الحرف التى تحقق احتياجات البلاد وهى الحرف الشائعة بين الناس والمرتبطة بمتطلبات المجتمع « مثل صناعة وصيانة الادوات الزراعية والصناعات الميكانيكية الصغيرة ، والبناء وصناعة صيد السمك » (٤) • ولذلك فيجب زيادة عدد المدارس وزيادة عدد الطلاب بغية تخريج الأعداد الكافية من المساعدين الفنيين المتخصصين فى الصناعة لمواجهة الاتساع فى ميادين الحياة الاقتصادية تبعا لتطور المجتمع ، على

(١) محمد سليمان شعلان : بحث فى المناهج الدراسية .. طرابلس ص ٦ .

(٢) UNESCO : Report of the mission to Libya, P. 69.

(٣) Ibid, P. 74.

(٤) Ibid, P. 76.

أن تزود هذه المدارس بالمعدات والتجهيزات اللازمة .

٣ - وبالنسبة للتعليم الزراعى فان التخطيط يجب أن يهدف الى « تحسين طرق الانتاج التى يستخدمها السكان فى استغلالهم - للارض - حاليا ، ويجب التأكيد على تعليم الأفراد اتقان ما يقومون به الآن ، وأن يكون للبرامج التعليمية فى مجال الزراعة أساس متين فى التعليم العام » (١) . ويجب أن يشمل التخطيط فى التعليم الزراعى أيضا على اعداد رواد فى التعليم الزراعى الريفى ، ويتم ذلك عن طريق تنظيم « تدريب طويل المدى يضم المدرسين المتخرجين من معاهد اعداد المعلمين وعملوا بالتدريس لمدة ثلاث سنوات ويستغرق تدريبهم لمدة عام واحد فى شؤون الزراعة وما يتطلبه التعليم الريفى . وعن طريق تنظيم تدريب قصير المدى لمدة ثلاثة شهور للعاملين فى مجال التدريس الريفى أثناء الخدمة . كما يتم عن طريق ايفاد بعثات للمتخصصين فى المجال الزراعى » (٢) . ويتم ذلك عن طريق التوسع فى قبول الطلاب بمدارس التعليم الزراعى ، وأن توجه الجهود للتحقق من أن هذه المدارس «ستنال حصة معقولة من الطلبة الذين يتمون دراستهم الابتدائية والاعدادية وذلك للتخفيف من شدة التحيز التقليدى فى صالح التعليم العام » (٣) .

٤ - وبالنسبة للتعليم التجارى فان التخطيط يجب أن يهدف الى اعداد معلمين فى هذا المجال ، وأن يتم تدريب الطلاب تدريبا ميدانيا على أعمال المحاسبة وأعمال السكرتارية والمخازن فى المصارف ومصحة الضرائب والشركات والموانىء للاطلاع على عمليات التخليص على البضائع والعمليات الجمركية ، كما يجب اتاحة الفرصة أمام تعليم البنت الشئون التجارية « سدا للنقص الملحوظ فى هذا الميدان ، ولأن هذه المدارس تعد المجالات من الأعمال التى تتفق وطبيعة المرأة » (٤) . ولاشك

(1) Ibid, P. 13.

(2) Ibid, P. 81.

(٣) البنك الدولى للانشاء والتعمير : المصدر السابق ص ١٧٢ .

(٤) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : التعليم الفنى والمهنى بحث رقم ٥ ص ٩ .

أن تدريب الفتيات على أعمال السكرتارية من الأمور الصحيحة لتساهم المرأة في المجالات التي تناسب طبيعتها • وفي هذا المجال يجب تزويد المدارس التجارية بالآلات الكاتبة والحاسبة وغيرها من التجهيزات اللازمة لخدمة العمل التجارى •

ولا شك أن تنفيذ هذه الخطط لتنظيم التعليم الفنى والمهنى يشير الى « ضرورة تقديم مساعدات متزايدة - ماديا وفنيا - الى ليبيا من الخارج ، وهذه المساعدات سوف تكون ضرورية لفترة طويلة ، وفى داخل ليبيا فانه مطلوب من المواطنين أن يثقوا بأنفسهم ويتحملوا مسؤوليات هذا العمل وأن يكون عندهم تصميم على العمل الشاق وانكار الذات ، لأن البرنامج الاصلاحى لن يكون سهلا ولأن النتائج المرغوبة ترتبط بالجهود المبذولة » (١) • وهذا ينطبق على المساعدات المادية الى أن تستطيع الموارد المحلية الوفاء بالتزاماتها ، وينطبق على المساعدة فى مجال الخبرة الفنية لتعويض النقص فى الخبرات والمهارات الفنية •

سابعاً - التعليم الجامعى :

لم يتواجد تعليم جامعى فى ليبيا الا منذ العام الدراسى ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م ، ولم يتح تعليم جامعى الا لعدد قليل أوفدوا فى بعثات الى الخارج وجاء انشاء الجامعة الليبية استكمالاً للسلم التعليمى فى ليبيا ولتوفير القيادات الفكرية والروحية الواعية والكفاءات الفنية فى مختلف المجالات •

ويجب أن يتضمن التخطيط للتعليم الجامعى الاجراءات الآتية :

١ - يجب علينا نحن الليبيين أن « نعى واقعنا الذى نعيشه والمشاكل التى تعترض طريقنا حتى تبين نقاط ضعفنا وقوتنا ، ومن ناحية أخرى يجب أن نتفهم واقع العصر الذى نعيش فيه ونرسم لنا سياسة مرنة هادفة مفتوحة تستفيد من حضارات الآخرين ، وتتجنب الوقوع فى أخطأئهم ومشاكلهم وتستنبط منهم الأشياء والأفكار التى ثبتت فائدتها والتى تتلاءم

(1) U.N. : Supplementary report to the second annual report ... P. 17.

مع معتقداتنا وفلسفتنا في الحياة» (١) من أجل رسم سياسة جامعية واعية تسعى الى اعداد التخصصات التي يتطلبها المجتمع العربي الليبي في نهوضه وتقدمه تخلصا من تخلف فرضته قوى أجنبية سيطرت على ليبيا لفترات طويلة من تاريخها •

٢ - توفير أعداد الأساتذة اللازمين للتدريس في الجامعة عن طريق ارسال البعثات الى الخارج والاستفادة بالأساتذة من الخارج في هذا المجال •

٣ - اعداد المباني الصالحة لكليات الجامعة مع تزويدها بالتجهيزات والأدوات والوسائل اللازمة وبناء مدينة جامعية للطلاب والطالبات •

٤ - ينبغي اعداد خريجي الجامعة الليبية اعدادا يمكنهم من خوض غمار الحياة الاقتصادية في البلاد وتسلم زمام القيادة في المستقبل من الناحيتين الفكرية والمادية « وسينتظم الكثير من الخريجين في صفوف الاداريين في المصالح الحكومية ، كما سيمارس غيرهم مهنة التدريس وخصوصا في المدارس الثانوية ولذلك يجب التوسع في الالتحاق بالجامعة ولكن دون اسراع ، وأن يتم تنظيم الدراسة في الجامعة حتى لا يحدث نشوء فائض من خريجي الكليات الأدبية الذين لا يستطيعون ايجاد عمل يتلاءم وما يتوقعون ، وكذلك نشوء نقص في الفنيين الذين يستطيعون انجاز مهام عملية في ميداني الزراعة والصناعة وفي قطاعات الاقتصاد الأخرى » (٢) •

٥ - توجيه الاهتمام الى موضوع انتظام الطلاب وحضورهم واشترائهم في الحياة الجامعية ، اذ « من النواحي التي لها أهمية خاصة تنمية عادة الدراسة والتفكير المستقلين وذلك بزيادة الاهتمام بناحية البحث في المكتبة وبعقد حلقات دراسية تهيم لكل من الطالب والاستاذ فرصة تبادل الرأي على نحو مفيد » (٣) •

(١) احمد الفينش : المجتمع الليبي ومشكلاته ص ١٢٦ •
(٢) البنك الدولي للانشاء والتعمير : التنمية الاقتصادية في ليبيا ص ١٨٠
(٣) البنك الدولي للانشاء والتعمير : المصدر السابق ص ١٨١ •

ثامنا - ربط التعليم بخطة التنمية :

١ - تأتي أهمية ارتباط التعليم بخطة التنمية من حقيقة أن التعليم مسئول عن توفير الطاقات البشرية اللازمة في مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بتوفير الأفراد المدربين وذوى الخبرة والانتفاع انتفاعا متكاملًا من خدمات الأفراد المتوفرين حاليا . وذلك تحقيقا للأهداف التالية :

« أ) اعداد المواطن اعدادا يؤهله للقيام بدوره في مجتمع عصرى كعضو صالح فى هذا المجتمع مسلح بمعارف مفيدة يمكنه من العمل بها وتطبيقها لخيره وخير بلاده .

« ب - اتاحة الفرصة قدر الامكان لكل فرد من ناشئة الأمة لينال حظه من التعليم فى المرحلة الابتدائية وهى التى تعتبر الحد الأدنى لما ينبغى أن يبلغه المواطن .

« ج - النهوض بمستويات التعليم بعدها - بعد المرحلة الابتدائية - حتى يمكن تحقيق الأغراض التى يرمى اليها فى المرحلة الابتدائية وما يليها .

« د - تنوع مناهج الدراسة التى تلى المرحلة الابتدائية بحيث يتمكن الطالب من اختيار أكثر الموضوعات ملاءمة لمواهبه وميوله .

« هـ - التنسيق بين مشروعات التعليم وبين حاجات البلاد فى مختلف ميادين العمل ، علما بأن الأمة مقبلة على تنفيذ سياسة عامة للتنمية الاقتصادية تشمل مختلف ميادين الزراعة والصناعة والتجارة » (١) .

٢ - ان التوسع السليم فى التعليم يجب أن « يخطط على أساس فترة طويلة من الزمن تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ سنة ، والطريقة الصحيحة لتخطيط أعمال التنمية فى ميدان التعليم هى تحديد الأهداف النهائية والتأكد من أن كل مرحلة من مراحل التعليم تساهم فى المدى القصير فى تحقيق هذه الأهداف » (٢) .

(١) وزارة التربية والتعليم بطرابلس : التعليم والخطة الخمسية الأولى للتنمية .. بحث رقم ٣ ص ٣ .

(٢) البنك الدولى للانشاء والتعمير : المصدر السابق ص ١٧٣ .

٣ - يجب أن يكون واضحاً من البداية أن زيادة عدد المدارس الابتدائية تتطلب اعداد مزيد من معلمى المرحلة الابتدائية ، وهذا يعنى زيادة عدد المعلمين فى معاهد المعلمين والمدارس الثانوية وكليات اعداد المعلمين كما يعنى أيضا تزايد الطلب على خريجى الجامعة « وحيث أن الأعداد التى تنطوى عليها هذه الناحية تعتبر قليلة نسبيا فى ليبيا فسيكون من المفيد جدا اجراء دراسة شاملة لما سيكون عليه الطلب خلال السنوات العشرين أو الثلاثين القادمة وذلك بالنسبة لأصحاب المهن المختلفة كالأطباء والمرضات والمساعدين الطبيين والمهندسين المعساريين والمسيحين ومهندسى المحاصيل الزراعية والأطباء البيطريين واخصائى الغابات والمهندسين والعلماء والمدرسين وما الى ذلك من أصحاب المهن الاخرى، وذلك لكى يخطط نظام التعليم على نحو يضمن توافر مثل هؤلاء الاخصائين » (١) •

٤ - يجب أن يكون هناك توازن بين تقرير مبدأ الكم وأهمية الكيف فى السياسة التعليمية ، فلا يكفى فقط تحقيق الازام لجميع الأطفال الذين فى سن المدرسة الابتدائية ، وانما يجب النهوض بالعمليات التربوية ورفع مستوى الخدمة التعليمية عن طريق رفع مستوى الكفاية للمعلمين وتوفيرهم وتحسين الابنية المدرسية والتوسع فيها ، والاهتمام بالكتاب المدرس وتطوير المناهج ، وتنويع الدراسات تحقيقا لمبدأ الفروق الفردية بين الصغار والشباب •

٥ - يجب أن يكون هناك توازن بين الاهتمام بالتعليم الثانوى العام والاهتمام بالتعليم الفنى من أجل سد مطالب التنمية ومجالاتها الاقتصادية والاجتماعية وأن يتم « ايجاد توازن تام بين التعليم الابتدائى والثانوى والعالى ، وبين تعليم الأطفال وتعليم الكبار ، وكذلك بين التعليم العام والتعليم الفنى والمهنى » (٢) •

(١) البنك الدولى للانشاء والتعمير : المصدر السابق ص ١٧٣ •

(2) The economic development of Libya, P. 8.

المراجع

أولا - الوثائق :

- ١ - وثائق عربية : بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس *
- ٢ - وثائق تركية : بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس *
- ٣ - وثائق ايطالية : بدار المحفوظات التاريخية بطرابلس *

ثانيا - الدوريات :

- ١ - جريدة طرابلس غرب : جريدة الولاية الرسمية صدرت منذ عام ١٨٦٦ م في طرابلس *
- ٢ - جريدة الترقى : صدرت في طرابلس عام ١٩٠٦ م *
- ٣ - حولية الثقافة العربية : السنة الأولى ١٩٤٨ - ١٩٤٩ م - جامعة الدول العربية - القاهرة ١٩٤٩ م *
- ٤ - حولية الثقافة العربية : السنة الثانية ١٩٥٠ - ١٩٥١ م - جامعة الدول العربية - القاهرة ١٩٥١ م *
- ٥ - حولية الثقافة العربية : السنة الثالثة ١٩٥١ - ١٩٥٢ م - جامعة الدول العربية - القاهرة ١٩٥٣ م *

ثالثا - التقارير الرسمية :

أ - تقارير هيئة الأمم المتحدة :

- 1 — Annual report of the United Nations Commissioner in Libya, presented in Consultation with the Council for Libya, General Assembly, official records : fifth session supplement No. 15/A/1340. Lake Success, New York, 1950. Annex XXVIII : Memorandum on educational organization in Libya under Italian administration, submitted by the representative of Italy on the Council for Libya.
- 2 — Second annual report of the United Nations Commissioner in Libya, prepared in Consultation with the Council for Libya, General Assembly, official records : sixth session, supplement No. 17 (A/1949). Paris, 1951.

- 3 — Supplementary report to the second annual report of the United Nations Commissioner in Libya, prepared in Consultation with the Council for Libya, General Assembly, official records, sixth session supplement No. 17 A (A/1949/Add. 1) Paris, 1952.
- 4 — Report of the Mission to L'ibya, Educational Mission - V. Published by the United Nations Educational, Scientific and Cultural Organization, Copyright, Paris, 1952.
- 5 — Carter Goodrich : Report of the United Nations preparatory Mission of technical assistance to Libya, New York, U.N. (TAB/R/57) August 1950.
- 6 — Benjamin Higgins : The economic and social development of Libya (A/AC. 32/TA/16).
- 7 — O.J. Wheatley : Agricultural Organizations for the improvement of Libyan agriculture, (FAO/52/1/436), December 1951.
- 8 — G.W.Cole : Social welfare conditions and social welfare services in Libya. (A/AC. 32/TA/24).
- 9 — R. Le Tourneau : Libyan education and its development, December 1951. A/AC. 32/TA. 35.

وأصل التقرير باللغة الفرنسية ، وقد ترجم الى العربية تحت
عنوان :

تقرير عن التعليم في ليبيا مقدم لهيئة اليونسكو ، من خبير
التعليم الموفد الى ليبيا من منظمة اليونسكو وهو مسيو روجيه
لى تورنو •

- 10 — General Assembly, Official records, Agenda item 21, annexes, fifth session, New York, 1950. Former Italian Colonies. Document A/1387. Annual report of the French Government to the General Assembly Concerning the administration of the Fezzan (Original text French) (22 September 1950).
- 11 — Document A/1390 (incorporating A/1390/Add-1). Annual report of the Government of the United Kingdom to the General Assembly, Concerning the administration Cyrenaica and Tripolitania

(Original text: English) (29 September 1950). by Gladwyn Jebb. Representative of the United Kingdom to the United Nations.

12 — The Economic development of Libya, published for the International Bank for Reconstruction and Development, by the Johns Hopkins press, Baltimore. Report of a Mission organized by the International Bank for Reconstruction and Development at the request of the Government of Libya. Washington, D.C. December 1959.

13 — The Economic development of Libya, report of a mission organized by the International Bank for Reconstruction and Development, Washington, D. C. April 1960.

وله ترجمة بالعربية تحت عنوان : التنمية الاقتصادية في ليبيا :
• البنك الدولي للأشياء والتعمير ، أبريل ١٩٦٠ م واشنطن

14 — Report of the Commission of Investigation for the former Italian colonies drawn up in 1948.

15 — Four Power Commission of Investigation for the former Italian colonies, Vol. III Libya. 1949.

له ترجمة عربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة •

16 — Official records of the fourth session of the General Assembly : plenary meetings of the General Assembly, summary records of meetings, 20 September — 10 December 1949.

ب — تقارير الإدارة البريطانية :

١ — تقرير مدير التعليم في ليبيا أثناء الإدارة البريطانية عام ١٩٤٧ م :

1 — A.J. Steele Greige : Ashort history of education in Tripolitania, 1947.

٢ — تقرير مدير التعليم في ليبيا أثناء الإدارة البريطانية عام ١٩٤٨ م :

2 — A.J. Steele Greige : History of education in Tripolitania, 1948.

ج — تقارير الحكومة الليبية :

١ — تطور التعليم في ليبيا :

إعداد وفد ليبيا في مؤتمر وزراء التربية والتعليم والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادي في الدول العربية المنعقد في طرابلس في أبريل ١٩٦٦ م .

٢ - التعليم الدينى فى ليبيا :

من بحوث وفد ليبيا فى مؤتمر وزراء التربية والتعليم والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادى فى الدول العربية المنعقد فى طرابلس - ابريل ١٩٦٦ م .

٣ - التعليم الفنى والمهنى فى ليبيا :

من بحوث وفد ليبيا فى مؤتمر وزراء التربية والتعليم والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادى فى الدول العربية المنعقد بطرابلس ابريل ١٩٦٦ م .

٤ - تعليم البنات فى ليبيا :

من بحوث وفد ليبيا فى مؤتمر وزراء التربية والتعليم والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادى فى الدول العربية المنعقد فى طرابلس - ابريل ١٩٦٦ م .

٥ - التعليم والخطة الخمسية الاولى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى ليبيا :

بحث رقم ٣ من بحوث وفد ليبيا فى مؤتمر وزراء التربية والتعليم والوزراء المسؤولين عن التخطيط الاقتصادى فى الدول العربية المنعقد بطرابلس - ابريل ١٩٦٦ م .

٦ - التعليم الابتدائى فى ليبيا :

محاضرة للدكتور - محمد الهادى عفيفى فى برنامج اعداد المدرسين عام ١٩٦٩ م - طرابلس .

٧ - عرض لنظام التعليم وتطوره فى ليبيا :

محاضرة للدكتور رافت غنيمى الشيخ فى برنامج اعداد المدرسين بطرابلس عام ١٩٦٩ م .

٨ - تطور التعليم فى ليبيا :

بحث للدكتور رافت غنيمى الشيخ قدم للمؤتمر التربوى الاول المنعقد بطرابلس - سبتمبر ١٩٧٠ م .

٩ - بحث فى المناهج الدراسية ونظم الامتحانات فى التعليم العام والفنى :

للاستاذ محمد سليمان شعلان : قدم للمؤتمر التربوى الثانى المنعقد بطرابلس - اكتوبر ١٩٧١ م .

رابعاً - المؤلفات العربية :

- ١ - أحمد النائب الانصارى : المنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ،
جزآن ، الآسيتانة ١٨٩٩ م .
- ٢ - أحمد النائب الانصارى : نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس
من الأعيان - تحقيق وتقديم على مصطفى المصراتى - منشورات المكتب
التجارى - بيروت ١٩٦٣ م .
- ٣ - ابن غلبون (أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون) : تاريخ طرابلس
الغرب المسمى التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار ،
عنى بنشره وتصحيحه والتعليق عليه الطاهر الزاوى ، القاهرة
١٣٤٩ هـ .
- ٤ - التيجانى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد) : رحلة التيجانى -
نشرها وقدم لها حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ١٩٦٠ م .
- ٥ - رحلة الحشائش الى ليبيا ، تحقيق على مصطفى المصراتى ، بيروت
١٩٦٥ م .
- ٦ - أنتونى جوزيف كاكييا (الميجور) تعريب يوسف العسلى : ليبيا فى
العهد العثمانى الثانى ١٨٣٥ - ١٩١١ م - القاهرة ١٩٤٦ م .
- ٧ - الطاهر أحمد الزاوى : ولاة طرابلس من بداية الفتح العربى الى نهاية
الحكم التركى ، بيروت ١٩٧٠ م .
- ٨ - الطاهر أحمد الزاوى : جهاد الأبطال فى طرابلس الغرب ، القاهرة
١٩٥٠ م .
- ٩ - الطاهر أحمد الزاوى : عمر المختار ، الحلقة الاخيرة من الجهاد الوطنى
فى طرابلس الغرب ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- ١٠ - الطاهر أحمد الزاوى : معجم البلدان الليبية ، طرابلس ١٩٦٨ م .
- ١١ - على مصطفى المصراتى : اعلام من طرابلس ، طرابلس ١٩٥٥ م .
- ١٢ - على مصطفى المصراتى : غومة فارس الصحراء ، بيروت ١٩٦٠ م .
- ١٣ - على مصطفى المصراتى : كفاح صحفى - أبى قشة وجريدته فى طرابلس
الغرب ، بيروت ١٩٦١ م .
- ١٤ - على مصطفى المصراتى : سعدون البطل الشهيد - صفحة من نضال
الشعب الليبى ، منشورات المكتب التجارى - بيروت ١٩٦٤ م .
- ١٥ - حسن سليمان محمود : ليبيا بين الماضى والحاضر - الالف كتاب
مؤسسة سجل العرب - القاهرة ١٩٦٢ م .
- ١٦ - أحمد على الفينيش : المجتمع الليبى ومشكلاته ، طرابلس ١٩٦٧ م .
- ١٧ - راسم رشدى : طرابلس الغرب فى الماضى والحاضر ، طرابلس الغرب
١٩٥٣ م .

- ١٨- خليفة المنتصر : ليبيا قبل المحنة وبعدها ، سلسلة الكتاب الليبي ، وزارة الارشاد ١٩٦٠ م .
- ١٩- رودلفو ميكاكي (تعريب طه فوزى) : طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرهمانلى - معهد الدراسات العربية - القاهرة ١٩٦١ م .
- ٢٠- ريتشارد توللى (ترجمة عمر الديراوى أبو حجلة) : عشر سنوات فى بلاط طرابلس - طرابلس ١٩٦١ م .
- ٢١- زعيمة سليمان البارونى : صفحات خالدة من الكفاح الوطنى لسليمان البارونى - القاهرة ١٩٦٠ م .
- ٢٢- سالنامه نظارة معارف عمومية (الكتاب السنوى لوزارة المعارف) تركى - استانبول ١٣١٩ هـ .
- ٢٣- شكيب ارسلان : حاضر العالم الاسلامى - تعليق - جزآن - القاهرة ١٩٣٥ م .
- ٢٤- عثمان الكعاك : مراكز الثقافة فى المغرب من القرن ١٦ الى القرن ١٩ - القاهرة ١٩٥٨ م .
- ٢٥- د. عمر التومى الشيبانى : آراء فى الاصلاح التربوى ، طرابلس ١٩٦٦ م (الكتاب الليبي) .
- ٢٦- عزيز سامح (ترجمة عبد السلام ادهم) : الاتراك العثمانيون فى افريقيا الشمالية - ١٩٦٩ م .
- ٢٧- عمر على بن اسماعيل : انهيار حكم الاسرة القرهمانلية فى ليبيا ١٧٩٥ - ١٨٣٥ م - طرابلس ١٩٦٦ م .
- ٢٨- محمد على ديبوز : تاريخ المغرب الكبير ، القاهرة - مطبعة الحلبي .
- ٢٩- د. أحمد مختار عمر : النشاط الثقافى فى ليبيا من الفتح الاسلامى حتى بداية العصر التركى - منشورات الجامعة الليبية - كلية التربية - طرابلس ١٩٧١ م .
- ٣٠- د. محمد فؤاد شكرى : السنوسية دين ودولة - القاهرة ١٩٤٨ م .
- ٣١- د. محمد فؤاد شكرى : ميلاد دولة ليبيا الحديثة ، جزآن - القاهرة ١٩٥٧ م .
- ٣٢- د. محمد انيس : الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ - ١٩١٤ م القاهرة ١٩٦٦ م .
- ٣٣- د. احمد صدقى الدجاني : ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى او طرابلس الغرب فى آخر العهد العثمانى الثانى (١٨٨٢ - ١٩١١ م) القاهرة ١٩٧١ م .
- ٣٤- د. نقولا زيادة : ليبيا من الاستعمار الايطالى الى الاستقلال - معهد الدراسات العربية - القاهرة ١٩٥٨ م .

- ٣٥- د. نقولا زيادة : برقة الدولة العربية الثامنة ، بيروت ١٩٥٠ م .
- ٣٦- مصطفى عبد الله بعيو : المجلد فى تاريخ ليبيا - القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٣٧- مصطفى عبدالله بعيو : دراسات فى التاريخ اللوبى ، القاهرة ١٩٤٥ م
- ٣٨- محمد نورى ومحمود ناجى : طرابلس غرب تاريخى (تركى) استانبول ١٣٣٠ هـ .
- ٣٩- محمود الشنيطى : قضية ليبيا ، القاهرة ١٩٥١ م .
- ٤٠- محمد مصطفى بازامة : بداية المأساة او التمهيد السياسى للاحتلال الايطالى - بنغازى ١٩٦١ م .
- ٤١- محمد مصطفى بازامة : العدوان او الحرب بين ايطاليا وتركيا فى ليبيا طرابلس ١٩٦٥ م .
- ٤٢- محمد بن مسعود : كاتك معى فى طرابلس وتونس ، طرابلس ١٩٥٣ م
- ٤٣- محمد بن مسعود : تاريخ ليبيا العام ، جزآن ، طرابلس ١٩٥١ م .
- ٤٤- محمد الطيب الاشهب : عمر المختار (ابطال الجهاد والسياسة فى ليبيا) ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- ٤٥- محمد الطيب الاشهب : برقة العربية أمس واليوم - القاهرة ١٩٤٦ م
- ٤٦- د. محمد الهادى عفيفى : التريبة والتغير الثقافى ، القاهرة ١٩٦٢ م .

خامسا : اهم المؤلفات الاجنبية :

- 1 — A. Festa : La Scuola Italiana, 1930.
- 2 — A. Piccioli : La rivascita della Tripolitania, 1926.
- 3 — M. Tortonese : La Istituzioni scolastiche in Libya.
- 4 — A. J. Cachia : Libya under the second Ottoman occupation, 1835 — 1911, Tripoli, 1945.

محتويات الكتاب

رقم الصفحة

الموضوع

مقدمة (١)

فصل تمهيدى : مجالات البحث ١

الباب الأول : العصر العثماني من ١٨٣٥ الى ١٩١١ م :

الفصل الأول : نظرة عامة عن الحكم العثماني

للييا من ١٥٥١ الى ١٩١١ م ٦

١١ — مقدمة

١ — العصر العثماني الأول : من ١٥٥١

الى ١٧١١ م ٣٠

٢ — العصر العثماني الثاني (القره مانلى) :

من ١٧١١ الى ١٨٣٥ م ٣٧

٣ — العصر العثماني الثالث : من ١٨٣٥

الى ١٩١١ م ٤٤

الفصل الثاني : التعليم التقليدى فى العصر

العثماني ٥٩

٦١ — مقدمة

٨٨ — المساجد ٨٨

٨٩ — الرباطات ٨٩

٩٤ — الزوايا ٩٤

١٠٧ — الكتاتيب ١٠٧

١١١ — مدارس اليهود ١١١

— مدارس الارساليات الدينية والجاليات

١١٤ — الاوزبوية ١١٤

الفصل الثالث : المدارس الحديثة فى العصر

١٢٩ العثمانى
١٣٢ المدارس الابتدائية
١٤١ المدارس الرشدية
١٤٨ المدارس الاعدادية
١٥٢ التعليم الفنى والمهنى
	١ - مدرسة الفنون والصنائع
١٥٢ الاسلامية
١٥٦ ٢ - المدرسة الزراعية
١٥٧ ٣ - دار المعلمين
١٥٨ مؤسسات تعليمية اخرى
١٥٩ تعليم البنات
١٦٦ الاشراف على التعليم
١٦٨ التعليم فى فزان

الباب الثانى : العصر الايطالى من ١٩١١ الى ١٩٤٣ م :

الفصل الرابع : العصر الايطالى الاول من ١٩١١

١٦٩ الى ١٩٢٣ م
١٧١ احتلال ايطاليا للأراضى الليبية
١٨١ مقاومة الليبيين للفرز الايطالى
١٨٧ التعليم فى هذا العصر
	● اولاً : التعليم الوطنى او المدارس
١٩٤ العربية
٢٠٠	● ثانياً : المدارس العربية الايطالية
٢٠١	● ثالثاً : التعليم فى المدارس الايطالية
	● رابعاً : مدارس اليهود والبعثات
٢٠٨ التبشيرية الكاثوليكية

الفصل الخامس : العصر الفاشستي من ١٩٢٣

- ٢٢٥ الى ١٩٤٣ م
- ٢٢٧ — موقف الفاشست الطليان من الليبيين
- تأكيد اللغة الايطالية والتعليم
- ٢٣٣ الايطالى فى ليبيا
- ٢٣٨ — المدارس القائمة فى هذا العصر
- ٢٤٠ ● اولا : المدارس العربية
- ٢٤٨ ● ثانيا : مدارس اليهود
- ثالثا : مدارس الارساليات
- ٢٤٩ الدينية والجاليات الاوروبية
- رابعا : المدارس ذات الطابع
- ٢٥١ الايطالى

الفصل السادس : مستقبل التعليم فى ليبيا

- ٢٦٧ بعد الاحتلال الايطالى
- ٢٦٩ — الادارة الانجليزية - الفرنسية
- التعليم - اتفاق المناهج مع المناهج
- ٢٧٥ المصرية وغيرها
- ٢٨٨ — مستقبل التعليم فى ليبيا
- ٢٨٩ ١ - ملامح المجتمع الليبى
- ٢ - المشكلات التعليمية التى تعوق
- ٣٠٠ التنمية
- ٣١٠ ٣ - التخطيط للتعليم
- ٣٢٥ المراجع
- ٣٣٣ محتويات الكتاب

طبع بمطابع

دار

الحقیقہ

ہاتف : ۶۶۷۷ — بنغازی
